

مقاتل الأمويين

تأليف

محمد الحسيني

راجعه

السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

مؤسسة البلاغ

لبنان - بيروت - المشرفية - بناية المقداد -
ص ب : ٧٩٥٢ - هاتف : ٨٣٥٥٥٠ - ٨٣٥٨٢٠

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على رسوله محمد وآله الأطهار وصحبه الأخيار .

لقد كتب أبو الفرج الأصفهاني كتابه «مقاتل الطالبيين» وهو أموي فألفت كتاباً باسم «مقاتل الأمويين»[1] وأنا طالبي[2] من باب ردِّ الجميل مقتفياً أثره في ذكره «لمن قتل ومن احتيل في قتله بسمٍّ سُقيه وكان سبب وفاته، ومن خاف السلطان وهرب منه فمات في تواريه ، ومن ظفر به فحبس حتى هلك في محبسه ، على السياقة لتواريخ مقاتل من قتل منهم ووفاة من توفي بهذه

---

(١) الكتاب واسمه من إقتراح العمِّ الجليل المحقق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب فهو الذي أشار عليَّ بذلك ثم راجع فصوله وأسدى عليَّ بتوجيهاته .

(٢) محمد بن طاهر بن حسن بن ملحم بن علي بن محمد بن حسين بن نوح بن ناصر بن شلال بن محمود بن محمد بن شوكة بن علي بن خفّان بن ياسر (الأول) بن شوكة بن عبد الله بن أبي الحسين علي المعروف بالشويكة (ويقال لولده وولد أخيه الحسن بنو الشويكة) بن أحمد بن أبي عبد الله (ولا يعرف إلاَّ بكنيته) بن أبي الهيجاء محمد (ويعرف بهيجاء) بن أبي الحسين زيد الأسود بن الحسن بن أبي الحسن علي (المعروف بكُتيلة) بن يحيى (الثاني) بن يحيى (الأول) بن الحسن ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد (عليه السلام) بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

الأحــوال» ، وقـد خــرجت عن ذلـك في إفـراد فصــل لقتلى بني أميــة في الأندلس .

وقد ذكرت قتلاهم في صدر الإسلام مبتدأً بذكر من قتل منهم في معركة بـدر ثم من قتل منهم في خـلافـة الخلفـاء الأربعـة ثم ذكـر من قتـل منهم في العصر الأموي والعبـاسي ومن قتل منهم في الأنـدلس . ولا أدّعي عدم فـوات بعضهم فـإني اقتصـرت على مـا تيسَّـر لي ممَّــا ضبـطه المؤرخــون ، وذكـره المصنفون .

وقـد اقتصرت في كتـابي هذا على ذكـر من أنتسب إلي أُمية الأكبـر فقد ولَـدَ عبـدُ شمس بن عبـد منـافٍ : أميـة الأكبـر ، وحبيبـاً ، وأُميـة الأصغـر ، وعبد أُمية ، ونوفل ، وربيعة ، وعبدَ اللّٰهِ الأعرج ، وعبدَ العُزَّى .

وولَـدَ أُمية الأكبـر بن عبد شمس : العـاص ، وأبا العـاص ، والعيص ، وأبا العيص ، وهم الأعياص ، ولهم يقول فَضَالَةُ بن شَرِيك :

من الأعيـاص أو من آل حَرْبٍ أغَــرُّ كَغُـرَّةِ الفــرسِ الجـوادِ

وأُمهم آمنة بنت أبان بن كُلَيب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وحَرْباً ، وأبا حَرْب ، وسُفْيَانَ ، وأبا سفيان ـ واسمه عنبسـة ـ ، وعَمْراً ، وأُمهم أَمَـةُ بنتُ أبي همهمة بن عبـد العُزَّى بن عـامرة بن عَمِيـرَةَ بن وديعة بن الحارث ين فِهْرٍ ، وأبـا عَمْروٍ ، وأُمـه من لَخْمٍ ، وهم العنابس ، لأنهم قـاتلوا يوم الفُجَّار[1] فَسُمُّوا العنابِس ، والعنابس الأُسْدُ واحدها عَنْبَسٌ .

---

(١) وهو يوم الفجـار الثاني وكـان بعد الفيـل بعشرين سنـة وبعد مـوت عبد المـطلب بإثني عشرة سنة وإنما سمي بذلك لما استُحِلَ به من المحارم وكان سببـه قتل عـروة الرحّـال قتله الـبَّـراض من كنانـة وقد وقـع بين قيس وكنانـة مقتلة كثيرة كـان آخرهـا معادهم في عكـاظ فجمعت قيس جموعهـا ومعها ثقيف وغيرها وجمعت قريش كنانـه والأحابيش وأسد بن خزيمة . وفي هذه الوقعة سمي حرب وإخوته العنابس فإنه عقل نفسه ، وعقل سفيان وأبو سفيـان نفسيهما وقـالوا : لن يبرح رجل منـا مكانـه حتىٰ يموت أو يظفر فاقتتل الناس فكان الطفر أول النهار لقيس ثم عاد الظفر لقريش .

وأنا ذاكر مقاتل من قتل من بني أُميةْ هذا وما إنتسب له دون غيره من بني عبد شمس لأن من عرف بآل أُمية أو الأمويين من إنتسب إليه دون مَنْ سواه ولم أتعرض لغير الأعياص والعنابس أمثال :

١ ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل ببدر .

٢ ـ شيبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل ببدر .

٣ ـ الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل ببدر .

٤ ـ عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس قتله الحجاج صبراً .

٥ ـ سليم بن عيسى بن كريز بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس قتله الخوارج .

٦ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

٧ ـ أبو جراب بن عبد الله بن الحارث بن أُمية الأصغر بن عبد شمس .

٨ ـ خالد بن يزيد بن عثمان بن هبَّار بن أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس .

٩ ـ أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة قتل في اليمامة .

١٠ ـ محمد بن أبي حذيفة قتله معاوية بن أبي سفيان . وغيرهم وهم كثر .

ولا يخفى أن معظم قتلاهم ممن قتل على يد العباسيين بعد ظهور دولتهم واضمحلال الدولة الأموية ، وكان قتلهم آنذاك ثأراً لدماء العلويين وآل العباس وكانت الأصوات تتعالى للأقتصاص منهم فإنه روى أن سديفاً قال لأبي العباس يحضّه على بني أُمية ويذكّره القتلى من بني هاشم :

كيف بالعفو عنهم وقديماً	قتّلوكم وهتكوا الحرمات
أين زيدٌ وأين يحيى بن زيدٍ	يا لها من مصيبةٍ وتراتِ
والإمام الذي أصيب بحرّا	نَ إمامُ الهدى ورأس الثقاتِ

قتَّلوا آل أحمدٍ لا عفا الذنـ ـبَ لمروانَ غافرُ السيئاتِ[1]

فطلبهم أبو العباس السفاح فقتل منهم من قتل ، وتابعه في ذلك سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقتل جماعة منهم وأمر أن ترمىٰ أشلائهم في الطرقات فأكلتهم الكلاب[2] .

وقتل داود بن علي بالمدينة من كان منهم فيها ، بينما طاردهم عبد الله بن علي فأصاب منهم العشرات في الزاب أو بنهر أبي فطرس حتىٰ قال أبو عدي عبد الله بن عمرو العبليّ وكان أموي الرأي في قتلى الزاب ونهر أبي فطرس قوله :

تقول أمامةُ لمّا رأتْ نشوزي عن المضجع الأملسِ
وقلّة نومي على مضجعي لدى هجعة الأعين النُّعَّسِ
أبي ما عراك ؟ فقلت : الهموم عَرَين أباك فلا تبلسي
عرين أباك فحبَّسْنَهُ من الذلّ في شرِّ ما محبِسِ
لفقد الأحبة إذ نالها سهام من الحدث المبئس
رمتها المنون بلا نُكَّلٍ ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ
بأسهمها المتلفاتِ النفوس متى ما تصب مهجة تخلسِ
فصرَّعنهم بنواحي البلاد فملقى بأرض ولم يرمسِ
نقيٌّ أصيب وأثوابه من العيب والعار لم تَدْنَسِ
وآخر قد رُسَّ في حفرةٍ وآخر طار فلم يُحْسَسِ
أفاض المدامع قتلى كُدىً[3] وقتلىٰ بكُثْوةَ[4] لم تُرْمَسِ
وقتلى بَوجٍّ[5] وباللّابَتَيْـ ـن من يثربٍ خيرُ ما أنفُسِ

(1) الأغاني : ٤/ ٣٥٠ .
(2) تأريخ ابن خلدون : ٣/ ١٣٢ ، تاريخ الوردي : ١/ ٢٨٩ .
(3) كدى : موضع في الطائف .
(4) الكثوة ـ بالضم ـ التراب .
(5) وج : اسم واد بالطائف .

وبـالـزابيين نفـوس ثـوت وقـتلىٰ بـنهـر أبي فُـطرس
أولئـك قـومي أنـاخت بهم نـوائـب من زمـن مُتـعِس[1]

وتوارىٰ بنو أُمية وكلهم مطلوب سوى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي وقـال : إنَّ أبي لم يكن كآبـائهم وقد علمت صنيعهُ إليكم . فأجاره واستـوهبه من السفـاح وقال لـه : قد علمت صنيع أبيه إلينـا فوهبه له وقال : لا يريني وجهه وليكن بحيث نأمنه .

وكتبَ إلى عمّـالـه في الآفـاق بقتـل بني أُميـة[2] . فسعىٰ عمّـالـه في طلبهم حتىٰ أن عبد الله بن علي أمر بنبش قبور الخلفاء من بني أُمية فلم يجدوا في القبور إلاّ شبه الرماد وخيط في قبر معاويـة ، وجمجمة في قبـر عبد الملك وربما وجد فيها بعض العظام إلاَّ هشام بن عبد الملك فإنه وجد كما هو لم يبل فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذرّاه في الريح[3] .

وكـان أول أمانٍ لبني أُميـة ما بـذل إلى عمـرو بن معـاويـة بن عمـرو بن سفيـان بن عتبة بن أبي سفيـان فإنـه قال : كنت لا آتي مكـانـاً إلاَّ عُـرفت فيـه فضـاقت عليَّ الأرض فقدمت على سليمـان بن علي وهـو لا يعـرفني فقلت : لفظتني البلاد إليك ودلَّني فضلك عليك فإما قتلتني فـاسترحت ، وإمـا رددتني سـالماً فـأمنت . فقال : ومن أنت ؟ فعـرَّفته نفسي . فقـال : مـرحبـاً بـك مـا حاجتك ؟ فقلت : إن الحُـرَم اللواتي أنت أولى الناس بهنَّ وأقـربهم إليهنَّ قد خفن لخـوفنا ومن خـاف خيف عليه[4] . فـأمَّنه سليمـان بن علي بعد أن كتب للسفاح بذلك فكان أول أمان لبني أُمية .

ولم يجـد آل أُميـة أمـانـاً إلا بعـد ظهـور أمرهم في الأنـدلس على يـد عبـد الـرحمن الـداخـل وفي ذلـك يقـول عبـد الملك بن عمـر بن مـروان بن الحكم :

---

(١) شرح النهج : ٧/١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٢) شرح النهج : ٧/١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٣) تأريخ ابن خلدون : ٣/١٣٢ ، تاريخ ابن الوردي : ١/٢٨٩ .
(٤) الكامل لابن الأثير : ٥/٤٣١ ـ ٤٣٢ .

فيا زمناً أودى بأهلي ومعشري | لقد صِرْتَ في احشائنا الاذعاً جَمرا
ويزداد دهرُ السوء غشاً وظُلمةً | كأنَّ على شمس الضحىٰ دوننا سِترا
إلى أن بدى من آل مروان مُقْمِرٌ | أضاء لنا من بعد ظلمته الدهرا
هِجانٌ أصيلُ الرأي نَدْبٌ مهذبٌ | أقام لنا ملكاً وشدَّ لنا أزرا[1]

وفي الختام أرجو من العلماء والباحثين والمحققين أن يعذروني مواطن الخطأ والزلل فإنهم سيجدوا مني أُذناً صغواء لتقبل كل رأي أو ملاحظة تطوِّر البحث ، والله ولي التوفيق .

المؤلف
محمد السيد طاهر الحسيني
دمشق
٢٠/شهر رمضان/١٤٠٩ هـ

(١) الحلة السيراء ١/٥٧ .

ذكر من قتل منهم في صدر الاسلام
وخلافة الخلفاء الأربعة

١

حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس

. وكان أبو سفيان بن حرب يكنى أبا حنظلة باسمه[١] .

أُمه ريحانة بنت أبي العاص بن أُمية[٢] .

ولمّا تعرَّض المسلمون لعير قريش كان حنظلة ممن يحُثّ الناس على الخروج إلى بدر لقتال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . فروي أنه قام حنظلة بن أبي سفيان وعمرو بن أبي سفيان فحثّا الناس على الخروج ولم يدعوا إلى قوة ولا حملان ، فقيل لهما : ألا تداعون إلى ما دعا إليه غيركما من الحملان ؟ قالا : والله ما لنا مال ، وما المال إلّا لأبي سفيان[٣] .

وكان أن إلتقى المشركون المسلمين في بدر ، وقُتل شيبة ، وعتبة ، والوليد ، فبرزَ بعد ذلك حنظلة بن أبي سفيان إلى علي (عليه السلام) فلمّا دنا منه ضربه عليّ بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض[٤] ، ومات منها .

---

(١) نسب قريش /١٢٣ .

(٢) جمهرة النسب ١/١٧٨ .

(٣) سيرة المصطفى /٣٣٤ .

(٤) المغازي : ١/١٤٧ ، سيرة المصطفى /٣٤٧ .

وقيل : قتله زيد بن حارثة[1] . والأصح أن قاتله علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وكان من جملة الأساري عمرو بن أبي سفيان أسره عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقيل لأبي سفيان أفد عمراً ابنك ، قال : أيجمع عليّ دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدي عمراً دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم[2] .

وفي معركة أُحد التقى أبو سفيان حنظلة[3] بن أبي عامر فلما استعلى حنظلة رآه شدّاد بن شعوب فعلاه بالسيف حتىٰ قتله ، وقد كاد يقتل أبا سفيان فقال أبو سفيان : حنظلة بحنظلة[4] .

وكان معاوية بن أبي سفيان قد كتب شعراً إلى أبيه لمّا همَّ أن يسلم ينهاه عن ذلك ويذكره حنظلة :

يا صخر لا تُسلمَنْ يوماً فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا فِرَقا
خالي وعمّي وعمّ الأُمّ ثالثهم	وحنظلُ الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننَّ إلىٰ أمرٍ تكلّفنا	والراقصات[5] به فيٰ مكة الخُرُقا
فالموت أهون من قول العداة: لقد	حاد ابن حرب عن العزى إذاً فَرقا[6]

---

(١) الدرر في المغازي والسير /١١٨

(٢) السيرة الحلبية ٢/٤٥١

(٣) حنظلة غسيل الملائكة بن أبي عامر بن صيفي الأنصاري الأوسي كان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب واسمه عمرو ويُقال عبد عمرو وكان يذكر البعث ودين الحنفية فلما بعث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عانده وحسده وخرج عن المدينة وشهد مع قريش وقعة أُحد ثم رجع إلى مكة وخرج منها إلى الروم فمات بها سنة تسع ويُقال سنة عشر واعطى هرقل ميراثه لكنانة بن عبد ياليل الثقفي وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه واستشهد في معركة أُحد وقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته فقالت خرج وهو جنب لما سمع الهائعة فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بذلك تغسله الملائكة انظر الإصابة : ٢/٤٥ .

(٤) نسب قريش /١٢٣

(٥) الراقصات : الإبل التي تحمل الماء للحجيج وكانت من أقسامهم ، وقال علي زين العابدين (عليه السلام) في خطبته بالكوفة «كلا ، وربّ الراقصات» .

(٦) شرح النهج . م ٢/٤٦٢

٢

عبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس

ولد لأبي أُحيحة سعيد بن العاص بن أُمية ثمانية أولاد : أُحيحة وكان قتل يوم الفجار ، وخالد وعبد الله وسعيد وعمرو وأبان أسلم جميعهم ، وقتل من ولده مشركاً اثنان أحدهما عبيدة قتله الزبير(١) بن العوّام(٢) .

وقد روي عن الزبير أنه قال : «لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج في الحديد لا يُرى منه إلاَّ عيناه ، وكان يكنى أبا ذات الكَرِشْ [illegible](٣) في عينه فمات ، فلقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان [illegible] طرْفُها»(٤) .

---

(١) الزبير بن العوّام بن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله ، صحابي ، شجاع ، أسلم وله ١٢ سنة ، وشهد مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بدراً وأحداً وغيرهما وكان على بعض الكراديس في اليرموك . وكان الإمام (عليه السلام) يقول : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتىٰ نشأ ابنه المشؤوم عبد الله ، وكان الزبير ممن تخلف فيمن تخلف في دار علي (عليه السلام) وسلَّ سيفه ليضرب به عمر بن الخطاب فطأطأ عمر عنها فوقعت في صخرة ثم بايع علياً (عليه السلام بعد مقتل عثمان ثم نكث بيعته وخرج مع عائشة وطلحة إلى البصرة فلما التقى الجيشان دعا علي الزبير وقال أتذكر يوم مررت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في بني غنم فنظر إليَّ فضحكت وضحك إليَّ فقلتَ : لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إنه ليس به زهو ولتقاتلنه وأنت ظالم له . فقال الزبير اللّهم نعم ، ولو ذكرته ما سرت مسيري هذا . وقتل الزبير بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة قتله ابن جرموز .

(٢) المغازي للواقدي : ١٤٨/١ .

(٣) العَنَزَة : أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيها مُزجٌ كَزُجّ الرمح .

(٤) الاستيعاب : ٦٣/١ .

٣

العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس

والثاني من ولد أبي أحيحة سعيد بن العاص ممن قتل في بدر كافراً العاص بن سعيد قتله عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[١] .

وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال : رأيت العاص بن سعيد يبحث التراب عنه كالأسد فصمد إليه علي بن أبي طالب فقتله[٢] .

وفي شرح النهج : أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص[٣] حضرا عند عمر في أيام خلافته فجلس سعيد بن العاص حجرة[٤] فنظر إليه عمر فقال : ما لي أراك معرضاً كأني قتلت أباك ! إني لم أقتله ، ولكنه قتله أبو حسن ، وكان علي (عليه السلام) حاضراً فقال : اللهم غفراً ! ذهب الشرك بما فيه ، ومحا الإسلام ما قبله ، فلماذا تهاجُ القلوب ؟ فسكت عمر ، وقال سعيد : لقد قتله كفءٌ كريم ، وهو أحب إليّ من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف[٥] .

---

(١) المغازي : ١/١٤٨

(٢) الإستيعاب : ٢/٦٢٢

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ولد عام الهجرة وقتل أبوه يوم بدر كافراً وكان سعيد من أشراف قريش وأحوادهم وفصائحهم ، استعمله عثمان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها ، وقد لزم بيته بعد قتل عثمان واعتزل توفي سنة ٥٩ هـ .

(٤) حجرة : ناحية .

(٥) شرح النهج . م ٤/٣٨٤ .

٤

عقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو

ابن أمية بن عبد شمس

عقبة بن أبي مُعَيط وهو أبان[١] بن أبي عمرو بن أمية .

وأبو عمرو هو ذكوان عبد لأميّة إستلحقه بحكم الجاهلية ، لأن أمية كان قد خرج إلى الشام لمّا نافر عمه هاشم فأقام بصَفُّورِيَة[٢] ووقع على أَمَةٍ يهودية ولها زوج يهودي من أهل صفورية فولدت له أبا عمرو الذي هو والد أبي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية ، ثم قدم به مكة وكنّاه بأبي عمرو وسمّاه ذكوان مع أن الولد للفراش ، وقيل كان عبداً لأمية فتبناه . فلما مات أمية خلفه على زوجته[٣] .

وروى أن دغفلاً[٤] النسَّابة دخل على معاوية فقال له : من رأيت من عِلْيَة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس ، فقال : صِفْهُما لي ، فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه في جبينه نور النبوة وعز الملك يُطيفُ به عشرة من بنيه كأنهم أسدُ غاب . قال : فَصِفْ أمية : قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان . فقال : مه ، ذاك إبنه أبا عمرو . فقال : هذا شيء قلتموه بعدُ وأحدثتموه ، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به[٥] .

---

(١) نسب قريش / ١٣٥ .

(٢) صَفُّورِيَة : بلدة من نواحي الأردن وهي قرب طبرية .

(٣) السيرة الحَلبية . ٢/٤٤٢

(٤) دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهليّ الشيباني نسابة العرب يضرب به المثل في معرفة الأنساب فيقال : «فلان أنسب من دغفل» . قال الجاحظ : لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً . وفد على معاوية فسأله عن العربية وعن أنساب الناس وعن النجوم فأعجبه علمه فأمره أن يتولى تعليم ابنه يزيد ففعل . وغرق يوم دولاب بفارس في وقعة مع الأزارقة (انظر الاعلام لزركلي ٢/٣٤٠)

(٥) راجع الأغاني : ١/١٢ ، شرح النهج لابن أبي الحديد . م ٤/٦٣٤ .

وفي السيرة الحلبية : ذكر بعض المؤرخين أن معاوية سأل رجلاً من علماء النسب وفد عليه : كم عمرك ؟ قال : أربعون ومائتا سنة . قال : كيف رأيت الزمان ؟ فقال : سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يهلك والد ، ويخلف مولود ، فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ، ولولا المولود لم يبق أحد ، فقال له : هل رأيت عبد المطلب ؟ قال : نعم ، أدركته شيخاً وسيماً قسيماً جسيماً ، يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم ، فقال له : هل رأيت أمية بن عبد شمس ؟ يعني جده ، قال : نعم : رأيته أخفش أزرق ذميماً ، يقوده عبده ذكوان ، فقال : ويحك كف فقد جاء غير ما ذكرت ذاك ابنه . فقال : أنتم تقولون ذلك[1] .

وكان عقبة بن أبي معيط قد ناشد النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في نفسه لمّا قدّم للقتل ، قال : يا محمد ناشدتك الله والرحم ، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : هل أنت إلا يهودي من أهل صفورية ، وفي رواية قال له : إنما أنت يهودي من أهل صفورية[2] ، فليس هو من قريش ولا رحم بينه وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

ولمّا قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط يحرِّض أخاه عمارة :

ألا أن خير الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيلُ التُّجَيبي[3] الذي جاء من مصرِ
فإنْ يكُ ظني بابْنِ أُمِّي صادقاً ... عُمارةَ لا يَطْلُبْ بِذَحْلٍ[4] ولا وِتْرِ
يبيتُ وأوتارُ ابن عفانَ عندَه ... مخيَّمةٌ بين الخورنق والقصرِ[5]

أجابه الفضل بن العباس[6] :

---

(١) السيرة الحلبية : ٢/٤٤٢ .
(٢) السيرة الحلبية : ٢/٤٤٢ .
(٣) التُّجيّبي : قاتل عثمان بن عفان وهو من مصر
(٤) الذحل : الحقد والعداوة ، يُقال طلب بذحله أي بثأره والجمع ذحول .
(٥) الكامل في التأريخ : ٣/٧٧ ط دار الكتب العلمية .
(٦) الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القريشي من شجعان الصحابة =

أَتَـطْلُبُ ثـأراً لستَ منـه ولا لَـهُ | وأين ابْنُ ذكوانَ الصَّفوريّ من عمرو
كمـا اتصلتْ بنتُ الحمارِ بـأُمِّهَـا | وتنسى أباها إذْ تسامىٰ أولي الفخرِ
ألَا إنَّ خيـرَ الناس بعـد ثلاثـةٍ[1] | وصيّ النبيّ المصطفىٰ عندذي الذكرِ
وأوّل مـن صلّى وصِنْـوَ نـبيِّـه | وأولُ مَنْ أردى الغُـواةَ لـدىٰ بَـدْرِ
فلو رأت الأنصـارُ ظلمَ ابْنِ أُمِّكُم | ـ بزعْمِكُم ـ كانوا له حاضري النَّصرِ
كفىٰ ذاك عيبـاً أن يُشِيـروا بقتلهِ | وأن سُلِمُوهُ للأحابيش من مِصْرِ[2]

وكـان عقبة بن أبي مُعَيط شـديد الأذى لـرسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) وهـو مِمَّن نزلت فيهم الآيـة الكريمـة : ﴿إنا كفينـاك المستهـزئين﴾[3] وهم : عمه أبو لهب وعقبـة بن أبي معيط والحكم بن أبي العاص والأسـود بن أسـد أبو زمعـة والأسود بن عبـد يغوث والعـاصي بن وائل والـوليد بن المغيـرة والحارث بن غَيطلة السهمي ويُقال له ابن الغيطلة[4] .

وروي[5] عن عبد الله بن مسعود قال : بينما رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) ساجـد ، وحـولـه نـاسٌ من قـريش . إذ جـاء عقبـة بن أبي معيط بسلا[6] جزور . فقذفه على ظهر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . فلم

= ووجوههم ، كان أسن ولد العباس ، ثبت يـوم حنين وأردفه رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) وراءه في حجـة الـوداع فلقب ردف رسـول الله . وخـرج بعـد وفـاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مجاهداً إلى الشام فاستشهـد في وقعة أجنـادين بفلسطين ، وقيل مات بناحيبة الأردن في طاعون عمواس . (انظر الأعلام : ١٤٩/٥) .

(١) الأنسب بمذهب الفضل قوله «بعد محمد» كما في رواية الـطبري ، ولا شـك أن البيت محرَّف .

(٢) الكامل في التأريخ : ٧٧/٣ ط دار الكتب العلمية .

(٣) سورة الحجر ؛ الآية : ٩٥ .

(٤) الدرر في اختصار المغازي والسير /٤٩ .

(٥) راجـع : السيـرة والمغـازي لابن إسحـاق /٢١١ ، صحيـح البخـاري : ١٣٩٩/٣ ، وصحيح مسلم : ١٤١٨/٣ ـ ١٤١٩ . واللفظ لصحيح مسلم .

(٦) الجـزور وهي من الإبل واكمـل خمس سنين ودخـل في السـادسـة ويقـع على الـذكـر والأنثى .

يرفع رأسه . فجاءت فاطمة فأخذتـه عن ظهره . وَدَعَتْ على من صنـع ذلك . فقـال : «اللهُمَّ ! عليك المـلأ من قـريشٍ . أبـا جهـل بن هشـام ، وعتبـة بن ربيعـة ، وعقبـة بن أبي معيط ، وشيبـة بن ربيعـة وأُميـة بن خَلَفٍ ، أو أُبيَّ بن خَلَف (شُعْبَةُ الشَّاكُّ) » قال : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر . فأُلْقُوا في بئـر غير أن أُمية أو أُبيًّا تقطعت أوصاله . فلم يُلق في البئر .

وقد نزلت في عقبـة بن أبي معيط الآية المبـاركة : ﴿وَيَـومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ علىٰ يَدَيه يقـولُ يٰليتِنِي اتَّخذتُ مـعَ الرَّسُـولِ سَبِيلا ، يـا وَيلتَي ليتني لم أَتَّخذ فُـلاناً خليـلاً ، لقد أضلَّني عن الـذِّكر بعـدَ إذ جاءني وكـان الشيطانُ لـلإِنسانِ خَذُولا﴾[1] . وروي في سبب نزولها أنه اجتمع عقبة بن أبي معيط وأُبيّ بن[2] خلف وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه بلغني أنك أتيت محمـداً فاستمعت منه . والله لا أرضىٰ عنك حتىٰ تتفل في وجهه وتكـذبه ، فلم يسلطه الله على ذلك فقتل عقبة يوم بدر صبراً ، وأمـا أُبيّ بن خلف فقتله النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم أُحد في القتال[3] .

وروي أن السبب الذي دعاهما لذلك أن عقبة بن أبي معيط دعـا مجلساً فيهم النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لطعام فأبىٰ النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) أن يأكل وقال : لا آكل حتىٰ تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسول الله فقال : ما أنت بآكل حتىٰ أشهـد ؟ قال : نعم ، قـال : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله . فَلَقِيَهُ أُمية بن خلف فقـال : صبوت ؟ فقـال : إن أخـاك على ما تعلم ولكني صنعت طعـاماً فـأبىٰ أن يأكـل حتىٰ أقول ذلـك فقلته ، وليس من نفسي[4] .

وفي تفسيـر روح المعاني : المـراد بـالـظالم ـ في الآيـة ـ عقبـة بن أبي

---

(١) سورة الفرقان ؛ الآيات : ٢٧ ـ ٢٩ .
(٢) وروي أنه أمية بن خلف كما عن تفسير الطرطبي : ٢٦/١٣ .
(٣) تفسير الطبري : ٨/١٩ .
(٤) نفس المرجع السابق .

معيط وبفلان ابيّ بن خلف فقد روى أنه كان عقبة بن أبي مُعَيط لا يقدم من سفر إلاّ صَنَعَ طعاماً فدعا عليه أهل مكة كلّهم ، وكان يكثر مجالسة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويعجبه حديثه وغلب عليه الشقاء فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاماً ، ثم دعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى طعامه فقال : ما أنا بالذي آكل من طعامك حتىٰ تشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله . فقال : اطعم يا ابن أخي . فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : ما أنا بالذي أفعل حتىٰ تقول : فشهد بذلك ، وطعم عليه السلاة والسلام من طعامه . فبلغ ذلك أُبي بن خلف فأتاه ، فقال : أصبوت يا عقبة ؟ وكان خليله ، فقال : والله ما صبوت ولكن دخل عليَّ الرجل فأبىٰ أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم ، فشهدت له فطعم . فقال : ما أنا بالذي أرضىٰ عنك حتىٰ تأتيه فتفعل كذا وكذا ـ وذكر فعلاً لا يليق إلا بوجه القائل اللعين ، ففعل عقبة . فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : لا ألقاك خارجاً من مكة إلاّ علوت رأسك بالسيف . وفي رواية : إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبىٰ أن يخرج ، فقال له أصحابه : أخرج معنا . قال : قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً . فقالوا : لك جمل أحمر لا يُدرك ، فلو كانت الهزيمة طرت عليه . فخرج معهم فلما هزم الله تعالى المشركين رحل به جمله في جدد[1] من الأرض ، فأخذ أسيراً في سبعين من قريش ، وقدم إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأمر علياً ، وفي روايةٍ عاصمَ بن ثابت بن أبي الأقلع بأن يضرب عنقه ، فقال : أتقتلني من بين هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : بم ؟ قال : بكفرك وفجورك وعتوك على الله تعالى ورسوله[2] .

أما مقتله فإنه وقع أسيراً بأيدي المسلمين بعد هزيمة المشركين وقتل

(١) الجدد : الطرق .

(٢) تفسير روح المعاني : ٦/١٤٦

صناديدهم فأمر به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقتل بالصفراء[1] صبراً بالسيف[2] وقيل أنه لما رجع رسول الله من معركة بدر أقبل بالأسرى حتىٰ إذا كان بعرق الظُّبية[3] أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط وكان أسره عبد الله بن سلمة العجلاني فجعل عقبة يقول : يا ويلي علام أقتل يا معشر قريش مِن بين مَنْ هنا ؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : لعداوتك لله ولرسوله . قال : يا محمد ! مَنُّكَ أفضل ، فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتني ، وإن مننت عليهم مننت عليَّ ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم . يا محمد من للصبية ؟ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : النار ، قدِّمهُ يا عاصم فاضرب عنقه ! فقدَّمه عاصم فضرب عنقه . فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : بئس الرجل كنتَ والله ما عَلِمتُ كافراً بالله وبرسوله وبكتابه ، مؤذياً لنبيِّه ، فأحمد الله الذي هو قتلك وأقرَّ عيني منك[4] .

وروي أنه لما أمر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال : أتدرون ما صنع بي هذا ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وعمزها فما رفعها حتىٰ ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرة أُخرى بسلاشاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي[5] .

وروي أنه قتل بسيف علي (عليه السلام)[6]. وهو الأرجح لإشتهار ذلك بين رجالات بني أُمية بل لصريح قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقد روي

---

(١) الصفراء : قرية كثيرة النخل والمزارع وهي فوق ينبع مما يلي المدينة المنورة في طريق الحاجّ بين بدر وبينها مرحلة .

(٢) المغازي للواقدي : ١/١٤٨ .

(٣) عرق الظبية : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) المغازي : ١/١١٣ ـ ١١٤ ، وانظر الدرر في المغازي والسير/١١٦ .

(٥) البداية والنهاية : ٣/٣٠٥ .

(٦) نفس المرجع السابق .

أنه أتىٰ علياً جماعة ممن تخلّف عن بيعته من بني أمية منهم : سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط فجرىٰ بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد : إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك ولكنا قوم وترنا الناسُ وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح ، أما أنا فقتلت أبي صبراً ، وضربتني حداً . وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً وقال له الوليد : أما سعيد فقتلت أباه وأهنت مثواه ، وأما مروان فإنك شتمت أباه وعبت عثمان في ضمّه إياه[1] .

وظل ذلك في نفس الوليد ، ففي الغارات للثقفي أنه مرّ ناسٌ بالحسن بن علي (عليه السلام) وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة وهو في علّة شديدة فأتاه الحسن (عليه السلام) عائداً فقال للحسن : أتوب إلى الله مما كان بيني وبين جميع الناس إلا ما كان بيني وبين أبيك . يقول : أي لا أتوب منه[2] . ومنه قتل أبيه عقبة بسيف علي (عليه السلام) .

ومما صرّح به الحسن (عليه السلام) في كلام له في مجلس معاوية بن أبي سفيان كان فيه الوليد حاضراً فعذره كيده لأهل البيت ومقته لهم . وننقل كلامه (عليه السلام) في هذا الموضع إتماماً للفائدة .

« محاورة الامام الحسن عليه السلام عند معاوية »

إجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، والوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة[3] ، وقد كان بلغهم عن

---

(١) مروج الذهب : ٣٦٢/٢ .

(٢) الغارات ٣٥٦/١ .

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي أحد دهاة العرب يُقال له مغيرة الرأي ، ولد بالطائف واسلم سنة ٥ للهجرة وكان سبب إسلامه أنه ذهب إلى المقوقس مع جماعة من بني مالك فلما رجعوا فتك بهم طمعاً في أموالهم فهرب منهم ولاذ بالإسلام وفي ذلك يقول علي (عليه السلام) : «وما المغيرة إنما كان إسلامه لفجرةٍ وغدرةٍ . .» وشهد المغيرة الحديبية وفتوح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية ونهاوند .

الحسن بن علي (عليه السلام) قوارصُ ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن الحسن قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصدِّق ، وأمر فأُطيع ، وخفقت له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية : فما تريدون ؟ قالوا : ابعث عليه فليحضر لنَسُبَّه ونسُبَّ أباه ، ونعيِّره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرِّره بذلك ، ولا يستطيع أن يغيِّر علينا شيئاً من ذلك .

قال معاوية : إني لا أرى ذلك ولا أفعله . قالوا : عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلَنّ ، فقال : ويحكم لا تفعلوا : فوالله ما رأيته قطّ جالساً عندي إلّا خفت مقامه وعَيْبَه لي .

قالوا : ابعث إليه على كل حال .

قال : إن بعثت إليه لأنصفنّه منكم .

فقال عمرو بن العاص : أتخشىٰ أن يأتيَ بباطله على حقنا ، أو يربي قوله على قولنا ؟ .

قال معاوية : أما إني إن بعثت إليه لآمرنّه أن يتكلم بلسانه كله .

قالوا : مُرْه بذلك .

قال : أما إذ عصيتموني ، وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تُمرِضوا له في القول ، واعلموا أنهم أهل بيتٍ لا يعيبهم العائب ، ولا يُلصَق بهم العار ، ولكن اقذفوه بحجره ، تقولون له : إن أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

= وهمدان ، وولّاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها بعد زناه وأراد عمر إقامة الحدّ عليه لولا تلجلج أحد الشهود وفي ذلك يقول علي (عليه السلام) : «لئن ملكت لأرمينه بأحجاره» ثم ولّاه الكوفة وأقره عثمان عليها ثم عزله عنها وكان المغيرة من أشد المبغضين لعلي (عليه السلام) فلما تم الأمر لمعاوية ولّاه الكوفة .

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله ، فقال : إن أمير المؤمنين يدعوك .

قال : مَنْ عنده ؟ فسمّاهم له .

فقال الحسن (عليه السلام) : ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ! ثم قال : يا جارية ، ابغيني ثيابي ، اللهم إني أُعوذ بك من شرورهم ، وأدْرأُ بك في نحورهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفنيهم كيف شئت وأنّىٰ شئت، بحولٍ منك وقوة ، يا أرحم الراحمين !

ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقد أرتاد القوم وخطروا خطران الفحول بغياً في أنفسهم وعُلُواً ، ثم قال : يا أبا محمد ، إن هؤلاء بعثوا إليك وعَصَوني .

فقال الحسن (عليه السلام) . سبحان الله ، الدّار دارك ، والإذنُ فيها إليك والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم ، إني لأستحي لك من الفحش ، وإن كانوا غلبوك على رأيك ، إني لأستحي لك من الضعف فأيهما تُقرّ ، وأيهما تنكر ؟ أما أني لو علمتُ بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب ، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم ، أن وليىَ الله وهو يتولى الصالحين .

فقال معاوية : يا هذا . إني كرهتُ أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ، وإن لك منهم النَّصَف ومنّي ، وإنما دَعَوْناك لنقرِّرك أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن أباك قتله ، فاسمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وَحْدتك واجتماعُهم أن تكلم بكلّ لسانك .

فتكلم عمرو بن العاص ، فحمد الله وصلى على رسوله ، ثم ذكر عليّاً (عليه السلام) ، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال : أنه شتم أبا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ثم بايعه مكرهاً ، وشرك في دم عمر ، وقتل عثمان [illegible]اً ، وادّعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يعيّره بها ، وأضاف إليه مساويء وقال : أنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرّم الله من الدماء وحرصكم على الملك ، وإتيانكم ما لا يحلّ . ثم إنك يا حسن تحدِّث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقلُ ذلك ولا لبّه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، وتركك أحمق قريش، يُسخر منك ويُهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك وإنما دعوناك لنسبِّك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره ، أما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذبنا ؟ فإن كنت ترىٰ أنا كذبنا في شيء فارْدُده علينا فيما قلنا وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان

ثم تكلّم الوليد بن عُقبة ابن أبي مُعَيط ، فقال يا بني هاشم ، إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم ، فعرف حقكم ، وكنتم أصهاره فنعم الصِّهْر كان لكم يكرمكم ، فكنتم أوّل حسده ، فقتله أبوك ظلماً ، لا عذر له ولا حجة ، فكيف ترون الله طلب بدمه ، وأنزلكم منزلتكم ، والله أن بني أميةَ خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أُمية ، وإن معاوية خير لك من نفسك .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال : يا حسن ، كان أبوك شرّ قريش لقريش ، أسفكها لدمائها ، وأقطعها لأرحامها ، طويل السيف واللسان ، يقتل الحيّ ويعيب الميت ، وإنك ممن قتل عثمان ، ونحن قاتلوك به ، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا ، ولا في ميراثها راجحاً ، وانكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به فأما أبوك فقد كفانا الله

---

(١) عتبة بن أبي سفيان ، أمير مصر ولدها من قبل أخيه معاوية فقدمها سنة ٤٣ هـ ثم خرج إلى الاسكندرية مرابطاً فابتنىٰ داراً في حصنها القديم وتوفى بها ، كان شهد الدار مع عثمان ، والجمل مع عائشة ففقئت عينه ، وشهد وصفين ، وكان من أخطب بني أمية قال الاصمعي : الخطباء من بني أمية عتبة بن أبي سفيان وعبد الملك

أمره وأقادَ منه ، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان .

ثم تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم علياً ، وقال : والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يميل ولكنه قتل عثمان . ثم سكتوا .

فتكلم الحسن بن علي (عليه السلام) فحمد الله واثنىٰ عليه ، وصلّى على رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم قال : أما بعد يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني ، فحشاً أَلِفْتَه وسوءَ رأي عُرفت به ، وخُلُقاً سيئاً تبتَّ عليه وبغياً علينا ، عداوة منك لمحمدٍ وأهله ، ولكن إسمع يا معاوية ، واسمعوا فلأقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم .

أنشدكم الله أيها الرهط ، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم ، صلّى القبلتين كلتيهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللّات والعزى غواية ! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليتهما ، بيعة الفتح وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر ، وبالأخرىٰ ناكث !

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس أيماناً ، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تُسِرُّون الكفر وتظهرون الإسلام وتُستمالون بالأموال !

وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم بدر وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أُحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعك ومع أبيك راية الشرك وفي كل ذلك يفتح الله له ويُفلج حُجَّته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ورسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في تلك المواطن كلها عنه راضٍ وعليك وعلى أبيك ساخط ! .

وأنشدك الله يا معاوية ، أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : «اللّهم إلعن الراكب والقائد والسائق» ! .

أتنسىٰ يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لمّا همّ أن يُسلم تَنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تُسْلِمنْ يوماً فتفضحنا	بعد الذين ببدرٍ أصبحوا فِرَقا
خالي وعمّي وعمّ الأمّ ثالثهم	وحنظلُ الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنَنَّ إلى أمرٍ تكلّفنا	والراقصات به في مكة الخُرُقا
فالموت أهون من قول العداة : لقد	حاد ابن حرب عن العزى إذاً فَرَقا

والله لما أخفيتُ من أمرك أكبرُ مما أبديت .

وأنشدكم الله أيها الرهط ، أتعلمون أن علياً حرَّم الشَّهَوات على نفسه بين أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأنزل فيه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلَّ الله لكم**﴾[1] وأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل في خيبر مثلها ! .

ثم قال : يا معاوية أظنُّك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لمّا أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خُزيمة ، فبعث إليك ابن عباس فوجدك تأكل ، ثم بعثه إليك مرة أُخرىٰ فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك ونهمك إلى أن تموت .

وأنتم أيها الرهط : نشدتكم الله ، ألا تعلمون أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها :

أولها : يوم لَقيَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خارجاً من مكه إلى الطائف ، يدعو ثقيفاً إلى الدين ، فوقع به وسبَّه وسفَّهَهُ وشتمه وكذبه وتوعده ، وهمَّ أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصُرِف عنه .

والثانية : يوم العير ، إذ عرض لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٧.

وسلّم) وهي جائية من الشام فطردها أبو سفيان ، وساحل بها ، فلم يظفر المسلمون بها ، ولعنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها .

والثالثة : يوم أُحد ، حيث وقف تحت الجبل ورسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في أعلاه ، وهو ينادي : أعْلُ هُبَل ! مراراً فلعنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عشر مرات ، ولعنه المسلمون .

والرابعة : يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله وابتهل .

والخامسة : يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدُّوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن المسجد الحرام ، والهدْيَ معكوفاً إلى أن يبلغ محله ، ذلك يوم الحديبية ، فلعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبا سفيان ، ولعن القادة والأتباع ، وقال : ملعونون كلّهم ، وليس فيهم من يؤمن . فقيل يا رسول الله ، أفما يُرجىٰ الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة ؟ فقال : لا تصيب اللعنة أحداً من الاتباع ، وأما القادة فلا يفلح منهم أحداً .

والسادسة : يوم الجمل الأحمر .

والسابعة : يوم وقفوا لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان فهذا لك يا معاوية .

وأما أنت يا ابن العاص فإنّ أمرك مشترك ، وضعتك أُمك مجهولاً من عُهرٍ[1] وسفاح فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزّارُها ، الأمهم

---

(١) كانت النابغة أُم عمرو بن العاص أُمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغياً ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب وأمية بن خلف وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمراً فادّعاه كلهم فحكّمت أمه فيه فقالت هو ابن العاص وكان العاص ينفق عليها كثيراً ، وكان عمرو ابن العاص أشبه بأبي سفيان وفي ذلك يقول حسان بن ثابت يهجو عمراً :

أبوك أبو سفيان لا شكَّ قد بدت ... لنا فيك منه بيِّنات الدلائل

حَسَباً وأخبثهم منصباً ثم قام أبوك فقال : أنا شانىء محمدٍ الأبتر فأنـزل الله فيه ما نزل[1] .

وقـاتلت رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) في جميـع المشاهـد ، وهَجَوْته وآذيته بمكة وكِدْتَه كيدَك كله وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوةً .

ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينـة لتأتي بجعفـر وأصحابه إلى أهـل مكة فلمـا أخطأك مـا رجوت ورجَعـك الله خائبـاً ، وأكـذبـك واشيـاً جعلت حـدَّك على صاحبـك عمارة بن الـوليد ، فـوشيت به إلى النجـاشيّ ، حسداً لما أرتكبَ مع حليلتك ففضحك الله وفضح صاحبك .

فأنت عدوّ هـاشم في الجاهليـة والإسلام . ثم إنـك تعلم ، وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) بسبعين بيتاً من الشعـر ، فقال رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) «اللّهم إني لا أقول الشعـر ولا ينبغي لي ، اللّهم العنه بكـل حرف لعنـة» فعليك إذاً من الله مـا لا يحصىٰ من اللعن ،

وأما ما ذكرتَ من أمر عثمان ، فأنت سعَّرت عليه الدنيا ناراً ، ثم لحقت بفلسطين فلما أتـاك قتلُه قلت : أنا أبـو عبد الله إذا نكـأتُ قرحـة أدميتها . ثم حبست نفسك إلى معاوية ، وبعتَ دينك بدنياه ، فلسنا نلومك على بُغض ولا نعاتبك على ودّ ، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضبت له مقتولاً ، ويحك يا ابن العاص ! ألستَ القائل في بني هاشم لمّا خرجت من مكة إلى النجاشيّ :

تقـول إبنتي أين هذا الـرحيـل ... ومـا السَّيْـر مني بمستنكـر
فقلت : ذريني فـإنـي امـرؤٌ ... أريـد النجـاشيَ في جعفـر
لأكـوَيـهُ عـنـده كـيَّـةً ... أُقيمُ بهـا نخـوةَ الأصْعَـر[2]

---

(١) قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر﴾ .
(٢) الصَّعَر : إمالة الخد من الكِبْر

وشـــانيءُ[1] أحمـدَ من بينهم وأقــوَلُهم فيــه بــالمنكــر
وأجـري إلى عتبةٍ جـاهـداً ولـو كـان كـالـذهب الأحمـرِ
ولا أنثني عن بـني هـاشـمٍ وما اسطعت في الغيب والمحضر
فـإنْ قُبِـل العَتْب منّي لـه وإلا لـوَيْتُ لـه مِشفَـري[2]

فهذا جوابك ، هل سمعته !

وأما أنت يا وليد ، فوالله ما ألومك على بغض عليّ ، وقد جلدك ثمانين في الخمر وقتل أباك بين يدي رسول الله صبراً ، وأنت الـذي سمّـاه الله الفاسقَ ، وسمّى علياً المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له : اسكت يا علي ، فأنـا أشجع منك جَناناً ، وأطول منك لساناً ، فقال لك عليّ : أسكت يا وليد ، فأنا مؤمن وأنت فاسق . فأنزل الله تعالى في موافقة قوله : ﴿أفمن كـان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[3] ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضـاً : ﴿إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا﴾[4] .

ويحك يا وليد ! مهما نسيت ، فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه :

أنـزل الله والكتـاب عـزيـزٌ في عليٍّ وفي الـوليـد قُـرانـا
فتبـوّى الـوليـد إذ ذاك فِسْقاً وعـليٌّ مـبـوّأً إيـمـانـا
ليس من كـان مؤمناً عَمْـركَ اللّهُ كمن كـان فـاسقـاً خَـوّانـا
سوف يُدعى الـوليد بعد قليل وعليٌّ إلى الحسـاب عِيَانـا
فعليٌّ يُجـزى بـذاك جنـانـاً ووليـد يجـزي بـذاك هـوانـا
رُبَّ جَـدٍّ لعُقبـة بـن أبـانٍ لابس في بـلادنـا تُبّـانـا[5]

---

(١) الشّنان : البغض .
(٢) المشفر ـ بوزن المغفر ـ في البعير كالجحفلة من الفرس .
(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٨ .
(٤) سورة الحجرات ، الآية : ٦
(٥) التبان : سراويل صغيرة وهو معرب من الفارسية .

وما أنت قريش ؟ إنما أنت عِلجٌ[1] مِن أهل صفُّورية ، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد ، وأسنّ ممن تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة فوالله ما أنت بحصيفٍ[2] فأجيبَك ، ولا عاقل فأحاورَك وأعاتبَك ، وما عندك خير يرجىٰ ، ولا شرّ يتقىٰ ، وما عقلك وعقل أَمَتك الإسواء ، وما يضرّ علياً لو سبَبْتَه على رؤوس الأشهاد ! .

وأما وعيدك إياي بالقتل ، فهلا قتلت اللّحيانيّ إذ وجدته على فراشك !

أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك :

يا للرجال وحادثِ الأزمانِ ولسُبَّةٍ تُخزي أبا سفيان
نُبِّئْتُ عتبةَ خانه في عِرْسِه جِبْسٌ لئيمُ الأصل من لِحْيانِ[3]

وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه ، فكيف يخاف أحد سيفك ، ولم تقتل فاضحك وكيف ألومك على بغض عليٍّ ، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدْر ، وشَرِكَ حمزة في قتل جدّك عتبة ، وأوْحَدكَ من أخيك حنظلة في مقام واحد !

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق إن في هذا وشبهه ، وإنما مثلك مثلُ البعوضة إذا قالت للنخلة : إستمسكي فإني طائرة عنك ، فقالت النخلة : وهل علمتُ بكِ واقعة عليَّ فأعلم بك طائرة عني ! .

والله ما نشعرُ بعداوتك إيانا ، ولا اغتممنا إذ علمنا بها ، ولا يشقّ علينا كلامك ، وأن حدَّ الله في الزنا لثابت عليك ، ولقد درأ عمرُ عنك حقاً والله سائله عنه ! .

ولقد سألتَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : هل ينظر الرجل

(١) العلج : الواحد من كفار العجم .
(٢) حصف : استحكم عقله .
(٣) الحبس : الفاسق ، والرديء ، والثقيل الروح .

إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال : لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم يَنْوِ الزنا» لعلمه بأنك زانٍ .

وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول : **﴿وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُتْرَفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدمَّرناها تدميراً﴾**[1] .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ، فتعلّق عمرو بن العاص بثوبه ، وقال يا أمير المؤمنين ، قد شهدت قوله فيَّ وقذفه أمّي بالزنا ، وأنا مطالب له بحدِّ القذف .

فقال معاوية : خلِّ عنه لا جزاك الله خيراً . فتركه .

فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبُّوه فعصيتموني ، والله ما قام حتىٰ أظلم عليَّ البيت ، قوموا عني ، فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزْم ، وعُدولِكم عن رأي الناصح المشفق ، والله المستعان[2] .

غزوة بدر الكبرى

ويقال لها بدر العظمى ، ويقال لها بدر القتال ، ويقال بدر الفرقان لأن الله تعالى فرَّق فيها بين الحق والباطل[3] .

وكان سببها قتل[4] عمرو بن الحضرمي وإقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلاً أو أربعون ، قريباً من سبعين رجلاً من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمرو بن

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٦ .

(٢) شرح النهج م ٢/٤٥٨ ـ ٤٦٥ .

(٣) السيرة الحلبية : ٢/٣٧٤ .

(٤) وكان سبب قتل عمرو بن الحضرمي أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمر عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وقيل إثنا عشر رجلاً وكتب له كتاباً لا ينظر فيه حتىٰ يسير يومين ففعل ذلك وكان يأمره فيه بنزول نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريش فمرت عليه عير لقريش تحمل زبيباً وغيره فيها عمرو بن الحضرمي وذلك آخر يوم من رجب فرمىٰ واقد بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله =

العـاص[١] ، فلمـا سمـع بهم رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) نـدب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعـلّ الله أن ينفلكمـوها ، فـانتدب النـاس فخف بعضهم وثقـل بعضهم ، وذلـك لأنهم لن يظنوا أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يلقي حربـاً ، وكان أبـو سفيان قـد سمـع أن النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) يـريـده فحـذر واستـأجـر ضمضم بن عمـرو الغفاري فبعثـه إلى مكة يستنفـر قريشـاً ويخبـرهم الخبـر ، فخرج ضمضم إلى مكة[٢] .

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبـل قدوم ضمضم مكـة بثلاث ليالٍ رؤيا أفزعتها فقصَّتها على أخيها العباس واستكتمته خبـرها قـالت : رأيت راكباً على بعير لـه واقفاً بـالأبطح ثم صرخ بأعلى صـوته أن انفـروا يآل غـدر لمصارعكم في ثلاث . قالت : فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد فمثل بعيره على الكعبـة ثم صرخ مثلهـا ، ثم مثل بعيـره على رأس أبي قبيس فصـرخ مثلها ، ثم أخـذ صخرة عـظيمة وأرسلهـا فلما كـانت بـأسفـل الـوادي أرفضت فمـا بقي بيت من مكـة إلاّ دخله فلقـة منهـا ، فخـرج العبـاس فلقي

= وأسروا من معه وغنمـوا ما معهم فلمـا قدمـوا قال لهم رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) ما أمرتكم بقتـالٍ في الشهر الحـرام ؟ ! فعنفهم المسلمون وقـالت قريش : قـد إستحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فأنزل الله الآية : ﴿**يسألـونك عن الشهـر الحرام قتال فيه**﴾ .

(١) عمـرو بن العاص بن وائـل السهمي أحد دهـاة العرب ، وكـان من أشد النـاس عـداوة لرسول الله هجا النبي سبعين بيتاً وعلمها الصبيان فإذا مرّ بهم رسول الله رفعوا أصواتهم فلعنه الرسول بعدد كل بيت لعنة ، وكان ممن روع إبنة رسـول الله زينب واسقط جنينها ثم أرسلت به قريش إلى الحبشة يحرض النجاشي على طرد المسلمين عنهـا وتسليمهم لقـريش ثم أسلم سنة ثمـان للهجرة وشهـد فتوح الشـام وولّاه عمر بن الخـطاب ولايـة فلسطين ثم سيره لمصر ففتحها واستعمله عليها حتىٰ عزله واستعمل مكـانه عبـد الله بن سعد فكان يوقع عمـرو بعثمان ويؤلب النـاس عليه فلمـا قتل قـال : أنا أبـو عبد الله إذا نكـأت قرحـة أدميتها قتلتـه وأنا بـوادي السباع ، ثم انـظم إلى معاويـة وكـان يـدبـر لـه سياسته توفي في يوم عيد الفطر لسنة ٥٣ للهجرة عن ٩٠ عاماً .

(٢) الكامل في التأريخ : ٢/١١٦

الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقه فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الخبر فلقي أبو جهل العباس فقال له : يا أبا الفضل أقبل إلينا . فلما فرغتُ من طوافي أقبلت إليه فقال لي ؛ متىٰ حدثت فيكم هذه النبيّة ؟ وذكر رؤيا عاتكة ، ثم قال : ما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتىٰ تتنبأ نساؤكم فستربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقاً وإلاَّ كتبنا أنكم أكذب أهل بيْت في العرب . قال العباس : فما كان مني إليه إلا أني جحدت ذلك وأنكرته ، فلما أمسيت أتاني نساء بني عبد المطلب وقلن لي : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تنكر عليه ذلك ، قال قلت : والله كان ذلك ، ولأتعرضنَّ له فإن عاد كفيتكموه . قال : فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أحب أن أدركه فرأيته في المسجد فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فأوقع به ، فخرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت : ما باله قاتله الله أكُلّ هذا فرَقاً[1] من أن أشاتمه ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدّعه[2] وحوّل رحله وشقّ قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدري إنْ تدركوها ، الغوث الغوث ، فشغلني عنه وشغله عني ، قال : فتجهز الناس سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وعزم أُمية بن خلف الجمحي على القعود فإنه كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً فأتاه عقبة بن أبي مُعَيط بمجمرةٍ فيها نار وما يتبخر به وقال : يا أبا علي إستجمرْ فإنما أنت من النساء . فقال : قبحك الله وقبح ما جئت به ، وتجهز وخرج معهم[3] .

وخرج محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من المدينة لثلاث خلون من رمضان سنة اثنتين للهجرة ومعه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم سبعة وسبعون

---

(١) الفَرَق : الخوف .

(٢) الجدع : قطع الأنف والأذن واليد والشَّفَةِ .

(٣) الكامل لابن الأثير ط ١٩٨٧ ٢/ ١٤ - ١٧ ، وراجع السيرة الحلبية : ٢/ ٢٧٥ - ٣٧٧ .

من المهاجرين والباقون من الأنصار ولم يكن فيهم إلاّ فارسان أحدهما المقداد بن عمرو الكندي بلا خلاف والثاني قيل هو الزبير وقيل غيره ، وكانت الإبل سبعين يتعاقون عليها ، ونزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الصفراء وجاءته الأخبار بأن العير قد قاربت بدراً ، وأن المشركين قد خرجوا ليمنعوا عنها ، ثم إرتحل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ونزل في بدر على أدنى ماء من القوم[1] .

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد بعث علياً والزبير وسعداً[2] يلتمسون له الخبر ببدر فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الجحجاح ، وأبو يسار غلام بني العاص فأتوا بهما النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو قائم يصلي فسألوهما فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فَكَرِهَ القوم خبرهما وضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان فقالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وفرغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من الصلاة وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقا أنهما لقريش . أخبراني أين قريش ؟ . قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعَدْوة القصوى . فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : كم عدتهم ؟ قالا : لا ندري ، قال : كم ينحرون ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال : القوم بين التسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد ، وأبو البُخْتَرىٰ بن هشام ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن عامر ،

---

(١) تاريخ أبي الفداء . ١٢٨/١ .

(٢) سعد بن أبي وقاص الزهري ، صحابي ، كان من قادة الجيش الإسلامي فتح العراق ومدائن كسرى وهو أحد الذين رشحه عمر للخلافة ، كان إسلامه وهو ابن سبع عشرة سنة وشهد مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بدراً . وهو أول من نزل الكوفة وجعلها خططاً لقبائل العرب وذلك بعد فتح العراق وجعله عمر والياً على الكوفة ثم أقره عثمان عليها زمناً قصيراً ثم عزله فعاد إلى المدينة وفقد بصره ومات في قصره بالعقيق ونقل ألى المدينة ، وهو أحد المتخلفين عن علي (عليه السّلام) .

وطعيمة بن عدي ، والنضر بن الحارث ، وزمعه بن الاسود ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ونُبيه ، ومُنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد وُدّ . فأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على أصحابه وقال : هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ كبدها»[1][2] .

أما قريش فإنهم بعثوا عمير بن وهب الجُمحيّ فقالوا : احرز[3] لنا أصحاب محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلاث مائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ولكن أمهلوني حتىٰ أنظر اللقوم كمين أو مدد ؟ فضرب في الوادي حتىٰ أبعد فلم يـر شيئاً فرجع اليهم فقال : ما وجدت شيئاً ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضحَ[4] ليثرب تحمل الموت الناقع[5] ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتىٰ يقتل رجلاً منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فَرَوْا رأيكم ! فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشىٰ في الناس فأتىٰ عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيّدها المطاع فيها ! هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال ؛ وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي ، قال : قد فعلت أنت عليَّ بذلك إنما هو حليفي فعليَّ عَقْله[6]

---

(١) وفي رواية : قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها . قال الشريف الرضي في المجازات النبوية : وهذه من أنصع العبارات وأوقع الاستعارات ، ولهذا الكلام معنيان احدهما أن يراد بالكبد كالمراد بالقلب لتقارب الشيئين وشرف العضوين فيقال فلان قلب في بني فلان . والثاني : أن يكون المراد بذلك أعيان القوم ورؤساؤهم فكأنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أقام مكة مقام الحشا التي تجمع هذه الأعضاء كالقلب والكبد والنياط والفؤاد وجعل رجال قريش كشُعَب الكبد التي تحنو عليها الأضالع وتشتمل عليها الجوانح وقاية لها ورفرفة عليها . انظر المجازات /٨ ـ ٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير : ١٧/٢ ، السيرة الحلبية : ٣٨٨/٢ .

(٣) احرز : احدس .

(٤) الناضح : البعير يستقى عليه .

(٥) الناقع : البالغ وقيل الثابت .

(٦) العَقْل : الدية .

وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية ـ الحنظلية أم أبي جهل ـ فإني لا أخشىٰ أن يَشجُرَ أجمر الناس غيره ـ يعني أبا جهل بن هشام ـ ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال : يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن اصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقت حتىٰ جئت أبا جهل فوجدته قد نثل[1] درعاً له من جرابها فهو يَهْنِئها[2] فقلت : يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال ، فقال : انتفخ والله سَحْرُهُ حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاّ والله لا نرجع حتىٰ يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أَكَلَةُ جزور وفيهم ابنه[3] فقد تخوّفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خُفْرَتك[4] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمراه ! واعمراه ! فحميت الحرب وحَقِبَ[5] أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل «انتفخ والله سحره»

---

(١) نثل : أخرج .

(٢) يهنئها : يطليها بعكر الزيت .

(٣) وهو مهشّم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أسلم وشهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسمّاه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبا حذيفة ، ولمّا قتل أبوه عتبة وأسر العباس عمّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال أبو حذيفة : أيقتل آباؤنا وأبناؤنا وأخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف ، فبلغت كلمته رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان أبو حذيفة يقول · ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلاّ أن تكفّرها عني الشهادة . فقتل أبو حذيفة يوم اليمامة سنة إحدى عشرة للهجرة .

(٤) الخفر : الاستجارة فيقال خفيرك أي مجيرك .

(٥) حقب : تعسّر واشتد .

قال : سيعلم ؟مصَفِّر استه مَنْ انتفخ سحره أنا أم هـو ؟ ثم إلتمس عتبة بيضـة ليُدخلها في رأسه فما وجـد في الجيش بيضة تَسَعُـه من عظم هـامته فلمـا رأى ذلك إعتجر[1] على رأسه ببُرد له[2] . وكان كارهاً الخـروج وتثاقـل منه وكـان قوي الرأى علم بسوء العاقبـة فلما رآه رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) وهو على جمل له أحمر قال : «إن يكن في أحد من القـوم خيرٌ فعنـد صاحب الجمـل الأحمر إن يـطيعوه يـرشدوا[3]» ثم وقعت المعـركة فكـان أول من برز الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيء الخلق فقال : أعاهـد الله لأشبـربنَّ من حوضهم أو لأهـدمنَّه أو لأمـوتنَّ دونه ، فلمـا خرج خـرج إليه حمزة بن عبد المطلب فلما إلتقيا ضربه حمزة فأطنَّ[4] قدمـه بنصف ساقـه وهو دون الحوض فوقـع على ظهره تشخب رجله دمـاً نحو أصحـابه ، ثم حبـا إلى الحوض حتىٰ إقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ[5] يمينه ، وأتبعـه حمزة فضـربه حتىٰ قتله في الحوض[6] .

ثم خرج عتبة[7] بن ربيعة بين أخيه شيبة[8] بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة

---

(١) إعتجر : أي تعمم دون أن يضع منها شيء تحت لحيته .

(٢) السيرة لابن هشام : ٢/٢٧٤ - ٢٧٦ .

(٣) السيرة لابن هشام : ٢/٢٧٣ ، الكامل : ٢/٢٠ .

(٤) أطنَّ : أطن قدمه أي قطعها .

(٥) يبر : أي يصدق .

(٦) السيرة لابن هشام : ٢/٢٧٦ .

(٧) عتبة بن ربيعة بن عبـد شمس ، أمه هنـد بنت المضرّب ، ويكنى أبـا الوليـد وكان من زعماء قريش وكبـارهم ، فلما ظهـر أمر رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) وإزداد أصحابه ذهب إليه عتبة يعرض عليه أموراً لعله يكفّ عن دعوته بقبولهـا فقال عتبـة : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب وقـد أتيت قومـك بأمـر عظيم فـرّقت به جمـاعتهم ، فاسمـع مني اعرض عليـك أموراً لعلك تقبـل بعضهـا . إن كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتىٰ تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد تشريفـاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك وإن كان هـذا يأتيـك رئياً لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب حتىٰ تبرأ ، فتلا عليـه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سورة السجدة وعتبة منصت فلما انتهى انصرف عنه إلى قريش وأخبرها أنـه =

حتىٰ إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم : عوف ، ومُعوِّذ ـ ابنا الحارث وأمهما عفراء ـ ورجل آخر يُقال هو : عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادىٰ مناديهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي قالوا : نعم أكفاء كرام . فبارز عبيدة ـ وكان اسنّ القوم ـ عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، وأختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فدفّفا[1] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه أصحابه[2] . ثم أوقع المسلمون بالمشركين ضرباً فهزموهم فقتل صناديدهم ورؤساؤهم كأبي جهل وأمية بين خلف ، وقتل من بني أمية ثلاثة حنظلة بن أبي سفيان ، وعبيدة بن سعيد والعاص بن سعيد .

أما عقبة بن أبي معيط فإنه أُسر ثم أمر به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقتل .

= لا طمع له في مال ولا في سلطان وأشار عليهم أن يخلّو بينه وبين العرب فإن تغلبت عليه استراحوا منه وإن إتبعته فلقريش فخاره فلم يعجبهم ذلك . قتل وله من العمر سبعون سنة .

(٨) شيبة بن ربيعة ، وأمه أم أخيه ويكنىٰ أبا هاشم ، وقد عرف في كبار زعماء قريش وكان يقف بعرفة إذا حجَّ بخلاف سائر قريش ، فلما بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يجتمع مع عدة من رجال قريش لتكذيب الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأذى به عير أنه لا يتولىٰ ذلك بنفسه بل يغري به سفهاء قريش وصبيانها وكان شيبة أسنُّ من أخيه عتبة بثلاث سنوات . وقد كره شيبة الخروج لقتال المسلمين لولا إكراه أبي جهل له على ذلك .

(١) دفعا عليه أي أسرعا قتله .

(٢) السيرة لابن هشام . ٢/٢٧٧ .

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لمّا إنجلت الغبرة وصرّع القوم قد أمر بالقتلىٰ أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلاّ ما كان من أمية بن خلف فإنه إنتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل لحمه فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فقال أصحابه : يا الله أتكلم قوماً موتىٰ ؟ فقال لهم : «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً»[1]

٥

معاوية بن المغيرة بن أبي العاص

بن أمية بن عبد شمس

وفي جمهرة أنساب العرب : معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عمّ عثمان بن عفان بن أبي العاص ، قتله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صبراً يوم أحد ، ولم يعقب إلاّ إبنة تسمىٰ عائشة تزوجها مروان فولدت له عبد الملك وقد إنقرض عقب المغيرة[2] .

وفي نسب قريش : وولد المغيرة بن أبي العاص : معاوية قتله النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صبراً عند مُنْصَرَفَهُ من أُحد ، وهو الذي مثّل بحمزة بن عبد المطلب بأحد ، وأمه بُسْرَةُ بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ[3] .

وكان قتله في موضع حمراء الأسد على بعد بضعة أميال من المدينة ، وكان أمنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثلاثاً ليحلق بمكة فتأخر

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/٢٩٢ ، وراجع المغازي : ١/١١٢ .
(٢) جمهرة انساب العرب /٨٣ .
(٣) نسب قريش /١٧٣ .

ليستعلم أخبار النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذ عزم رسول الله في اليوم التالي لغزوة أُحد ـ وكانت في يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة ـ للخروج إثر المشركين ، فأخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المسلمين بتأخر معاوية وأرسلَ مَنْ يقتله[1] .

وفي الكامل لابن الأثير : لمّا كان الغد من يوم الأحد أذَّن مؤذن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالغزو وقال : لا يخرج معنا إلاّ من حضر بالأمس . فخرج ليظن الكفار به قوة ، وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم وساروا حتىٰ بلغوا حمراء الأسد ـ وهي من المدينة على سبعة أميال ـ فاقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ومرّ به معبد الخزاعي وكانت خزاعه مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله (صلّى الله عايه وآله وسلّم) بتهامة ، وكان معبد مشركاً فقال : يا محمد لقد عزَّ علينا ما أصابك . ثم خرج من عند النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فَلَقِيَ أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله ، قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا ، وما ترحل حتىٰ ترى نواصي الخيل . قال : فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم ، قال : إني انهاك عن هذا ، فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ، ومرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم : بلّغوا عني محمداً رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ . قالوا : نعم . قال : أخبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم . فمروا بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو بحمراء الأسد فأخبروه فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم) : حسبنا الله ونعم الوكيل . ثم عاد إلى المدينة وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عزة عمرو بن عبيد الله الجمحي ،

---

(١) راجع المغاري : ٣٣٢/١ ، الدرر : ١٦٧ ، السيرة لابن هشام : ١١١/٣ ، السيرة الحلبية : ٥٥٥/٢ .

وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد وساروا وتركوه نائماً ، وكان أبو عزة قد أُسر يوم بدر فأطلقه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بغير فداء لأنه شكا إليه فقراً وكثرة عيال فأخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله ، فخرج معهم يوم أُحد وحرّض على المسلمين فلما أُتي به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال له : يا محمد أمنن عليَّ ، قال : المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . وأمر به وقتل .

وأما معاوية بن المغيرة بن العاص بن أُمية وهو الذي جَدَعَ أنف حمزة ومثّل به مع من مثل به وكان قد أخطأ الطريق فلما أصبح أتىٰ دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان : أهلكتني وأهلكت نفسك . قال : أنت أقربهم مني رحماً وقد جئتك لتجيرني ، وأدخله عثمان داره وقصد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليشفع فيه فسمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : معاوية بالمدينة فاطلبوه فأخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال عثمان : والذي بعثك بالحق ما جئت إلاّ لأطلب له أماناً فهبه لي . فوهبه له وأجّله ثلاثة أيام ، وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه فجهزه عثمان وقال له : ارتحل . وسار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى حمراء الأسد وأقام معاوية ليعرف أخبار النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلما كان اليوم الرابع قال النبيْ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إن معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فاطلبوه فطلبه زيد بن حارثة وعمار فأدركاه بالحماة فقتلاه[1] انتهى .

وفي شرح النهج : فأمّا معاوية بن المغيرة فروى البلاذري أنه هو الذي جدع[2] أنف حمزة ومثّل به ، وأنه إنهزم يوم أُحد فمضىٰ على وجهه فبات قريباً من المدينة فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبي العاص ـ وهو ابن عمه لِحّاً ـ فضرب بابه فقالت أُم كلثوم زوجته وهي ابنة

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٥/٥٧ .

(٢) جدع : قطع .

رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ليس هو هاهنا ، فقال : أبعثي إليه فإن له عندي ثمن بعير إبتعته منه عام أول وقد جئته به فإن لم يجيء ذهبت ، فأرسلت إليه وهو عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلما جاء قال لمعاوية : أهلكتني وأهلكت نفسك ! ما جاء بك ؟ قال : يا بن عم ، لم يكن أحد أقرب إليّ ولا أمسّ رحماً بي منك فجئتك تجيرني ، فأدخله عثمان داره وصيَّره في ناحية منها ، ثم خرج إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ليأخذ له منه أماناً ، فسمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : إن معاوية في المدينة وقد أصبح بها فاطلبوه . فقال بعضهم : ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه به ، فدخلوا منزل عثمان فأشارت أُم كلثوم إلى الموضع الذي صيَّره فيه فاستخرجوه من تحت خمارة[1] لهم ، فانطلقوا به إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال عثمان حين رآه : والذي بعثك بالحق ما جئت إلاّ لأطلب له الأمان فهبه لي ، فوهبه له ، وأجّله ثلاثاً وأقسم : لئن وجده بعدها يمشي في أرض المدينة وما حولها ليقتلنَّه وخرج عثمان فجهَّزه واشترى له بعيراً ثم قال : إرتحل . وسار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى حمراء الأسد ، وأقام معاوية إلى اليوم الرابع قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إن معاوية أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه ، فأصابوه وقد أخطأ الطريق فأدركوه وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فوجداه بالجّماء فضربه زيد بالسيف ، وقال عمار : إن لي فيه حقاً فرمياه بسهمٍ فقتلاه ثم انصرفا إلى المدينة بخبره . ويُقال : أنه أدرك على ثمانية أميال من المدينة فلم يزل زيد وعمار يرميانه بالنبل حتىٰ مات[2] . وقيل تبعه علي (عليه السلام) فقتله[3] .

(١) الخمارة : كل ما يستتر به .
(٢) شرح النهج : م ٤/٥٠٢ .
(٣) السيرة الحلبية : ٢/٥٥٥ .

٦

سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية

كان إسلامه قبل فتح مكة بيسير ، واستعمله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد الفتح على سوق مكة ، فلما خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الطائف خرج معه فاستشهد[1] .

٧

خالد بن سعيد بن العاص
بن أمية بن عبد شمس

ويكنى أبا سعيد ، وأمه أم خالد بنت حباب الثقفية ، من السابقين الأولين ، قيل كان رابعاً أو خامساً ، وكان سبب إسلامه رؤيا رآها أنه على شعب نار فأراد أبوه رميه فيها فإذا النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد أخذ بحقويه[2] ، فأصبح فأتى أبا بكر فقال : اتبع محمداً فإنه رسول الله ، فجاء فأسلم[3] .

وروي عن أم خالد[4] بنت خالد بن سعيد قالت : لمّا كان قبيل مبعث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بينا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم ، قال : رأيت ظلمة غشيت مكة حتىٰ لا يبصر إمرؤ كفّه ، فبينما هو كذلك إذ خرج نور ثم علا في السماء فأضاء في البيت ، ثم أضاءت مكة كلّها ، ثم إلى نجد ،

---

(١) الاستيعاب : ٦١٢/٢ ، الإصابة : ٩٧/٣ ، تاريخ خليفة : ٦٢/١ .

(٢) الحقو : الخصر .

(٣) أسد الغابة : ٩٠/٢ .

(٤) أم خالد الأموية بنت سعيد بن العاص ، ولدت لأبيها بالحبشة ، ولها صحبة ورواية ، توفيت في حدود الثمانين ، وروى لها البخاري وأبو داود والنسائي (انظر الوافي بالوفيات : ٢٨٤/١٣) .

ثم إلى يثرب ، فأضاء حتىٰ أني لأنظر إلى البسر[1] في النخل . قال : فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد ـ وكان جزل[2] الرأي ـ فقال : يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب . قال خالد : فإنه لمما هداني الله به للإسلام . قالت أم خالد : فكان أول من أسلم ـ أي وذلك ـ أنه ذكر رؤياه لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : يا خالد، وأنا والله ذلك النور ، وأنا رسول الله . فقصَّ عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده[3] .

وروي عن ابنته أم خالد أنها قالت : كان أبي خامساً في الإسلام فقيل لها : من تقدمه ، قالت : علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأبو بكر ، وزيد بن حارثة ، وسعد بن أبي وقاص[4] .

وعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه من بقي من ولده ممن لم يُسلم ورافعاً مولاه فوجدوه فأتوه إلى أبيه أبي أحيحة فأنَّبه وكبته[5] وضربه بمقرعة[6] في يده حتىٰ كسرها على رأسه ، ثم قال : إتبعت محمداً وأنت ترى خلافه قومه ، وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضىٰ من آبائهم ، فقال خالد : قد صدق والله واتبعته . فغضب أبوه ونال من ابنه وشتمه وقال : أذهب يا لكع[7] حيث جئت فوالله لأمنعنَّك القوت ، فقال خالد : إن منعتني فإن الله يزرقني ما أعيش به . فأخرجه وقال لبنيه : لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به . فانصرف خالد إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان

---

(١) البُسر : بضم الباء أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بُسْر ثم رطب ثم تمر .

(٢) الجزل : ضد الركيك أي كان قوي الرأي .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٤٥ .

(٤) أسد الغابة : ٢/٩٠ .

(٥) كبته : صرعه .

(٦) المقرعة : بالكسر ما تقرع به الدابة .

(٧) لكع : رجل لكع بوزن عمر أي لئيم ، وقيل هو العبد الذليلَ النفس .

يلزمه ويكون معه[1] .

وكان أبوه شديد العناد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فألمَّ به مرض فقال : لئن رفعني الله من مرضي لا يعبد إله ابن أبي كبشة ببطن مكة . فقال خالد بن سعيد : اللهم لا ترفعه[2] .

ولمّا أشتد الأذى بالمسلمين هاجر خالد فيمن هاجر إلى الحبشة وصحب معه امرأته أُميمة بنت خالد الخزاعية فولد له بها ابنه سعيد وابنته أُم خالد وقد روي عنها أنها قالت : كان أبي خامساً في الإسلام وهاجر إلى أرض الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة وولدتُ أنا بها[3] .

ثم كشف الله عن المسلمين الضر ورفع عنهم الأذى فكتبَ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى النجاشي يطلبهم ويخطب أُم حبيبة بنت أبي سفيان[4] وكانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر عبد الله المذكور وأقام بالحبشة فزوجها للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص[5] وروي أن خالد بن سعيد قام خطيباً فقال : الحمد لله احمده وأستعينه واستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٥/٤٦ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/٩١ .

(٣) تاريخ الإسلام للذهب : لاظ/٣٧٨ .

(٤) قالت أم حبيبة رضي الله عنها : رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي : يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها بأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يتزوجني . قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لي : إن الملك يقول لك : إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتب إليه أن يزوجك منه فقلت لها : بشره الله بالخير ، ويقول لك وكّلي من يزوجك فأرسلت بالوكالة إلى خالد بن سعيد رضي الله عنه . انظر السيرة الحلبية : ٢/٧٥٨ .

(٥) تاريخ الأحمدي /٨٥ .

أما بعد : فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1] .

ورجع خالد مع جعفر بن أبي طالب في السفينتين وقدما على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بخيبر، وشهد خالد مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عمرة القضية وحنيناً والطائف وفتح مكة وتبوك، وبعثه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على صدقات اليمن وقيل على صدقات مذحج وعلى صنعاء فتوفى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولم يزل خالد على عمله فلما وصل خبر وفاته رجع عن عمله هو وإخوته ـ وكان رسول الله قد استعملهم على الصدقات ـ فقال لهم أبو بكر : ما لكم رجعتم ؟ ما أحد أحق بالعمل من عمّال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ارجعوا إلى أعمالكم . فقالوا : نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبداً[2] .

وكان خالد بن سعيد من شيعة علي بن أبي طالب فتأخر عن بيعة أبي بكر وقال لبني هاشم : إنكم لطوال الشجر ، طيبوا الثمر ، ونحن تبع لكم . فلما بايع بنو هاشم بايعه خالد[3] وأبان معه فإنه تأخر عن البيعة أيضاً .

وكان خالد بن سعيد يميل إلى الأنصار ويرى رأيهم في أمر الخلافة فلما بويع أبو بكر وتمت له البيعة وقع التشاح بين المهاجرين والأنصار وأنصارهما ثم سكنت الفتنة وانقضت لغلبة أمر المهاجرين وبيعة صاحبهم ، غير أنها لم تنته بعد فظلّت ناراً تحت الرماد سرعان ما تشتعل في الأندية والمجالس كلما ذكر أمر فلان وفلان ، فروي أنه اجتمعت جماعة من قريش يوماً وفيهم ناس من الأنصار وأخلاط من المهاجرين وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها

---

(١) السيرة الحلبية : ٧٥٩/٢ .
(٢) أسد الغابة : ٩٢/٢ .
(٣) أسد الغابة : ٩٣/٢ .

وسكون الفتنة فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه ، فجاء إليهم فأفاضوا[1] في ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر ، فقال عمرو بن العاص : والله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة ، ولما دفع الله عنهم أعظم ، كادوا ـ والله ـ أن يحلّوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه ، ويخرجوا منه مَن أدخلوا فيه . والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : الأئمة من قريش ثم ادّعوها لقد هلكوا وأهلكوا ، وإن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين ولا سعد كأبي بكر ، ولا المدينة كمكة ، ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء ولو قاتلناهم لغلبناهم على العاقبة .

فلم يجبه أحد وانصرف إلى منزله وقد ظفر فقال :

ألا قل لأوسٍ إذا جئتها ... وقلها إذا ما جئت للخزرج
تمنيتم الملك في يثربٍ ... فأنزلت القِدر لم تنضج
وأخدجتم الأمر قبل التما ... مِ وأعجب بذا المعَجل المخدجِ[3]
تريدون نتجِ الحيال[4] العشا ... رَ[5] تلقحوه فلم ينتجِ
عجبت لسعدٍ وأصحابه ... ولو لم يهيجوه لم يهتجِ
رجا الخزرجيّ رجاء السراب ... وقد يخلف المرءَ ما يرتجي
فكان كمُنْحٍ على كفّه ... بكفٍّ يقطّعها أهوج[6]

---

(١) أفاض : فاض الماء أي كثر حتىٰ سال على ضفة الوادي .

(٢) سعد بن عبادة بن الخزرجي صحابي من أهل المدينة كان سيّد الخزرج وكان يلقب في الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد أحداً والخندق وغيرهما وكان أحد النقباء الاثني عشر ولمّا توفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رشّحه قومُه للخلافة ثم غلب عليها أبو بكر فخرج مهاجراً فمات بحوران .

(٣) المخدج : الناقص .

(٤) حالت الناقة تحول حؤولاً بالضم وحيالاً بالكسر ضربها الفحل فلم تحمل وهي إبل حيال .

(٥) العشار . جمع عُشَرَاء كفقهاء وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر .

(٦) رجل أهوج بيّن الهوج فيه تسرُّع وحُمْق .

فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان ابن العجلان ، وكان رجلاً أحمر قصيراً تزدريه العيون ، وكان سيّداً فخماً ، فأتىٰ عمراً وهو في جماعة من قريش فقال : والله يا عمرو ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم ، وما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه . إن كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ قال الأئمة من قريش فقد قال : لو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكتُ شِعب الأنصار . والله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا : منا أمير ومنكم أمير . وأما مَن ذكرت فأبو بكر لعمري خير من سعد ، لكِن سعداً في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش .

فأما المهاجرون والأنصار فلا فرق بينهم أبداً ، ولكنك يا ابن العاص وَتَرتَ بني عبد مناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه ووترت بني مخزوم باهلاك عُمارة[1] بن الوليد ثم انصرف فقال :

(١) عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ أخو خالد بن الوليد ، وأما أمره فجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد : «كان عُمارةَ بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل ، بعد مبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، خرجا إلى أرض الحبشة على شِركهما ، وكلاهما كان شاعراً عارماً فاتكاً وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً وسيماً تهواه النساء صاحب محداثة لهنّ . فركبا البحر ومع عمرو بن العاص امرأته ، حتىٰ إذا صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معهما فلما انتشىٰ عُمارة قال لامرأة عمرو ابن العاص : قبّليني ، فقال لها عمرو: قبِّلي ابن عمك فقبّلته فهويها عمارة وجعل يراودها عن نفسها فامتنعت منه . ثم أن عمراً جلس على منجاف السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر فلما وقع عمرو سبح حتىٰ أخذ بمنجاف السفينة فقال له عمارة أما والله لو علمت أنك سابح ما طرحتك ولكنني كنت أظن أنك لا تُحسن السباحة ، فضغن عمرو عليه في نفسه ، وعلم أنه كان أراد قتله ، ومضيا على وجههما ذلك حتىٰ قدما أرض الحبشة ، فلما نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل : إن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وسائر بني مخزوم وخشي على أبيه أن يُتبع بجريرته . فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل مشىٰ إلى رجال بني المغيرة وبني مخزوم فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم وكلاهما فاتك صاحب شر غير مأمونين على أنفسهما ولا أدري ما يكون منهما وإني أبرء إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعته . فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم : أنت تخاف عمراً على عُمارة ! ونحن فقد خلعنا عُمارة وتبرأنا إليك من جريرته فخلِّ بين الرجلين . قال : قد فعلت ، فخلعوهما وبرىء

فقل لقريش : نحن أصحاب مكة	ويوم حُنين والفوارس في بدر
وأصحاب أُحُدٍ والنضير وخيبرٍ	ونحن رجعنا من قُرَيظةَ بالذكر

= كل قوم من صاحبهم وما يجري منه فلما أطمأنا بأرض الحبشة ، لم يلبث عمارة بن الوليد أن دبّ لامرأة النجاشي وكان جميلاً صبيحاً وسيماً فأدخلته فاختلف إليها وجعل إذا رجع من مَدخله ذلك يخبر عمراً بما كان من أمره فيقول عمرو : لا أصدقك إنك قدرت على هذا ، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك ، فلما أكثر عليه عُمارة بما كان يخبره ـ وكان عمرو قد علم صدقه وعرف أنه دخل عليها ورأى من حاله وهيئته وما تصنع المرأة به إذا كان معها وبيتوتة عندها حتىٰ يأتي إليه مع السَّحَر ما عرف به ذلك وكانا في منزل واحد ، ولكنه كان يريد أن تأتيه بشيء لا يستطاع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي ـ فقال له في بعض ما يتذاكران من أمرها : إن كنت صادقاً فقل لها : فلتدهنك بدهُن النجاشي الذي لا يدّهن به غيره فإني أعرفه وائتني بشيء منه حتىٰ اصدقك ، قال : افعل ، فجاء في بعض ما يدخل إليها فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئاً في قارورة فلما شمّه عمرو عرفه فقال : أشهد إنك قد صدقت ! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله قط ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا ، وكانوا أهل جاهلية وشباناً وذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه وقدر عليه .

ثم سكت عنه حتىٰ اطمأن ودخل على النجاشي فقال : أيها الملك إن معي سفيهاً من سفهاء قريش وقد خشيت أن يعرّني عندك أمره وأردت أن أعلمك بشأنه وإلا أرفع ذلك إليك حتىٰ استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر وهذا دهنك قد أعطته وادّهن به .

فلما شمّ النجاشي الدهن قال : صدقت ، هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي فلما أثبت أمره دعا بعمارة ودعا نسوة أُخَرَ فجرّدوه من ثيابه ثم أمرهن أن ينفخن في إحليله ثم خلى سبيله .

فخرج هارباً في الوحش فلم يزل في أرض الحبشة حتىٰ كانت خلافة عمر بن الخطاب فخرج إليه رجال من بني المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بحيرا فلم أسلم سمّاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عبد الله فرصدوه على ماء بأرض الحبشة كان يروه مع الوحش فزعموا أنه أقبل في حُمر من حُمر الوحش ليرد معها فلما وجد ريح الإنس هرب منه حتىٰ إذا أجهده العطش ورد فشرب حتىٰ تملأ وخرجوا في طلبه .

قال عبد الله بن أبي ربيعة : فسبقت إليه فالتزمته فجعل يقول : أرسلني ، إني أموت إن أمسكتني . قال عبد الله فظبطتُه فمات في يدي مكانه فواروه ثم انصرفوا . راجع شرح النهج : ٦/٣٠٤ ـ ٣٠٧ .

ويوم بأرض الشام أدخل جعفر وزيد وعبد اللّه في عَلَقٍ[1] يجري
وفي كل يوم ينكر الكلبُ أهله نطاعن فيه بالمثقّفةِ السُّمْر
ونضرب في نقع[2] العجاجة أرؤساً ببيضٍ كأمثال البروق إذا تسري
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف[3] الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقومٍ هاجروا قبلُ : مرحباً وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وبيوتنا كقسمة أيسار[4] الجزور على الشّطر
ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه وكنّا أناساً نُذهب العُسر باليسر
وقلتم : حرامٌ نَصْبُ سعدٍ ونصبكمْ عتيق بن عثمان حلالٌ أبا بكر
وأهلٌ أبو بكرٍ لها خيرُ قائمٍ وإن علياً كان أخلق[5] بالأمر
وكان هوانا في عليّ وإنه لأهلٌ لها يا عمرو من حيثُ لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى وينهى عن الفحشاء والبغي والنُّكر
وصيُّ النبي المصطفى وابن عمّه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
وهذا بحمد اللّه يهدي من العمى ويفتح آذاناً ثقلن من الوَقر[7]
نجيٌّ[6] رسول اللّه في الغار وحده وصاحبه الصدِّيق في سالف الدهر
فولا إتقاء اللّه لم تذهبوا بها ولكنّ هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرضَ إلّا بالرضا ولربما ضربنا بأيدينا إلى أسفل القِدر

فلما انتهىٰ شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثيرٌ منها ، وألفىٰ ذلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن ، وكان رسول الله استعمله

---

(١) العلق : الدم الغليظ .
(٢) النقع : الغبار .
(٣) صروف الليالي : نوائبها .
(٤) الياسر : الجازر والذي يلي قسمة الجزور والجمع أيسار .
(٥) الأخلق : الجدير بالأمر .
(٦) الوقر : بالفتح الثقل في الأذن .
(٧) النجي : النجو السِّر بين اثنين يُقال نجوته نجواً أي ساررته وانتجىٰ القوم وتناجوا أي تسارُّوا والنجي على فعيل الذي تُساره والجمع الأنجية .

عليها ، وكان لـه ولأخيه أثـر عظيم في الإسـلام ، وهما من أول من أسلم من قريش ولهما عبادة وفضل . فغضب للأنصار وشتم عمرو بن العاص وقال :

تفـوَّه عمـرو بـالـذي لا نـريـده ... وصرَّح للأنصـار من شنأة البغض

فـإن تكن الأنصـار زلّت فـإننـا ... نقيل ولا نجزيهم القرض بالقرض

فلا تقطعن يا عمرو مـا كان بيننـا ... ولا تحملنْ يا عمرو بغضاً على بغض

أتنسىٰ لهم يا عمرو مـا كان منهمُ ... ليالي جئناهم من النّفـل والفرض

وقسْمَتنا الأموال كاللحم بالمـدي ... وقسمتنـا الأوطان كـلٌّ بـه يقضي

ليـالي كلُّ النـاس بـالكفـر جهـرة ... ثِقال علينا مجمعون على البغض

فسـاووا وآووا وانتهينـا إلى المنىٰ ... وقرٌّ قرارانا من الأمن والخفض[١]

وفي شـرح النهج : أن رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عملٍ فلما قدم بعدمـا قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقـد بايـع النـاس أبـا بكر فـدعاه إلى البيعـة فأبىٰ ، فقـال عمر : دعني وإياه ، فمنعه أبو بكر حتىٰ مضت عليه سنـة ، ثم مرّ بـه أبو بكـر وهو جالس على بابه فناداه خالد : يا أبا بكر هل لك في البيعة ؟ قال : نعم ، قال : فادْنُ ، فدنا منه فبايعه خالد وهو قاعد على بابه[٢] .

فلما بعث أبو بكر الجنود إلى الشام كان أول من استعمل خالد بن سعيد فكلّم عمـر أبا بكـر حتىٰ عزلـه ثم دعا يـزيد بن أبي سفيـان فعقـد لـه ، فقـال خالد : والله ما سرَّتنا ولايتكم ، ولا ساءنا عزلكم ، وإن الملوم لغيرك . فجاءه أبو بكر وهو يعتذر إليه ويعزم عليه أن لا يذكر عمر بحرف[٣] .

ثم خرج خالد بن سعيد مع الجيش الذي بعثه أبو بكر لقتال الـروم وفتح الشام فكانت معـركة أجنـادين[٤] التي انهزم فيهـا المشركـون وخذلـوا خذلانـاً

---

(١) الأخبار الموفقيات/٥٩١ ـ ٥٩٤ .

(٢) شرح النهج : م٢/٢٨٧ .

(٣) تهذيب تاريخ بن عساكر : ٥/٤٩ .

(٤) معـركة أجنـادين وقعت في بلاد الشـام يوم الاثنين لاثنتي عشـر ليلة بقيت من جمـادي =

كبيراً ، ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً وأمدهم هرقل بمـددٍ فلقيهم المسلمون بمرج الصّفر[1] وهم متوجهون إلى دمشق وذلك لهلال المحرم سنة ١٤ فاقتلوا قتالاً شديداً حتىٰ جرت الدماء في الماء وطحنت بها الطاحونة ، وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف، ثم ولّى الكفرة منهزمين مغلولين لا يلوون على شيء حتىٰ أتوا دمشق وبيت المقدس ، واستشهد يومئذٍ خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ويكنى أبا سعيد ، وقد أعرس[2] في الليلة التي كانت الوقيعة في صبيحتها بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي امرأة عكرمة بن أبي جهل ، فلما بلغها مصابه انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به ، فيقال أنها قتلت يومئذٍ سبعة نفر وان بها لرَدْع الخلوق[3][4] .

وروي أن خالداً قد خرج وهو بمرج الصّفر في يوم مطير ليستمطر فيه فقتله أعلاج[5] من الروم وقال عبد الحميد بن سالم عن أشياخ لهم أن الرومي لمّا قتله ترك ترسه واستأمن وقال : مَن هذا الرجل الذي قتلناه ، فإني رأيت له نوراً ساطعاً في السماء . وكان خالد وهو يقاتل تلك الأعلاج من الروم يقول :

هل فارس كره النزال يعيرني رمحاً إذا نزلوا بمرج الصفر[6]

وروي أنه قتل يوم أجنادين أذ وقف في مقدمة الناس يحرضهم على القتال ويرغبهم في الشهادة فحملت عليه طائفة من العدو فقتلهم واستشهد[7] .

وقد استشهد خالد بن سعيد يوم المرج وفي عنقه الصمصامة سيفه ـ

= الأولى ويُقال لليلتين خلتا من جمادي الآخرة سنة ١٣ للهجرة .

(١) مرج الصّفر : بالضم وتشديد الفاء بدمشق .

(٢) أعرس : أعرس فلان أي إتخذ عُرْساً .

(٣) الرَّدْع : الزعفران والخلوع : الطيب .

(٤) فتوح البلاذري /١٦٢ .

(٥) العلج : بوزن العجل وهو الواحد من كفار العجم علوج وأعلاج .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥١/٥ .

(٧) تهذيب تاريخ بن عساكر : ٥٢/٥ .

وكان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وجهه إلى اليمن عاملاً فمرّ برهط عمرو بن معدي كرب الزبيدي من مذحج فأغار عليهم فسبىٰ امرأة عمرو وعدة من قومه ، فعرض عليه عمرو أن يمنَّ عليهم ويسلموا ففعل ، وفعلوا فوهب له عمروا سيفه الصمصامة وقال :

خليل لم أهبه من قِلاهُ ... ولكن المواهبَ للكرامِ
خليل لم أخُنْهُ ولم يخنّي ... كذلك ما خِلا لي أو نِدامي
حَبَوْتُ به كريماً من قريشٍ ... فَسُرَّ به وَصِين عن اللّئامِ

فأخذ معاوية السيف من عنق خالد يوم المرج حين استشهد فكان عنده ، ثم نازعه فيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، فقضىٰ له به عثمان فلم يزل عنده ، فلما كان يوم الدار وضرب مروان على قفاه ، وضرب سعيد فسقط صريعاً ، أخذ الصمصامة منه رجل من جهينة ، فكان عنده ، ثم أنه دفعه إلى صيقل ليجلوه فأنكر الصيقل أن يكون للجهيني مثله ، فأتىٰ مروان بن الحكم وهو والي المدينة فسأل الجهيني عنه فحّدثه ، فقال : أما والله لقد سُلبت سيفي يوم الدار وسلب سعيد بن العاص سيفه ، فجاء سعيد فعرف السيف فأخذه وختم عليه ، وبعث به إلى عمرو بن سعيد الاشدق وهو على مكة ، فهلك سعيد فبقي السيف عند عمرو بن سعيد ، ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق ، وانتهب متاعه ، فأخذ السيف محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه ، ثم صار إلى يحيى بن سعيد ، ثم مات فصار إلى عنبسة ابن سعيد بن العاص ، ثم إلى سعيد بن عمرو بن سعيد ، ثم هلك فصار إلى محمد بن عبد الله بن سعيد وولده ينزلون ببارق ، ثم صار إلى أبان بن يحيىٰ بن سعيد فحلاّه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له ، ثم أن أيوب بن أبي أيوب بن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من المهدي بنيف وثمانين ألفاً فردَّ المهدي حليته عليه ، ثم صار إلى موسى الهادي فاعجب به وأمر الشاعر وهو أبو الهول أن ينعته فقال :

حاز صمصامةَ الزبيدي عمْرو ... خيرُ هذا الأنام موسى الأمينُ

سيف عمـرو وكان فيمـا علمنا　　خيـرُ ما أطبقت عليـه الجفون
أخضـر اللون بين حـديـه بُـرْدٌ　　من ذُعـافٍ تميس فيه المنـونُ
فـإذا مـا سـللتَـهُ بهَـر الـشمس ضيـاءً فلم تـكـد تسـتبيـنُ
مـا يبالي إذا الضـريبةُ حـانت　　أشِمـالٌ سطــت بـــه أم يمينُ
نِعمَ مِخراقُ ذي الحفيظة في الهيـ　　ـجا يُعصًّـا بـه ونِعمَ القـرينُ

ثم إن الـواثق بـالله دعى لـه بصيقـل وأمـره أن يُسقِنَـه فلمـا فعـل ذلـك تغير[1] .

٨

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية

وكان قد عاتب أخواه خالداً وعمراً على إسلامهما بقوله :

ألا ليت ميتاً بالضَّريبة[2] شاهداً　　لما يفتري في الدين عمرو وخالدُ
أطاعا بها أمر النسـاء فأصبحـا　　يُعينان من أعدائنا مَنْ نكايدُ[3]

فأجابه عمرو بما ذكرناه في ترجمته .

وكان وجيهاً في قريش فأجار عثمان بن عفان حين بعثه رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) إلى قـريش عام الحـديبية وحمله على فـرسٍ حتىٰ دخل مكة وقال له :

أقبـل وأدبـر ولا تخف أحــداً　　بنـــو سعيـد أعــزة الحَـرَمِ[4]

وقد أسلم أبان بين عام الحديبية وخيبر فإنه تـأخر إسـلامه إذ شهـد غزوة بـدر الكبرىٰ مشـركاً فقتـل أخواه العـاص وعبيدة على الشـرك ونجـا هـو فبقي

---

(١) فتوح البلدان /١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٢) الضريبة　جبل يشرف على الطائف دفن فيه أبا أحيحة سعيد بن العاص .
(٣) و (٤) الإستيعاب : ٦٢/١ ، نسب قريش /١٧٥ .

بمكة[1] ، فلما قدم خالد وعمرو من الحبشة راسلاً أباناً فتبعهما[2] .

وأمّره رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على بعض سراياه منها سريّة إلى نجد ، واستعمل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبان بن سعيد بن العاص على البحرين برّها وبحرها إذ عزل العلاء بن الحضرمي[3] عنها فلم يزل عليها أبان إلى أن توفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[4] . فلما بويع أبو بكر بالخلافة كان أبان أحد من تخلّف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم فلما بايعوه بايع[5] .

ثم إنه خرج للجهاد في حروب الشام فقيل أنه قتل يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة وعليه أكثر أهل النسب ، وقيل أنه قتل يوم اليرموك ، وقيل قتل يوم مرج الصُّفر[6] ، وقيل إنه مات سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان[7] .

---

(١) الإصابة : ١٠/١ .
(٢) الإستيعاب : ٦٢/١ .
(٣) العلاء بن عبد الله الحضرمي صحابي أصله من حضرموت سكن أبوه مكة فولد بها العلاء ونشأ وولّاه رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلّم) البحرين سنة ٨ هـ وفي خلافة عمر وجّهه إلى البصرة فمات في الطريق وقيل مات في البحرين ويُقال أن العلاء أول مسلم ركب البحر للغزو .
(٤) الإستيعاب : ٦٢/١ .
(٥) أسد الغابة : ٣٧/١ .
(٦) وقعت معركة مرج الصُّفر وذلك بعد وقعة أجنادين فقد اجتمعت الروم جمعاً عظيماً وأمدهم هرقل فلقيهم المسلمون وهم متوجهون إلى دمشق بمرج الصُّفر وذلك لهلال المحرم سنة ١٤ وكان القتال شديداً وجرت الدماء في الماء وجرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف ثم ولّى الكفرة منهزمين .
(٧) الإصابة : ١٠/١ .

٩

سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص
بن أمية

ولد في عهد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأرض الحبشة حينما هاجر أبواه إليها ، وخرج مع أبيه مجاهداً إلى الشام وقتل بمرج الصُّفر ، وقيل بقي إلى اليرموك وشهدها أميراً على كردوس[(١)(٢)] .

١٠

عمرو بن سعيد بن العاص
بن أمية

ويكنى أبا عقبة ، وهو ممن هاجر إلى الحبشة مع أخيه خالد ومعه إمرأته بنت صفوان بن أُمية بن محرث ، وقيل أنه قدمها بعد سنتين من قدوم خالد إلى الحبشة فبقي بها حتىٰ قدم في السفينتين يوم خيبر .

وقد عاتبه أخوه أبان لإسلامه فأجابه بقوله :

أخي ما أخي لا شاتم أنا عرضه ... ولا هو عن سوء المقالة يقصر
يقول إذا إشتدت عليه أُموره ... ألا ليت ميتاً بالضَّريبة ينشر
فدع عنك ميتاً قد مضىٰ لسبيله ... وأقبل على الحق الذي هو أظهر[(٣)]

وكان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد إستعمل عمراً على سواد خيبر وشهد معه الفتح وحنيناً والطائف وتبوك ، واعتزل عمله بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وتخلّف عن بيعة أبي بكر مع أخيه خالد ،

---

(١) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .
(٢) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ٦/١٢٤ .
(٣) الإصابة : ٤/٣٠٠ .

ثم خرج للشام واستشهد في يوم أجنادين في خلافة أبي بكر وقيل أنه استشهد بمرج الصُفر[1] .

وقيل أنه استشهد يوم اليرموك سنة ١٥ هـ يوم الاثنين لخمس مضين من رجب[2] .

١١

الحكم بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية

وكان سمَّاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عبد الله ، وأمره بتعليم الكتاب بالمدينة وولّاه قرىً عربية .

وفي جمهرة النسب : «وسَمَّى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الحكم بن سعيد عبد الله وجعله يُعلِّم الحكمة بالمدينة وقتل يوم مؤته»[3] .

وفي الأصابة قال ابن حجر : «وقال ابن الزبير في نسب قريش عبد الله بن سعيد بن العاص ، كان اسمه الحكم فسمّاه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عبد الله وأمره أن يعلّم الكتاب بالمدينة ، وكان كاتباً وقتل يوم يوم بدر . قلت : ولم يذكره ابن إسحاق ولا موسىٰ بن عقبة في البدريين وقد قال خليفة : إنه استشهد يوم اليمامة ، وقال ابن إسحاق : إنه استشهد يوم مؤته»[4] .

وما نقله ابن حجر هو قول ابن حزم الأندلسي فإنه قال : «الحكم بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس سمّاه رسول الله (صلّى الله

(١) الإصابة : ٤/٣٠٠ .
(٢) تأريخ خليفة : ١/١١٨ .
(٣) جمهرة النسب : ١/١٦٣ .
(٤) الإصابة لتمييز الصحابة : ٢/٢٧ .

عليه وآله وسلّم) عبد الله ، وأمره بتعليم الكتاب بالمدينة وولّاه قرىً عربية أستشهد يوم بدر»[1] .

أما ابن الزبير فإنه قال في نسب قريش : «وعبد الله كان اسمه الحكم فسماه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عبد الله وأمره أن يعلّم الكتاب بالمدينة وكان كاتباً ، قتل يوم مؤتة شهيداً»[2] .

١٢

عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس

ويكنى أبا عمرو ، ويُقال : أبا عبد الله ، وأبا ليلىٰ[3] . وإنما كني بأبي عبد الله بولدٍ جاءه من رقية بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اسمه عبد الله توفي وعمره ست سنين نقره ديك في عينه[4] . وأُمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأُمها أُمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، فأُمّ عثمان بنت عمة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[5] .

أما أبوه فهو عفان بن أبي العاص ولم تكن فيه نباهة فقال فيه الشاعر :

عفّان أوّل حائكٍ[6] لثيابكم قِدْماً وقد يُدعىٰ أخا الأشرار

وقتل عفان بالغُميصاء[7] مع الفاكه بن المغيرة ، ويُقال : إنه مات بالشام =

---

(١) جمهرة أنساب العرب / ٨٠ .

(٢) نسب قريش / ١٧٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء /١١٨ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٧٤/٣ ص دار الكتب العلمية .

(٥) تأريخ الخلفاء /١١٩ .

(٦) يظهر من هذا أن عفان كان حائكاً والعرب تعيِّر بالحياكة .

(٧) الغميصاء : موضع وفيه أوقع خالد بن الوليد ببني جذيمة في عهد رسول الله (صلّى الله

في تجارةٍ ، ومات عفان وحرب بن أمية في شهر واحد فقال الحارث بن أمية الأصغر ابن عبد شمس وكان شاعراً :

والله لولا أن حرباً دعامةٌ ... لقلتُ على عفانَ ما يُسمِعُ الصُمّا
أفي نصف شهرٍ كان موتهما معاً ... لقد جاء أهل الله ما يُنطِق البُكما [1]

وكانت ولادة عثمان بن عفان في السنة السادسة من عام الفيل[2] أمّا صفته فإنّه كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسَن الوجه ، رقيق البشرة ، بوجهه أثر جدري ، كبير اللحية عظيمها أسمر اللون ، أصلع ، عظيم الكراديس ، عظيم ما بين المنكبين ، يصفّر لحيته ، وقيل : كان كثير شعر الرأس ، أروح[3] الرجلين[4] .

أما إسلامه فهو ممّن دعاه الصِّديق إلى الإسلام ، فهاجر الهجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة ، وتزوّج رقية بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبل النبوة ، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[5] . ثم زوّجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعدها أختها أُمّ كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة[6] .

وشهد عثمان أُحد فانهزم ومضىٰ إلى الغابة مسيرة ثلاثة أيام فيمن إنهزم فنزلت فيهم الآية[7] **﴿إن الذين تولوا منكم يوم إلتقى الجمعان إنما استزلهم**

عليه واله وسلّم) وقد تبرأ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثلاثاً ممّا فعل خالد في هذه الوقعة وأرسل إليهم علياً (عليه السلام) فودىٰ لهم حتىٰ مليقة الكلب (الكامل في التاريخ : ١٢٨/٢) ط دار الكتب العلمية .

(١) أنساب البلاذري : ج ٤ ق ٢/ ١٧٠ .
(٢) تأريخ الخلفاء /١١٨ .
(٣) لعلها أردح بمعنىٰ غليظهما .
(٤) الكامل لابن الأثير : ٧٤/٣ ط دار الكتب العلمية .
(٥) و (٦) تاريخ الخلفاء /١١٨ .
(٧) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٥٥ .

الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم﴾[1] .

وفي الكامل إنه إنتهت الهزيمة بجماعة المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص[2] ، فأقاموا به ثلاثاً ثم أتوا النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال حين رآهم ، لقد ذهبتم فيها عريضة[3] .

وروي أنه جاء رجل من أهل مصر ، وحج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر[4] ، قال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني . هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أُحد ؟ قال : نعم ، فقال : تعلم أنه تغيَّب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم ، قال : تعلم أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعال ابين لك ، أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيُّبُهُ عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكانت مريضة فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «إن لك أجر رجل ممَّن شهد بدراً وسهمه وأما تغيُّبُهُ عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان البعثه مكانه فبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عثمان وكان بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بيده اليمنىٰ (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده ، فقال هذه لعثمان . فقال له ابن عمر : إذهب بها الآن معك﴾[5] .

---

(1) راجع المعارف لابن قتيبة/١٩٤ ، الدرر في المغازي والسير /١٥٩ .

(2) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(3) الكامل في التأريخ : ٢/ ٥٢ ط ١ دار الكتب العلمية ، السيرة والمغازي /٣٣٢ .

(4) عبد الله بن عمر : أبو عبد الرحمن نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه عمر بن الخطاب وشهد فتح مكة ، وغزا أفريقية مرتين أولاهما مع ابن أبي سرح والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ وكفّ بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة ، وكان عبد الله بن عمر من المتخلفين عن علي (عليه السلام) .

(5) صحيح البخاري : ١٣٥٢/٣ واللفظ له ، مسند أحمد بن حنبل : ٥٧٧٢/٨ .

وإنما سأله الإعرابي عن فراره يوم أُحد ، وتخلفه عن حضور بدر ، وبيعة الرضوان ، لفضل مَنْ حضر بدراً وبيعة الرضوان وما خصَّهم الله تعالى من أجر وفضل ، ولشجاعة من ثبت يوم أُحد[1] . فاعتذر ابن عمر عن عثمان .

وفي عهد أبي بكر كان عثمان بن عفان مقرَّبا منه وهو الذي كتب وصيته قبيل وفاته ، فروي أنَّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالياً ليكتب عهد عمر فقال له : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ، ثم أُغمي عليه فكتب عثمان أما بعد ، فإني قد إستخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم[2] خيراً ، ثم أفاق أبو بكر فقال : إقرأ عليَّ ، فقرأ عليه ، فكبَّر أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن متُّ في غشيتي ، قال : نعم[3] .

وفي رواية أنه لمّا أُغمي على أبي بكر عجَّل عثمان بن عفان فكتب : عمر بن الخطاب ، فأفاق أبو بكر فقال له : أكتبت ؟ قال : نعم قد كتبت ،

---

(١) روي أنه جاء جبريل إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : ما تعدُّون أهل بدر فيكم ؟ قال . من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . فإنه دلّ على فضل المسلمين بل حتىٰ الملائكة ممن شهد بدراً على تقدير صحة الحديث . البخاري ٤/١٤٦٧ وروى في أصحاب بيعة الرضوان «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» صحيح مسلم ٤/١٩٤٢ .

أما يوم أُحد فإنه لم يبق مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) غير عدد قليل كان أولهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه كلما أبصر النبي جماعة من المشركين قال لعلي : أحمل عليهم فيفرقهم فقال جبريل : يا رسول الله هذه المواساة فقال رسول الله إنه مني وأنا منه فقال جبربل وأنا منكما فسمعوا صوتاً : «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي» (راجع كنز العمال : ٣/١٥٤ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٧٤ ، الرياض النضرة : ٢/١٩٠ الكامل في التأريخ : ٢/٤٩) .

(٢) أي لم أقصر .

(٣) الكامل في التأريخ : ٢/٢٧٣ ط دار الكتب العلمية .

قال : مَنْ كتبت ؟ قال عمر ، قال : أما إنك كتبت الذي كنت أريد أن آمرك به[1] ، ولو كنت كتبت نفسك كنت لها أهلاً[2] .

فلمّا طعن عمر بن الخطاب وأشرف على الموت ردَّ إلى عثمان جميله وجعل الأمر إليه بعده فروي أنه قال عمر : من تستخلفون بعدي ؟ فقال رجل من القوم : الزبير بن العوّام فقال : إذاً تستخلفون شحيحاً غلفاً ـ يعني سيء الأخلاق ـ فقال رجل : نستخلف طلحة[3] بن عبيد الله فقال : كيف تستخلفون رجلاً كان أول شيء نحله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أرضاً نحلها إياه فجعلها في رهن يهودية ؟ فقال رجل من القوم : نستخلف علياً فقال : إنكم لعمري لا تستخلفون ، والذي نفسي بيده لو إستخلفتموه لأقامكم على الحق وإن كرهتم . فقال الوليد[4] بن عُقبة : قد علمنا الخليفة

(١) ويظهر من ذلك أنه لم يكن عثمان عالماً بمراد أبي بكر في تولية عمر للخلافة وإنما تبرع من نفسه في كتابة اسم عمر خشية موت أبي بكر قبل ذلك ويدل على ذلك قول أبي بكر أنك كتبت الذي كنت أريد أن آمرك به وقوله لعثمان ولو كنت كتبت نفسك كنت لها أهلاً .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ترجمة عثمان بن عفان/١٧٦ .

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيميّ صحابي شهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أحداً وثبت بها فأصيب بأربعة وعشرين جرحاً وشهد الخندق وسائر المشاهد ، جعله عمر بن الخطاب أحد الستة في الشورى ثم كان أشد الناس على عثمان فلما قتل عثمان طالب علياً بدمه وخرج مع عائشة في حرب الجمل فقتله مروان بن الحكم بسهم أصابه .

(٤) الوليد بن عقبة ابن أبي معيط بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كان ذكوان عبداً لأمية فاستلحقه ، وقد سمّىٰ القرآن الوليدَ الفاسق وذلك في قوله تعالى ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ وكان من الماجنين ولّاه عثمان الكوفة فخرج لصلاة الصبح وهو سكران فتقيأ في المحراب فشكاه أهل الكوفة ثم حدّه علي (عليه السلام) فكان من دواعي بغض الوليد لعلي (عليه السلام) وكان قتل أباه في بدر بأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد بشرّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بني عقبة بالنار حين قال عقبة عند قتله : فمن للصبية فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : للصبية النار . وقد لحق الوليد بمعاوية بعد مقتل عثمان

من بعدك فقعد فقال : مَنْ ؟ قال : عثمان بن عفان[1] .

وكان مآل الأمر إليه واضحاً لا يشك فيه أحد ، ولـذلك قـال علي (عليه السـلام) لعمه العبـاس[2] «قرن بي عثمـان وقال كـونوا مـع الأكثـر فـإن رضي رجلان رجلاً ، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبـد الرحمن . فسعـدٌ لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفـان فيوليهـا أحدهما الآن ، فلو كان الآخران معي فلم ينفعاني»[3] .

أما قضة الشورىٰ فإنه روي :

إن عمـر لمّا طعنـه أبو لؤلؤة وعلم أنـه ميت ، استشار فيمن يـولّيه الأمـر بعده فأشير عليه بإبنه عبد الله ، فقال : لاهـا الله إذا ! لا يليها رجـلان من ولد الخطاب ! حسب عمر مـا حُمِّـل ! حَسْبُ عمـر مـا احتقب ، لاهـا الله ! لا أتحملها حياً وميتاً ! ثم قال : إن رسول الله مات وهو راض عن هذه الستـة من قريش[4] ، علي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقـد رأيت أن أجعلها سورى بينهم ليختاروا لأنفسهم .

ثم قـال : إن استخلف فقد استخلف مَنْ هـو خير مني ـ يعني أبـا بكر ـ

= وحضـر معه صفين لحـرب علي (عليه السـلام) . وقد تقـدم تفصيـل هـذا أوائـل هـذا الكتاب .

(١) تاريخ الأحمدي / ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبـد مناف عمّ النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) من أكـابر قـريش في الجاهليـة والإسـلام قـال بحقـه رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) : أجود قريش كفاً واوصلها ، هذا بمية ابائي . وكانت له سقايـة الحاجّ وعمـارة المسجـد الحرام ، أسلم قبـل الهجـرة وكتم إسـلامـه واخـذ يكتب لـرسـول الله أخبـار المشركين واخرج مع المشركين قهـراً لحرب النبي في سدر فأسـر ثم أطلق من الأسر ، وشهد وقعة حنين فثبت فيمن ثبت حين انهـزم الناس عن رسـول الله ، وشهد فتـح مكة وعُمي آخر عمره .

(٣) الكامل في التأريخ : ٣/٦٧ .

(٤) كيف الجمـع بين قولـه : مات رسـول الله وهو راض عنهم وبين قـوله لـطلحة : مـات سول الله وهو ساخط عليك ، وكيف أهّلهم للخلافة مع طعنه فيهم فتأمل .

وإن اتـرك فقد تـرك من هو خيـر مني ـ يعني رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) ـ ثم قـال : ادعوهم لي ، فـدعـوهم ، فـدخلوا عليـه وهـو ملقىٰ على فراشه يجود بنفسه .

فنظر إليهم ، فقال : أكلُّكُم يـطمعُ في الخـلافة بعـدي ! فوجمـوا[1] ، فقال لهم ثانية ، فأجابه الزبير وقال : وما الذي يبعدنا منها ! وليتها أنت فقمت بها ، ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولاً في القرابة .

فقال عمر : أفلا أُخبرُكم عن أنفُسِكم ! قـال : قل ، فـإنا لـو استعفيناك لم تعفنـا . فقال : أمـا أنت يا زبيـر فَوَعِقٌ[2] لَقِس[3] ، مؤمن الـرضا ، كـافـر الغضب ، يوماً إنسان، ويوماً شيطان ولعلها لو أفضت إليك ظَلْتَ يومَكَ تُلاطم بالبطحـاء على مُدٍّ من شعيـر ! أفرأيت إن أفضت إليـك ، فليت شـعرى ، مَنْ يكون للناس يوم تكون شيطاناً ، ومن يكون يوم تغضب ! ومـا كان الله ليجمـع لك أمر هذه الأمة ، وأنت على هذه الصفة .

ثم أقبل على طلحة ـ وكان له مبعضاً منذ قال لأبي بكر يومُ وفاته ما قـال في عمر ـ فقال لـه : أقول أم اسكت : قـال : قل ، فـإنك لا تمـول من الخبر شيئـاً ، قال : أمـا إني أعرفـك منذ أصيبتْ أصبعـك يوم أُحـد وائبا[4] بـالذى حدث لك ، ولقد مات رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) ساحط علبـك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب[5] .

---

(١) وحم . أمسك .

(٢) الوعق الصحر المترم .

(٣) اللقس : مں لا يستقيم على وحه أو أمر .

(٤) وائيا عاضباً .

(٥) سورة الأحزاب ؛ الآيات : ٥٣ ـ ٥٩ .

وكاں طلحة ں عبيد الله يقول عىد ىرول هـذه الآية ومـا بعدهـا من آيات الحجـاب : أيحجبنا محمد عں بنات عمنا ويتزوح نساءنا مں بعدنا ؟ لئں حدث به حدث لنتـزوجں ىسـاءه مں ىعـده فنرلت الآيـة : ﴿**وما كـان لكن أن تؤذوا رسـول الله ولا أن تنكحـوا أزواجه من بعده إنَّ ذلكم كان عند الله عظيماً**﴾ سورة الأحزاب ، الآية . ٥٣

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال : إنما أنت صاحب مقنب[1] من هذه المقانب ، تقاتل به ، وصاحب قَنَص وقَوْس وأسهم ، وما زُهرة[2] ، والخلافة وأمور الناس !

ثم أقبل على عبد الرحمن[3] بن عوف ، فقال : وأما أنت يا عبد الرحمن ، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانُك به ، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر ! .

ثم أقبل علىٰ عليّ (عليه السلام) ، فقال : لله أنت لولا دُعابة[4] فيك ! أما والله لئن وليتهم لتحملنّهم على الحق الواضح ، والمحجّة[5] البيضاء .

ثم أقبل على عثمان ، فقال : هيهاً إليك ! كأني بك قلدتْك قريش هذا الأمر لحبِّها إياك فحملت بني أُمية وبني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفيء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً .

---

(١) المقنب : جماعة الخيل .

(٢) زُهرة . قبيلة وهي التي ينتمي إليها سعد بن أبي وقاص ، وزُهرة بن كلاب جدهم .

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث ابن زهرة بن كلاب ، كان من السابقين إلى الإسلام كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو فسمّاه الرسول عبد الرحمن ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها ، كان أحد أصحاب الشورى الذي جعل عمر الخلافة فيهم ، وجعل الأمر له في حال الاختلاف ، فأعطى الخلافة عثمان ثم ندم بعد ذلك وقاطع عثمان حتىٰ مات

(٤) قال ابن أبي الحديد في تعليقه على كلمة عمر هذه : «وأنت إذا تأملت حال علي (عليه السلام) في أيام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وجدته بعيداً عن أن ينسب إلى الدعابة والمزاح لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلاً لا في كتب الشيعة ولا في كتب المحدثين وكذلك إذا تأملت حاله في أيام الخليفتين أبي بكر وعمر لم تجد في كتب السيرة حديثاً واحداً يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته ومزاجه» وقد تلقف عمرو بن العاص كلمته فقول فيه علي (عليه السلام) «عجباً لابن النابغة يزعُمُ لأهل الشام أنَّ فيَّ دُعابة وأني إمرؤٌ تلعابة أعافسُ وأُمارس لقد قال باطلاً ونطق أثماً . . .» (شرح النهج : م ٢/١١٤) .

(٥) المحجّة : جادة الطريق .

والله لئن فعلوا لتفعلنّ ، ولئن فعلت ليفعلنّ ، ثم آخذ بناصيته ، فقال : فإذا كان ذلك فاذكر قولي ، فإنه كائن .

ثم قال : إدعوا إليَّ أبا طلحة الأنصاري[١] فدعوه له فقال : انظر يا أبا طلحة إذا عُدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم فخذ هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيت ، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً فإن اتفق خمسة وأبىٰ واحد فاضرب عنقه وإن اتفق أربعة وأبىٰ اثنان فاضرب أعناقهما ، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن ، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه ، فإن أصرَّت الثلاثة الأُخرىٰ على خلافها فأضرب أعناقها ، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب اعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم[٢] .

فلما دفن عمر ، جمعهم أبو طلحة ، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار حاملي سيوفهم ، ثم تكلم القوم وتنازعوا ، فأوّلُ ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان وأن الخلافة لا تخلُص له وهذان موجودان فأراد تقوية أمر عثمان وأضعاف جانب علي (عليه السلام) ، بهبَةِ أمرٍ لا انتفاع له به ، ولا تمكُّن له منه ، فقال الزبير في معارضته : وأنا أشهدكم على نفسي أني قد وهبتُ حقّي من الشورى لعليّ ، وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى علياً قد ضعف وانخزل[٣] بهبة طلحة حقه لعثمان دخلته حمية

---

(١) زيد بن سهل الأنصاري النجاري وهو عقبي بدري آخىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح وشهد المشاهد كلها مع رسول الله وكان من الرماة المذكورين من الصحابة شجاعا له المقام المشهور يوم أحد كان يقي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بنفسه وقيل أنه ركب البحر للغزو فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام وقيل أنه توفي في المدينة سنة ٣١ أو ٣٤ وصلّى عليه عثمان . (أسد الغابة . ٥/٢٣٤) .

(٢) لعمري كيف تضرب اعناقهما وهم ممن مات رسول الله وهو راض عنهم وما هو المسوِّغ الشرعي في كل ذلك

(٣) انخزل تراجع .

النسب لأنـه ابن عمـة أميـر المؤمنين (عليـه السـلام) وهي صـفيـة بـنت عبد المطلب وأبو طالب خاله . وإنما مال طلحة إلى عثمان لأنحرافه عن علي (عليه السلام) بـاعتبار أنه تيميّ ، وابن عمّ أبي بكر ، وقـد كـان حصـل في نفوس بني هاشم من بني تَيْم حَنَق[1] شديد لأجل الخلافة ، وكذلـك صار في صدور تيم على بني هاشم وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر وخصوصاً طينـة العرب وطباعها ، والتجربة إلى الآن تحقق ذلك ، فبقي من الستة أربعة .

فقال سعد بن أبي وقاص : وأنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمّي عبـد الرحمن ـ وذلـك لأنهما من بني زُهـرة ، ولعلم سعد أن الأمـر لا يتم له ـ فلما لم يبق إلا الثلاثة ، قال عبد الرحمن لعلي وعثمـان : أيكما يُخـرج نفسه من الخلافة ويكـون إليه الاختيـار في الاثنين الباقيين ؟ فلم يتكلم منهـا أحد ، فقال عبد الـرحمن : اشهدكم انني قـد أخرجت نفسي من الخـلافة ، على أن أختار احدهما ، فأمسكـا ، فبدأ بعلي (عليـه السلام) وقـال له : أبايعك على كتاب الله ، وسنة رسول الله وسيرة الشيخين : أبي بكـر وعمر . فقـال علي : بل على كتاب الله وسنة رسولـه واجتهاد رأيي . فعـدل عنه إلى عثمـان فعرض عليه ذلك فقـال : نعم ، فعاد إلى عليّ (عليـه السلام) ، فـأعاد قـوله ، فعـل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً ، فلما رأى أن علياً غيرُ راجـعَ عمّا قـاله ، وأن عثمـان يُنعمُ[2] لـه بـالإجـابـة صفّق على يـد عثمـان وقـال : السـلامُ عليـك يـا أميـر المؤمنين ، فيقال : إن علياً (عليـه السلام) قـال له : والله مـا فعلتها إلا لأنـك رجوتَ منه ما رجَا صاحبُكما من صاحبه دقّ الله بينكما عِطْرَ مَنْشِم[3][4] .

وصـوّر علي -قيقه الشـورى فقـال في إحـدى خـطبـه[5] : « . . فيـا لله

---

(١) الحنق : الغيظ

(٢) ينعم . أي يجيب بنعم

(٣) منشم . امرأة كانت تبيع العطر بمكة وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تـطيبوا من عطرها فتكثر القتلىٰ بينهم فكان يُقال . أشأم من عطر منشم، وقد دعـا الإمام علي علىٰ عبد الرحمن وعثمان فوقعت القطيعة بينهما حتىٰ مات عبد الرحمن .

(٤) شرح النهج : ١/١٨٥ ـ ١٨٨

(٥) وهي المعروفة بالشقشقية .

وللشورىٰ! متىٰ اعترضَ الرَّيْبُ فِيَّ مع الأول منهم حتىٰ صِرتُ أقرنُ إلى هذه النظائر! لكنني أسففْتُ إذا اسَفُّوا، وطِرْتُ إذ طاروا، فصغا رجلُ منهم لضِغْنِه ومال الآخرُ لصِهْرِه مع هَنٍ وهَنٍ».

وقصد في قوله «فصغا رجل منه لضغنه» طلحة، وقوله «ومال الآخر لصهره» عبد الرحمن فإنه زوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أخت عثمان لأمه.

ثم إنَّ عثمان جلس في جانب المسجد بعد بيعته ودعا عبيد[1] الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل أبيه أبا لؤلؤة، وقتل جفينة رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة كان ظهيراً لسعد بن مالك، وقتل الهرمزان[2] فلما ضربه بالسيف قال: لا إله إلا الله! فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره، وأخذ سيفه، وأحضره عند عثمان وكان عبيد الله يقول: والله لأقتلن رجالاً ممّن شرك في دم أبي يعرِّض بالمهاجرين والأنصار، وإنما قتل هؤلاء النفر لأن عبد الرحمن[3] ابن أبي بكر قال غداة قتل عمر: رأيت عشية أمس

(١) عبيد الله بن عمر بن الخطاب ولد في عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأسلم ثم سكن المدينة وغزا أفريقية مع عبد الله بن أبي سرح، ثم لمّا قتل عمر بن الخطاب قتل الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة فعطل عثمان الحد عليه وأخرجه من المدينة ثم رحل إلى الشام في أيام علي (عليه السلام) فشهد صفين مع معاوية فقتل فيها.

(٢) الهرمزان من عظماء الفرس استولى على الأهواز وما حولها، ولمّا فتح المسلمون الأهواز سنة ١٧ هـ حاصروا الهرمزان في قلعته فطلب الصلح على حكم عمر فارسلوا به إلى عمر فلما وصل إلى المدينة وحضر عمر طلب ماءً فأتي بالماء فقال لعمر أخاف أن تقتلني وأنا أشرب الماء فقال عمر: لا بأس عليكِ حتىٰ تشرب الماء وكان المغيرة بن شعبة الترجمان بينهما ـ فرمىٰ الهرمزان الماء وامتنع من الشرب فأراد عمر قتله فقال علي (عليه السلام): إنك أمنته. فتركه عمر وعفا عنه فلما رأى الهرمزان ذلك أسلم وفرض له عمر ألفين فعاش كواحد من المسلمين.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله أبي بكر الخليفة ابن أبي قحافة كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسمّاه الرسول عبد الرحمن، حضر اليمامة وغزا افريقية، ثم حضر مع =

الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، وهو الخنجر الذي ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله ، فلما أحضره عثمان قال : أشيروا عليَّ في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق : فقال علي : أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ! فقال عمرو بن العاص : إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان . فقال عثمان : أنا وليه وقد جلعتها دية واحتملتها في مالي[1] .

وفي تأريخ اليعقوبي : وأكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر ، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثم قال : ألا إني ولي دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر ، وتركته لدم عمر فقام المقداد[2] بن عمرو فقال : إن الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله . قال : فننظر وتنظرون . ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة وأنزله داراً فنسب الموضع إليه كويفة ابن عمر[3] .

وكان زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول :

= شقيقته عائشة وقعة الجمل ، ولمّا أراد معاوية البيعة لابنه يزيد قال : أهرقلية ! كلما مات قيصر قام قيصر مكانه ؟ لا نفعل والله أبداً . فبعث إليه معاوية بمائة الف دينار فردّها وخرج إلى مكة فمات فيها قبل أن تتم البيعة ليزيد .

(١) الكامل في التأريخ : ٣/٧٥ ، وراجع الطبري : ٤/٢٣٩ .

(٢) المقداد بن عمرو الكندي البهراني الحضرمي ، صحابي جليل ، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «إن الله عزّ وجلّ امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم : علي والمقداد وأبو ذر وسلمان» . وكان المقداد من سكان حضرموت ووقع بينهُ وبين ابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب رجل ابن شمر بالسيف وهرب إلى مكة فتبناه الأسود بن يغوث الزهري فصار يُقال : المقداد بن الأسود وكان المقداد ممن شهد بدراً وسكن المدينة وتوفي على مقربة منها وحمل ودفن فيها .

(٣) تأريخ اليعقوبي : ٢/١٦٤

ألا يا عبيد الله مالك مهربٌ ... ولا ملجأ من ابن أروى[1] ولا خفرْ
أصبت دماً والله في غير حلّه ... حراماً وقتلُ الهرمزان له خطرْ
على غير شيء غيرَ أنْ قال قائلٌ ... أتتهمون الهرمزانَ على عمرْ
فقال سفيه والحوادث جمّةٌ ... نعم أتهمهُ قد أشار وقد أمرْ
وكان سلاح العبد في جوف بيته ... يقلبها والأمرُ بالأمر يعتبرْ

فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعىٰ عثمان زياد بن لبيد فأنشد زياد يقول في عثمان :

أبا عمرو عبيد الله رهنٌ ... فلا تشكك بقتل الهرمزانِ
فإنك أن غفرتَ الجرم عنه ... وأسبابُ الخطا فرسا رهانِ
أتعفو إذ عفوت بغير حقٍ ... فما لك بالذي يخلي يدانِ

فنهاه عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لبيد عمّا يقول[2] .

فكان تعطيل الحدِّ عن عبيد الله بن عمر أول دواعي النقمة على عثمان . ثم إنه آثر بني أُمية وحملهم على رقاب المسلمين وقد أخذ عليه المسلمون يوم البيعة ألّا يحملهم على رقابهم حتىٰ أنه دعا ناساً من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيهم عمار بن ياسر فقال : إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم بالله أتعلمون أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش . فسكت القوم ، فقال عثمان : لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أُمية حتىٰ يدخلوا من عند آخرهم[3] .

وكان عمر بن الخطاب أوصاه ألّا يؤثر بني أُمية فلمّا آثرهم قال له علي بن أبي طالب (عليه السلام) وطلحة والزبير : ألم يوصك عمر ألّا تحمل

---

(١) يعني عثمان بن عفان لأن أُمه أروى بنت كريز .
(٢) البداية والنهاية : ٧/١٤٩ .
(٣) أسد الغابة : ٣/ ٣٨٠ ، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة عثمان بن عفان / ٢٤٦ .

آل أبي مُعَيط وبني أُمية على رقاب الناس ! فلم يجبهم بشيء[1] . وكان مما نقم عليه المسلمون أن أرجع عمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة بعد أن طرده منها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولم يجترأ أحد على ذلك غيره ، وادعىٰ أنه كلّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في رده وأنه وعده أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك .

وأغدق على بني قومه الأموال والعطايا فأقطع مروان بن الحكم فدك وكان منعها أبو بكر فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وأعطىٰ صدقات قضاعة لعمه الحكم بن أبي العاص بعد درّه إلى المدينة وأعطى مروانَ بن الحكم خمس غنائم أفريقيا وهو خمسمائة ألف دينار وكتب له بخمس مصر وأمر له بمائة ألف من بيت المال ، وأعطى الحارث بن الحكم أخا مروان وصهره من ابنته عائشة ثلاثمائة ألف درهم ، وأعطى أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط مائة ألف درهم كان قد استقرضها من بيت المال يوم قدومه الكوفة فنزعها عنه عثمان وعزل عبد الله بن مسعود[2] خازن بيت مال الكوفة لقاء إعتراضه . وأعطى عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أُمية ثلاثمائة ألف درهم ولكل رجل من قومه ألف درهم .

أما أبو سفيان[3] فإنه اعطاه مائتي ألف من بيت المال[4] .

---

(١) أنساب الأشراف : ق ٥/ ٣٠ .

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وعلماً كان من السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان قريباً من رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلّم) وعرف من بين الصحابة بالقرّاء ومفسري القرآن . ولي بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه واله وسلّم) بيت مال الكوفة وعزله عثمان عنه وحرمه عطاءه فتوفي في ايام خلافته عن نحو ستين عاماً .

(٣) ابو سفيان بن حرب بن امية واسمه صخر ، أُمه صفية بنت حزْنٍ بُجَير بن الهُزَم ، قاد المشركين في حروبهم مع النبي (صلّى الله عليه واله وسلّم) ثم أسلم كرهاً عند فتح مكة ، وكان نفاقه معروفاً فعن عبد الله بن الزبير قال : لمّا كان يوم اليرموك خلفني أبي فاخذت فرسا له وخرجت فرأيت جماعة من الطلقاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفت معهم فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان : إنهم بنو الأصفر ، فإذا .

وفي شرح النهج : أنه لما فتحت أفريقيا في أيام عثمان بن عفان أخذ الخمس كلّه فوهبه مروان فقال عبد الرحمن[1] بن حنبل الجمحي :

أحلف بالله ربِّ الأنام	ما ترك اللّه شيئاً سدى
ولكنْ خُلقت لنا فتنة	لكي نُبتلىٰ بك أو تبتلى
فإنَّ الأمينين قد بيَّنا	منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلةً	ولا جعلا درهماً في هوى
وأعطيت مروان خمس البلاد	فهيهات سَعْيُك[2] ممن سعى !

وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم . وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد إن كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد سيَّره ثم لم يردَّه أبو بكر ولا عمر ، وأعطاه مائة ألف درهم .

وتصدَّق رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور[3] على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم . وأقطع مروان فدك وقد كانت فاطمة (عليها السلام) طلبتها

= كشفهم المسلمون قال :

وبنوا الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

فلما فتح الله على المسلمين حدثتُ أبي فقال : قاتله الله ! يأبىٰ إلا نفاقاً . ودخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كفَّ بصره فقال : هل علينا عين ؟ فقال له عثمان : لا ، فقال : يا عثمان ، إن الأمر أمرٌ عالمَيّه ، والملك ملك جاهليه فأجعل أوتاد الأرض بني أمية . (الأغاني ٦/٣٥٤ ، مختار الأغاني ٤/٣٤٥) .

(٤) راجع كتاب الغدير : ٨/٢٣٦ ـ ٢٨٨ .

(١) عبد الرحمن بن حنبل الجمحي شاعر هجاء ، صحابي أصله من اليمن ومولده بمكة ، شهد فتح دمشق وبعثه خالد بن الوليد إلى أبي بكر الخليفة يبشره بيوم أجنادين . وهجا عثمان فحبسه بخيبر فكلمه عليّ فأطلقه ثم شهد مع علي (عليه السلام) وقعة الجمل وصفين وقتل بصفين شهيداً .

(٢) وفي المعارف لابن قتيبة : شأوك ص ١٩٥ .

(٣) مهزور : واد من أودية المدينة

بعـد وفاة أبيهـا (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) بالميـراث وتـارة بـالنحلة فـدفعت عنها .

وحمى المراعي حول المـدينة كلّهـا من مواشي المسلمين كلّهم إلاّ عن بني أُمية .

وأعـطى عبد الله بن أبي سـرح جميع مـا أفاء الله عليـه من فتح أفـريقيـا بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجـة من غير أن يشـركه فيـه أحد من المسلمين .

وأعطى أبا سفيان بن حرب مـأتي ألف من بيت المال ، في اليـوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، وقـد كان زوّجـه إبنته أُم أبـان فجاء زيـد بن أرقم[1] صاحب بيت المـال بالمفـاتيح فـوضعها بين يـدي عثمان وبكى فقال عثمان : أتبكي أن وصلت رحمي ! قال : لا ، ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخـذت هذا المـال عوضـاً عمّا كنت أنفقتـه في سبيل الله في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً ! فقال : ألق المفاتيح يا بن أرقم فإنّا سنجد غيرك .

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسّمها كلّها في بني أُمية وأنكح الحارث بن الحكم إبنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه[2] .

وقد أكثر عثمان بن من صلاته لقومه فترامت إلى مسـامعه مـطاعن الناس فيه فكان لا يقلع عن ذلك ويتأول في عطاياه من بيت مال المسلمين .

وروي أنـه لمّا نقم النـاس على عثمـان خـرج يتـوكـأ على مـروان وهـو

(١) زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري صحابي ، غزا مع النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) سبع عشرة غـزوة وشهد صفين مع علي (عليه السلام) ، ومات بـالكوفـة ، بعد قتـل الحسين (عليه السلام) ، وموقفه مع عبيد الله بن زياد مشهود مشهور .

(٢) شرح النهج : ١/١٩٨ ـ ١٩٩

يقول : «لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة ، وإن آفة هذه الأمة عيّابون طعّانـون ، يظهرون لكم ما تحبون ويسـرّون ما تكـرهون ، طعـام[1] مثل النّعـام ، يتبعون أول نـاعق . لقد نقمـوا عليَّ ما نقمـوا على عمر ! ولكن قمعهم ووقمهم[2] ، والله إني لأقربُ ناصراً ، وأعزُّ نفراً ، فَضِلَ فضلٌ من مالي فما لِيَ لا أفعل في الفضل ما أشاء[3] .

وقـد اقتنىٰ في أيام عثمـان جماعـة من الصحابـة الضيـاع والـدور منهم الزبير بن العوّام فإنه بنىٰ داره بالبصرة ودوراً أخرىٰ في مصر والاسكندرية وبلغ ما له بعد وفاتـه خمسين ألف دينار ، وخلّف ألف فـرس وألف عبد وأمَـةٍ . أما طلحة بن عبد الله التيمي فـإنه ابتنىٰ داره بـالكوفـة في الكناسـة المعرْوفـة بدار الطلحيين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وبناحية الشراة أكثر من ذلك وشيّد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج .

وابتنىٰ عبد الرحمن بن عوف داره ووسعها وكـان على مربطه مائـة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم وبلغ بعد وفاتـه ربُعُ ثمن مـاله أربعـة وثمانين ألفاً .

وابتنىٰ سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق[4] فرفع سمكها ووسـع فضاءهـا وجعل أعلاها شُرُفات . وذُكِرَ أنَّ زيد بن ثابت[5] حين مـات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بـالفؤوس غير مـا خلـف من الأموال والضيـاع بقيمة مـائة

---

(١) الطغام : أوغاد الناس .

(٢) وقم : قهر وأذل .

(٣) اعتاب الكتاب لابن الأبّار / ٥٠ .

(٤) العقيق : ويسمّىٰ عقيق المدينة على ميلين منها وقيل على عشرة أميال .

(٥) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ، أبو خارجة ، صحـابي كان من كتـاب الوحي ، ولد في المدينة ونشأ بمكة ، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين ، وهاجر مع النبي وهو ابن أحد عشرة سنة ، وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ، عرف بالفقـه وكان عمر يستخلفه على المدينة في سفره

ألف دينار[1] .

أما الأمصار فإنه عزل ولاة عمر بن الخطاب عنها وأبقى معاوية[2] بن أبي سفيان على الشام ، واستعمل أخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر بعد عزل عمرو بن العاص ، واستعمل ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس[3] على البصرة وكان عمره خمساً وعشرين سنة ، واستعمل سعيد بن العاص بن سعيد على الكوفة وكان قد استعمل أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط عليها . ويروى أن سبب تأمير الوليد على الكوفة أنه لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص

---

(١) راجع مروج الذهب : ٢/٣٤١-٣٤٢ .

(٢) معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وأمه هند ، وكان يعزى إلى أربعة : عمرو بن مسافر ، وعمارة بن الوليد ، والعباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغنّي أسود كان لعمارة ، وكان أبو سفيان ذميماً قصيراً وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً فدعته هند إلى نفسها وقالوا : إن عتبة بن أبي سفيان هو الآخر من الصباح كرهت هند أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك وفي ذلك يقول حسان :

لمن الصبيُّ بجانب البطحاء ... في الترب ملقى غير ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسة ... من عبد شمس صلبة الخدِّ

أسلم مع أبيه في فتح مكة فهو من الطلقاء ، ولاّه عمر الشام وأقره عثمان فلما قتل عثمان أبى مبايعة علي (عليه السلام) وسار له علي (عليه السلام) فالتقى بصفين انتهت بالتحكيم من تدبير عمرو بن العاص فلما قتل علي (عليه السلام) وبويع الحسن (عليه السلام) صالحه الحسن فلم يف معاوية بواحد من الشروط فبايع لإبنه يزيد وقتل جلّ أصحاب علي (عليه السلام) .

(٣) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس يكنى أبا عبد الرحمن ابن خال عثمان بن عفان ، ولاّه البصرة بعد عزله لأبي موسى الأشعري وضمّ إليه بلاد فارس وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقي عليها إلى أن قتل عثمان فسار إلى مكة بما عنده من الأموال فوافى طلحة والزبير فرجع بهم فشهد معهم وقعة الجمل ثم لحق بمعاوية فكان معه حتى إذا تمّ لمعاوية الأمر ولاّه إمرة البصرة ثم عزله عنها فنزل المدينة ومات فيها سنة سبع أو ثمان وخمسين .

والوليد بن عقبة ، ولم يكن سريره يسع إلاّ عثمان وواحداً منهم فأقبل الوليد يوماً فجلس فجاء الحكم بن أبي العاص فأومأ عثمان إلى الوليد فرحل له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال الوليد : لقد تلجلج[1] في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن عمك ـ وكان الحكم عم عثمان والوليد أخاه لأمه ـ فقال عثمان : إن الحكم شيخ قريش ، فما البيتان ؟ قال الوليد :

رأيت لعمِّ المرء زلفى قرابةٍ دُوين أخيه حادثاً لم يكن قدما
فأمَّلْتُ عمراً أن يشبَّ وخالداً لكي يدعواني يوم نائبةٍ[2] عَمَّا

فَرَقَّ له عثمان وقال : قد ولَّيتك الكوفة[3] .

فلما ولاّه الكوفة خرج للصلاة فتقيأ في المحراب لفرط شربه الخمر وقرأ رافعاً صوته :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

وروي أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضِّلاً في غلائله فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلى بهم أربعاً وقال : أتريدون أن أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطال : إشرب واسقني . فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول : ما تزيد ! لازادك الله من الخير ، والله لا أعجب إلاّ ممَّن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً[4] .

وعلت أصوات المسلمين وأجلة الصحابة والتابعين لدفع المنكر فكان أن خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد ، فقال : أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحت لكم لأنكلنَّ بكم ،

---

(١) تلجلج : تردد .
(٢) وفي الأغاني «يوم مزحمةٍ» .
(٣) شرح النهج : ١٩٣/٤ ، الأغاني : ١٢٣/٥ .
(٤) مروج الذهب : ٣٤٤/٢ .

فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة فقال : أما يجد مرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلا بيت عائشة ! فسمعت فرفعت نعل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقالت : تركت سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صاحب هذه النعل ، فتسامع الناس فجاءوا حتىٰ ملئوا المسجد ، فمن قائل : أحسنتْ ، ومن قائل : ما للنساء ولهذا ! حتىٰ تحاصبوا[1] وتضاربوا بالنّعال ودخل رهط من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على عثمان فقالوا له : إتق الله ولا تعطل الحدود واعزل أخاك عنهم فعزله عنهم[2] .

وروي أنه قدم رجل المدينة فقال لعثمان : إني صليت الغداة خلف الوليد ابن عقبة فالتفت إلينا فقال : أأزيدكم ؟ إني أجد اليوم نشاطاً وأنا أشم منه رائحة الخمر . فضرب عثمان الرجل ، فقال الناس : عُطلت الحدود وضُربت الشهود[3] .

وكان جلّ من استعمله عثمان على الأمصار موتوراً بقتل أبيه أو أخيه أو إهدار دمه ، فلم يكن في نفوسهم إلا إدراك الثار فأوردوا عثمان بن عفان في متاهات لم يعذرها له المسلمون .

وروي أنه أرسل عثمان إلىٰ معاوية وعبد الله بن سعد وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبدَ الله بن عامرٍ فجمعهم وشاورهم ، وقال لهم : إن لكل امرىء وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي ونصحائي وأهلُ ثقتي ، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إليَّ أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم . فقال له ابن عامر : أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتىٰ يذلّوا لك ولا يكون همة أحدهم إلاّ في نفسه وما هو فيه من وبر دابته وقمل فروته . وقال سعيد : إحسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف ، إنّ لكل قوم قادة حتىٰ تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر .

---

(١) حصبه : رماه بالحصباء .

(٢) و (٣) الأغاني : ٥/١٣٠ .

فقال عثمان : إن هذا هو الرأي لولا ما فيه . وقال معاوية : أشير عليك أن تأمر الأجناد فيكفيك كلُّ رجل منهم ما قِبَله ، وأكفيك أنا أهل الشام . وقال عبد الله بن سعد : إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم . ثم قال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية ، فقلت وقالوا ، وزغت[1] وزاغوا ، فاعتدل أو اعتزل ، فإن أبيت فاعتزم عزماً وأقدم قُدُماً . فقال له عثمان : ما لك قمل فروك ؟ أهذا الجد منك ؟ فسكت عمرو حتىٰ تفرقوا فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنت أكرم عليَّ من ذلك ولكن علمت أن بالباب من يُبلغ الناس قول كلّ رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيراً وأرفع عنك شراً[2] .

وفي الفتوح أنه : أرسل عثمان إلى جميع عماله فأشخصهم إليه من جميع البلاد ثم أقبل عليهم فقال : يا هؤلاء ! إنه قد كثرت شكايات الناس منكم فأمّا القريب قد بادهني[3] ، وأما البعيد فما نألوا جهداً ، فماذا عندكم من الرأي ؟ فتكلم عبد الله ابن عامر بن كريز وقال : يا أمير المؤمنين : إنه ليس يرضى الناس عنك إلا ما أسخطهم عليك ، فإن الناس إنما نقموا عليك لأجل هذا المال فأعطهم إياه حتىٰ يرضوا به عنك ولا يشكوك أحد بعد ذلك ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال : يا أمير المؤمنين ! إنَّ لك على الناس حقاً في كتاب الله ، ولهم عليك مثل ذلك ، فادفع إليهم حقوقهم واستوف منهم حقك ، فإنه قد ولي أمر هذه الأمة من قبلك رجلين خيرين فاضلين أبا بكر وعمر فسارا بسيرة ، فسر بسيرتهما واستن بسنتهما ، وأعمل بعملهما ، يرض الناس عنك ولا يشكوك أحد . ثم تكلم سعيد بن العاص فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ! ما دعا الناس أن نقموا عليك إلا الحمام والفراغ من الحروب ، وذلك أن العرب اليوم جلست في المحافل ، وتحدثت بالأحاديث ، فأشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدو حتىٰ لا يرجع أحدهم ،

---

(١) الزيغ : الميل .

(٢) الكامل في التاريخ : ١٤٩/٣ ـ ١٥٠ ، الطبري ٣٣٣/٤ .

(٣) بادهه : فاجاه .

إذا رجع إلى منزله قد أهمته نفسه ولا يتفرغ لعيب الأمراء . ثم تكلم معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك قد جمعتنا وذكرت أنه قد كثرت الشكايات منا وأنت قد ملّكتنا رقاب الناس وجعلتنا أوتاداً في الأرض[1] ، فخذ كل واحد منا بما يليه من عمله حتىٰ يكفيك ما قبله ، ولا يكون هاهنا شكاية أحد ، ولا ينقم أحد عليك . فعلم عثمان أن الرأي ما قال معاوية فعزم على أن يردَّ عماله إلى بلادهم وأعمالهم ، ثم أوصاهم وعهد إليهم وحذرهم الشكايات ، فرجع معاوية إلى الشام ، وعبد الله بن عامر إلى البصرة ، وسعيد بن العاص الكوفة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر ، فلم يزدادو على الناس إلا غلظة وجنفاً وجوراً في الأحكام وعدولاً عن السنة [2] .

فكان ذلك السبب في خذلان عثمان وقعود الصحابة عن نصرته حتىٰ قتل فإنه روى أن بعث عثمان بن عفان إلى ابن عباس[3] وهو محصور فأتاه وعنده مروان بن الحكم فقال عثمان : يا ابن عباس أما ترى إلى ابن عمك : كان هذا الأمر في بني تيم وعدي فرضي وسلّم حتىٰ إذا صار الأمر إلى ابن عمه بغاه الغوائل[4] . قال ابن عباس : فقلت له : إن ابن عمك والله ما زال عن الحق ولا يزول ولو أن حسناً وحسيناً بغيا في دين الله الغوائل لجاهدهما في الله حق جهاده ، ولو كنت كأبي بكر وعمر لكان لك كما كان لهما ، بل كان لك أفضل لقرابتك ورحمك وسنّك ، ولكنك ركبت الأمر وهاباه[5] . قال ابن عباس : فاعترضني مروان فقال : دعنا من تخطئتك يا ابن عباس فأنت كما قال الشاعر :

---

(١) أوتاد الأرض : جبالها ، ومن البلاد : الرؤساء .

(٢) الفتوح : ١/٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القريشي الهاشمي صحابي جليل ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة فلازم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وروى عنه الحديث وكان يعرف عنه تبحره في الفقه وحفظه للحديث . شهد مع علي (عليه السلام) الجمل وصفين وكفّ بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها .

(٤) الغائلة : الخيانة .

(٥) من الهيبة أي توقفا عن التورط فيه والضمير للخليفتين

دعـوتك للغيـاث ولست أدري أمن خلفي المنيـة أم أمـامي
فشقّقْتَ الكـلامَ رِخيَّ بـالٍ وقـد جلَّ الفعـال عن الكـلام

أن يكـون عندك لهـذا الرجـل غياث فـأغثه وإلاّ فمـا أشغله عن التفهم لكلامك والفكر في جوابك . قال ابن عباس : فقلت له : هـو والله كان عنـك وعن أهـل بيتكَ أشغـل إذ أوردتمـوه ولم تصـدروه[1] . ثم أقبلت على عثمـان فقلت له :

حعلت شعار[2] جلدك قوم سوء وقـد يجزىٰ المقـارنُ بالقـرينِ
فمـا نـظروا لـدنيـا أنت فيهـا بـإصلاحٍ ولا نـظروا لـدينِ

ثم قلت : إن القـوم والله غيـر قـابلين إلاّ قتلك أو خلعـك ، فـإن قتلت قتلت على ما قد عملت وعلمت وإن تركت فإن باب التوبة مفتوح[3] .

ثم إنه وقعت عدة حوادث عُـدَّت من دواعي النقمة على خـلافة عثمـان نذكر بعضها بغير إسهاب ودون إطناب .

خبر تسيير أبي ذر الغفاري

وكان من أشدِّ الناس على عثمان بن عفـان وبني أُمية أبـو ذر الغفاري[4]

---

(١) يُقال للذي يبتدىء أمراً ثم لا يتمه .

(٢) الشعار . ما يلي البدن .

(٣) تاريخ دمشق ، ترجمة عثمان بن عفان : ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(٤) أبو ذر جندب بن جنـادة أو السكن الغفاري من السـابقين إلى الإسلام قـدم على رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) فـأسلم فأمره إن يكتم دينه حتىٰ يـظهـر أمـر الإسـلام ويشتد وكان أبـو ذر صادقـاً قال فيـه رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) : «والله مـا أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»

وكان أبو ذر من شيعة علي (عليه السلام) فلذلك ابتلي بما إبتلى به ، نفاه عثمان بن عفان إلى الربذة فمات فيها وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) قد خـرج إلى تبوك فاتبعه أبو ذر فنزل رسول الله في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال : هذا رجـل يمشي على الطريق وحـده فقـال رسـول الله : كن أبـا ذر رحم الله أبـا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» .

فخافه عثمان على حكمه فرحّل إلى الشام فكان أن أقلق معاوية وخافه من تحريض أهل الشام عليه فكتب معاوية إلى عثمان يشكو أبا ذر ويستعديه عليه فكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن صخر . أما بعد ! فإني أخبرك يا أمير المؤمنين بأنّ أبا ذر قد أفسد عليك الشام وذلك أنه يظهر لأبي بكر وعمر جميل فإذا ذكرك أظهر عيبك وقال فيك القبيح ، وأني أكره أن يكون مثله بالشام أو بمصر أو بالعراق ، لأنهم قوم سراع إلى الفتن ، وأحب الأمور إليهم ا لشبهات ، وليسوا بأهل طاعة ولا جماعة ، والسلام .

فكتب إليه عثمان : أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر أبي ذر جندب بن جنادة ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث به إليَّ ، واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها ، وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار حتىٰ يغلبه النوم وينسيه ذكري وذكرك والسلام .

فلما ورد كتاب عثمان على معاوية دعا بأبي ذر فحمله على شارف[1] من الإبل بغير وطاء وبعث معه دليلاً عنيفاً يعنف عليه حتىٰ يقدم المدينة فقدم بأبي ذر المدينة وقد سقط لحم فخديه ـ وكان أبو ذر رحمه الله رجلاً آدم طويلاً ضعيفاً نحيفاً شيخاً أبيض الرأس واللحية ـ فلما أدخل على عثمان ونظر إليه قال : لا أنعم الله بك يا جنيدب ! فقال أبو ذر : أنا جندب بن جنادة وقد سمّاني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عبد الله فقال عثمان : أنت الذي تزعم بأننا نقول : إن يد الله مغلولة ، وإن الله فقير ونحن أغنياء ؟ فقال أبو ذر : أو كنتم لا تقولون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده المؤمنين ، إني لم أقل ذلك ، ولكني أشهد لقد سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : إذا بلغ بنو أمية العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً ، ثم يريح الله العباد منهم . فقال عثمان لمن بحضرته من المسلمين : أسمعتم هذا الحديث من رسول الله (صلّى الله عليه وآله

---

(١) الشارف من النوق المُسنّة الهرمة .

وسلّم) فقالوا : ما سمعناه : فقال عثمان : ويلك يا جندب ! أتكذب على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . فقال أبو ذر لمن حضر : أتظنون أني كذبت ولم أصدق في هذا الحديث ! فقال عثمان : أدعو لي علي بن أبي طالب ، فدعي له فلما جلس قال عثمان لأبي ذر : أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فأعاد الحديث أبو ذر فقال عثمان : يا أبا الحسن هل سمعت هذا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال علي (عليه السلام) : لم أسمع هذا ولكن قد صدق أبو ذر ، فقال عثمان : وبماذا صدقته ؟ فقال علي (علسه السلام) : بحديث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أحداً أصدق لهجة من أبي ذر . فقال جميع من حضر من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صدق علي ، وقال أبو ذر : أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتتهموني ، ما كنت أظن أني أعيش حتىٰ أسمع هذا منكم ، فقال عثمان : كذبت أنت رجل محب للفتنة فقال أبو ذر : أتبع سنة صاحبيك أبي بكر وعمر حتىٰ لا يكون لأحد عليك كلام فقال عثمان : ما أنت وذاك لا أم لك ! فقال أبو ذر : والله ما أعرف لي إليك ذنباً إلاّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاشتد غضب عثمان ثم قال : أشيروا عليَّ في أمر هذا الشيخ الكذاب فقد فرَّق جماعة المسلمين فقال علي (عليه السلام) : أما أنا فأشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون «فإن يك كذاباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب»[1] فقال عثمان : التراب بفيك يا علي فقال علي : بل بفيك يا عثمان ، أتصنع هذا بأبي ذر وهو حبيب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في كتاب كتبه إليك معاوية من قد عرفت رفقه وظلمه ! فأمسك عثمان عن علي ثم أقبل على أبي ذر فقال : أخرج عنا من بلدنا ، فقال أبو ذر : ما أبغض إليَّ جوارك ، ولكن إلى أين أخرج ؟ فقال عثمان : إلى حيث شئت ، فقال : أرجع إلى الشام فإنها أرض الجهاد ، فقال عثمان : إني إنما جئت بك من الشام لما تفسد بها عليَّ ، ولا أحب أن أردّك

(١) سوره عافر ؛ الايه . ٢٨ .

إليها ، قال أبو ذر : فأخرج إلى العراق ، قال عثمان : لا ، لأنهم قوم أهل شبهة وطعن على الأئمة فقال أبو ذر : فإني حيث كنت فلا بد لي من قول الحق فإلى أين تحب أن أخرج ؟ فقال عثمان : إلى بلد هو أبغض إليك قال : الربذة[1] ، قال : فاخرج إليها ولا تعدها[2] .

وفي تأريخ اليعقوبي : أنه كتب معاوية إلى عثمان : إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر ، فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه ، فلما دخل إليه وعنده جماعة قال : بلغني إنك تقول : سمعت رسول الله يقول : إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً وعباد الله خولا ودين الله دغلاً[3] ، فقال : نعم ! سمعت رسول الله يقول ذلك . فقال لهم : أسمعتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول ذلك ؟ فبعث إلى علي بن أبي طالب فأتاه فقال : يا أبا الحسن أسمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول ما حكاه أبو ذر ؟ وقصَّ عليه الخبر ، فقال علي : نعم ! قال : وكيف تشهد ؟ قال : لقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر» . فلم يقم بالمدينة إلاّ أياماً حتىٰ أرسل عثمان : والله لتخرجن عنها ! قال : أتخرجني من حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ؟ قال : نعم ، وأنفك راغم ، قال : فإلى مكة ؟ قال : لا ، قال : فإلى البصرة ؟ قال : لا ، قال : فإلى الكوفة ؟ قال : لا ، ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتىٰ تموت بها . يا مروان : أخرجه ولا تدع أحداً يكلمه حتىٰ يخرج . فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله[4] بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون فلما رأى أبو ذر علياً

---

(١) قرية من القرى القديمة في الجاهلية بين مكة والمدينة وتسمى الآن بالواسطة وفيها قبر أبي ذر وهو معروف يزوره كثير من الخاصة من أهل العلم والمعرفة .

(٢) الفتوح : ١/٣٧٣ ـ ٣٧٥ .

(٣) الدَّغل : الفساد .

(٤) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، صحابي ، ولد بأرض الحبشة لما

قام إليه فقبَّل يده ثم بكىٰ وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم أصبر حتىٰ أبكي فذهب علي يكلمه فقال له مروان: إن أمير المؤمنين قد نهىٰ أن يكلمه أحد فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال : تنحَّ نحاك الله إلى النار ، ثم شيَّعه فكلمه بكلام يطول شرحه وتكلم كل رجل من القوم وانصرفوا . وانصرف مروان إلى عثمان فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحياً[1] كلاماً فلم يزل أبو ذر بالربذة حتىٰ توفي[2] .

وروي أن عثمان بن عفان قال لعلي (عليه السلام) وكان قد شتم مروان علياً (عليه السلام) : لِمَ لا يشتمك ـ مروان ـ إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه[3] .

خبر عثمان مع عبد الله بن مسعود

وكان من عمل عثمان أنه عمد إلى جمع القرآن الكريم في مصحف واحد فألَّفه وصيَّر الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور ، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتىٰ جمعت ، ثم سلقها بالماء الحار والخلّ ، وقيل : أحرقها فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود بالكوفة فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر ، وكتب إليه عثمان أن أشخصه أنه لم يكن في هذا الدين خبالاً ، وهذه الأُمة فساداً . فدخل

= هاجر أبواه إليها ، وهو أول من ولد بها من المسلمين ، كان كريماً يسمىٰ بحر الجود ، حضر صفين مع عمّه علي (عليه السلام) ومات بالمدينة ، وقبره بالبقيع .

(١) لحاه يلحوه : شتمه .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢/١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٣) مروج الذهب : ٢/٣٥١ . ولعمري كيف يستوي ربيب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علي (عليه السلام) وطريد رسول الله مروان بن الحكم .

المسجد وعثمان يخطب فقال عثمان : إنه قد قدمت عليكم دابة سوء . فكلمه ابن مسعود بكلام غليظ ، فأمر بـه عثمان فجـرَّ برجله حتىٰ كسـر له ضلعـان ، فتكلمت عـائشة وقـالت قولاً كثيـراً . وبعث بها إلى الأمصـار وبعث بمصحف إلى الكـوفة ومصحف إلى البصـرة ومصحف إلى المدينة ومصحف إلى مكـة ومصحف إلى مصر ومصحف إلى الشام ومصحف إلى البحرين ومصحف إلى اليمن ومصحف إلى الجزيرة ، وأمر الناس أن يقرأوا على نسخة واحدة[1] .

واعتلّ ابن مسعود فأتاه عثمـان يعوده فقـال له : مـا كلام بلغني عنـك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي ، إنك أمرت بي فـوطىء جوفي فلم أعقـل صلاة الظهر ولا العصر ، ومنعتني عطائي . قال : فإني أقيـدك من نفسي فافعـل بي مثل الذي فعـل بك ! قـال : ما كنت بـالذي أفتح القصاص على الخلفـاء . قال : فهذا عطاؤك فخذهُ ، قـال : منعتنيه وأنـا محتاج إليـه وتعطينيـه وأنا غني عنه ! لا حاجـة لي به . فـانصرف فـأقـام ابن مسعـود مغـاضبـاً لعثمـان حتىٰ توفي[2] .

وقيل : إن عثمان مرَّ بقبر جـديد فسأل عنه فقيـل : قبر عبـد الله بن مسعود فغضب على عمار لكتمانه أيّاه موته إذ كان المتولي للصلاة عليه والقيـام بشأنـه فعندها وطيء عماراً حتىٰ أصابه الفتق[3] .

خبر عثمان مع عمّار بن ياسر

كان في بيت المال بالمدينة سَفَط فيه حلي وجوهر فـأخذ منـه عثمان مـا حلّى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلامٍ شديد

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢/١٧٠ .
(١) تأريخ اليعقوبي : ٢/١٧٠ .
(٣) أنساب البلاذري : ٥/٤٩ .

حتىٰ أغضبوه فخطب فقال لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رَغِمَتْ أنوف أقوام فقال له عليٌّ إذاً تُمنَعْ من ذلك ويُحالُ بينك وبينه ، وقال عمار بن ياسر[1] أشهد الله أنّ أنفي أوّلَ راغم من ذلك فقال عثمان : أعليَّ يا ابن المَتِكْاءِ[2] تجترىء، خذوه فأخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتىٰ غُشي عليه ثم أُخرج فَحُمِل حتىٰ أُتي به منزل أُمّ سَلَمة[3] زوج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم يصل الظهر والعصر والمغرب فلما أفاق توضأ وصلّى وقال : الحمد لله ليس هذا أول يوم أُذينا فيه في الله ، وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم فقال : يا عثمان أمّا عليٌّ فاتَّقَيْتَهُ وبني أبيه وأما نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتىٰ أشفيتَ[4] به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلاً من بني أُمية عظيم السُرَّة فقال عثمان : وأنك لها هنا يا ابن القَسرِّية ، قال : فإنهما قسريتان ـ وكانت أُمه وجدّته قسريتين من بَجِيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج فأتىٰ أُم سلمة فإذا هي قد غضبت لعمار وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعرْ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ، ثم

---

(١) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني ، أبو اليقظان ، صحابي ، من الولاة الشجعان ذو الرأي وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً والخندق وبيعة الرضوان وكان يلقبه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : الطيب المطيَّب، وفي الحديث ما خير عمار بين أمرين إلا اختار ارشدهما . وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام وهو مسجد قباء ، ولاّه عمر بن الخطاب الكوفة ، وشهد مع علي (عليه السلام) معركة الجمل وصفين وقتل فيها وعمره ثلاث وتسعون سنة ، وكان رسول الله يقول ﴿**يا عمار تقتلك الفئة الباغية**﴾ .

(٢) المتكاء : البظراء المفضاة .

(٣) أم سلمة بنت أبي أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية اسمها هند ويُقال رملة وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة فمات عنها زوجها فتزوجها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سنة أربع أو ثلاث للهجرة وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجروا إلى الحبشة . مات في شوال سنة ٥٩ أو ٦١ للهجرة بعد نعي الحسين (عليه السلام) .

(٤) أشفيت : أشرفت .

قـالت : ما أسـرع ما تـركتم سُنة نبيكم ، وهـذا شعره وثـوبه ونعله لم يَبْـلَ[1] بعدُ ، فغضب عثمان غضباً شديداً حتىٰ ما درى ما يقول فـالتجّ المسجـد وقال الناس : سبحان الله سبحان الله ! وكان عمرو بن العاص واجداً[2] على عثمان لعزله إياه عن مصر وتـوليته أيَّاها عبـد الله بن سعد بن أبي سَـرْح فجعل يكثـر التعجب والتسبيح ، وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومَن مشىٰ معـه من بني مخزوم إلى أُمُّ سلمة وغضبُهـا لعمار فـأرسل إليهـا : ما هـذا الجمع فـأرسلت إليه : دع ذا عنك يا عثمان ، ولا تحمـل الناس في أمـرك على ما يكـرهون ، واستقبح الناسَ فعله بعمّار ، وشاع فيهم فاشتدّ انكارهم له .

ويقال : إنه أجتمع نفر من أصحـاب النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) ثم إنهم كتبوا كتاباً وذكروا فيه كلَّ حـدث أحدثـه عثمان منـذ يوم ولي الخـلافة إلى ذلك اليوم ، ثم إنهم خوَّفوه في الكتـاب وأعلموه أنـه إن لـم ينزع عمّـا هو عليه خلعوه واستبـدلوا بـه غيره ، فكتبـوا هذا الكتـاب ، ثم قالـوا : ننطلق بـه جميعاً حتىٰ نضعه في يده ، فإننا إن ذهبنا نكلمه وليس معنا كتاب لم يحضرنـا من الكلام ما نريد ، ثم أقبلوا على عمار بن ياسر وقالوا له : يا أبا اليقظان هل لك أن تكفينا هذا الأمر وتنـطلق بالكتـاب إلى عثمان ؟ فقـال عمّار : أفعله ثم أخـذ الكتاب وانـطلق إلى عثمـان ، فـإذا عثمـان وقـد لبس ثيـابـه وخفيـه في رجليه ، فلما خرج من باب منزله نـظر إلى عمّار واقفـاً والكتاب في يـده فقال له : حاجة يا أبا اليقظان ؟ فقال عمار : ما لي حاجة ولكنا إجتمعنا فكتبنا كتاباً نذكر فيه أُموراً من امورك لا نرضاها لك ، ثم دفع إليـه الكتاب فـأخذه عثمـان فنظر فيه حتىٰ قرأ سطراً منه ، ثم غضب ورمىٰ به من يده ، فقال له عمّار : لا ترم الكتاب وأنظر فيه حسناً فإنه كتاب أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وأنا والله ناصح لك ، فقال له عثمان : كذبت يا ابن سميه[3] ! فقال

(١) البالي : القديم ، وقوله لم يبل بعد أي لم تمض عليه مدة تجعله بالياً .

(٢) الوَجْد : الغضب .

(٣) سميـة بنت خياط صحـابية كـانت من أوائل الـذين اظهروا الإسـلام بمكـة وكـانت في الجاهلية مولاة لأبي حذيفة ابن المغيرة المخزومي وكان حليفـاً لياسر بن عامـر الكناني

عمّار : أنا والله ناصح لك ، فقال عثمان : كذبت يا ابن سمية فقال عمار : أنا والله ابن سمية وابن ياسر فأمر عثمان غلمانه فضربوه ضرباً شديداً حتىٰ وقع لجنبه ، ثم تقدم إليه عثمان فوطىء بطنه ومذاكيره حتىٰ غشي عليه وأصابه الفتق لما به لا يعقل من أمر شيئاً[1] .

وفي أنساب البلاذري : إن المقداد بن عمرو وعمار بن ياسر وطلحة والزبير في عدة من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتبوا كتاباً عدّوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه فقال له عثمان : أعليَّ تقدِمُ من بينهم فقال عمّار : لأني أنصحهم لك ، فقال : كذبت يا ابن سمية فقال : أنا والله ابن سمية وابن ياسر فأمر غلمانه فمدُّوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه[2] . وكان من خبر عمار مع عثمان أنه لما مات أبو ذر بلغ ذلك عثمان فقال : رحم الله أبا ذر ، فقال عمار بن ياسر : فرحم الله أبا ذر من كل قلوبنا فغضب عثمان ثم قال : يا كذا وكذا أتظن أني ندمت على تسييره إلى الربذة ؟ قال عمار : لا والله ما أرى ذلك ! قال عثمان : إدفعوه في قفاه وأنت فألحِقْ بالمكان الذي كان فيه أبو ذر ، ولا تبرحه أبداً ما بقيت وأنا حي ، فقال عمار : والله أن جوار السباع لأحب من جوارك ثم قام عمار فخرج من عنده .

وعزم عثمان على نفي عمار ، وأقبلت بنو مخزوم إلى علي بن أبي

= المذحجي فزوجه بها فولدت له عمارا ولما كان بدء الدعوة الإسلامية كانت سمية عجوزاً كبيرة فأسلمت سراً هي وزوجها وابنها ثم هاجروا بإسلامهم ولم يكن لهم من يحميهم فعذبهم مشركو قريش بأن ألبسوهم دارع الحديد وأقاموهم الشمس وجاء أبو جهل فطعن سمية بحربة فقتلها فكانت أول شهيد في الإسلام وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلما مرَّ عليهم يقول : صبراً يا آل ياسر أبشروا بالجنة .

(١) الفتوح : ١/٣٧٢ .

(٢) اساب البلاذري : ٥/٤٨

طالب (عليه السلام) فقالوا : أنه يا أبا الحسن قد علمت بأنا أخوال أبيك أبى طالب وهذا عثمان بن عفان قد أمر بتسيير عمار بن ياسر ، وقد أحببنا أن نلقاه فنكلمه في ذلك ونسأله أن يكف عنه ولا يؤذينا فيه ، فقد وثب عليه مرة ففعل به ما فعل وهذه ثانية ، ونخاف أن يخرج معه إلى أمر يندم ونندم نحن عليه ، فقال : أفعل ذلك فلا تعجلوا فوالله لو لم تأتوني في هذا لكان ذلك من الحق الذي لا يسعني تركه ولا عذر لي فيه . ثم أقبل علي (عليه السلام) حتىٰ دخل على عثمان فسلّم وجلس فقال : إتق الله أيها الرجل وكف عن عمار وغير عمار من الصحابة ، فإنك قد سيّرت رجلاً من صلحاء المسلمين وخيار المهاجرين الأولين حتىٰ هلك في تسييرك إياه غريباً ، ثم إنك الآن تريد أن تنفي نظيره من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال عثمان : لأنت أحق بالمسير منه ، فوالله ما أفسد عليَّ عماراً وغيره سواك ! فقال علي (عليه السلام) : والله يا عثمان ما أنت بقادر على ذلك ولا إليه بواصل فرم ذلك إن شئت ، وأما قولك إني أفسدهم عليك فوالله ما يفسدهم عليك إلا نفسك لأنهم يرون ما ينكرون فلا يسعهم إلا تغيير ما يرون .

ثم وثب على (عليه السلام) فخرج واستقبله الناس فقالوا له : ما صنعت يا أبا الحسن ؟ فقال : صنعت إنه قال لي كذا وكذا وقلت له كذا فقالوا : احسنت والله وأصبت يا أبا الحسن ! فوالله لئن كان هذا شأن عثمان ورأيه فينا كلما غضب على رجل منه نفاه إلى بلد غير بلده ، فلا يموت أحد منا إلاّ غريباً في غير أهل ولا عشيرة ، وإلى من يوصي الرجل عند موته وبمن يستعين فيما ينويه ! والله لئن نموت في رحالنا خير لنا من حياة الأبد بالمكان الذي مات فيه أبو ذر رحمه الله تعالى .

ثم اقبل علي (عليه اا سلام) على عمار بن ياسر فقال له : اجلس في بيتك ولا تبرح منه فإن الله تبارك وتعالى مانعك من عثمان وغير عثمان وهؤلاء المسلمون معك فقالت بنو مخزوم : والله يا أبا الحسن لئن نصرتنا وكنت معنا لاوصل إلينا عثمان بشيء نكرهه أبداً وبلغ ذلك عثمان فكفّ عن عمار وندم

على ما كان منه[1] .

خبر سعيد بن العاص مع قرّاء الكوفة

لمّا عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها ، فكان يجالس قرّاءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم مالك[2] بن الحارث الأشتر النخعي ، وزيد[3] وصعصعة[4] ابنا صُوحان العبديان وحرقوص بن زهير السعدي وجندب بن زهير الأزدي وشريح بن أوفىٰ بن يزيد بن زاهر العبسي وكعب بن عبدة النهدي وكان يُقال لعبدة بن سعد ذو الحبكة وكان كعب ناسكاً وهو الذي قتله بسر بن أرطاة[5] وعدي بن

---

(١) الفتوح : ١/٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٢) مالك بن الحرث النخعي الأشتر من التابعي ، كان من أعاظم أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ولقب بالأشتر لأنه شترت عينه في حروب الردة أيام أبي بكر ضربه أبو مسيكة الايادي من بني حنيفة وكانوا أشد العرب المرتدين شوكة طلب البراز فالجموا فخرج له مالك فالتقيا بالسيوف والرماح فضربه أبو مسيكة على رأسه وشتر عينه فرجع الأشتر إلى أهله فشدّ رأسه ثم رجع إلى أبي مسيكة فدعاه إلى البراز فخرج إليه فضربه مالك بالسيف على كتفه فشقها إلى سرجه فقتله .

وكان مالك من خواص علي (عليه السلام) شهد معه حروبه خاصة صفين التي أبلىٰ فيها الأشتر ما لم يبل أحد مثله حتىٰ وصل إلى فسطاط معاوية لولا التحكيم ، وولّاه أمير المؤمنين مصر بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة عنها فدسَّ له أحد عيون معاوية السمَّ في الطريق فلما وصل نعيه إلى علي (عليه السلام) قال : مالك وما مالك والله لو كان جبلاً لكان فنداً ولو كان حجراً لكان صلداً لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه ا لطائر .

(٣) زيد بن صوجان بن حجر العبدي من التابعين ، من أهل الكوفة ، كان من الشجعان ، شهد وقائع الفتح فقطعت شماله يوم نهاوند ، وحضر يوم الجمل مع علي (عليه السلام) فقتل في يوم الجمل .

(٤) صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة ولد في دارين قرب القطيف ، كان خطيباً بليغاً ، شهد مع علي (عليه السلام) صفين ، وله مع معاوية مواقف ، نفاه المغيرة من الكوفة إلى أوال في البحرين بأمر من معاوية فمات فيها عن نحو سبعين عاماً وقيل مات بالكوفة .

(٥) بسر بن أرْطاة العامري قائد فتاك من الجبارين ولد بمكة قبل الهجرة واسلم ، كان من =

حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد الحشرج الطائي ويكنى أبا طريف ، وكدام بن حضرميّ بن عامر أحد بني مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمة ، ومالك بن حبيب بن خراش من بني ثعلبة بن يربوع وقيس بن عُطارد ابن حاجب بن زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله ، ويزيد بن قيس الأرحبي وغيرهم ، فإنهم لَعِنْده وقد صلّوا العصر إذا تذاكروا السواد والجبل ففضلوا السواد وقالوا : هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل ، وكان حسان بن محدوج بن بشر بن حوط بن سعنة الذهلي الذي ابتدأ الكلام في ذلك فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي صاحب شُرَطِه : لوددتُ أنه للأمير وأن لكم أفضل منه ، فقال له الأشتر : تمنَّ للأمير أفضل منه ولا تمنَّ له أموالنا فقال عبد الرحمن : ما يضرُّك من تمنيَّ حتىٰ تروي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له ، فقال الأشتر : والله لو رام ذلك ما قدر عليه ، فغضب سعيد وقال : إنما السواد بستان لقريش ، فقال الأشتر : أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك ، والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصأصأ[1] منه ، ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي ، فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إني لا أملك من الكوفة مع الأشتر وأصحابه الذين يدعون القرّاء وهم السفهاء شيئاً . فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام ، وكتب إلى الأشتر : إني لأراك تضمر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك وما أظنك منتهياً حتىٰ يصيبك قارعةٌ لا بقيا بعدها ،

= رجال معاوية شهد فتح مصر ، وجهه معاوية إلى المدينة فأخضعها وإلى مكة فاحتلها وأمره معاوية أن يفتك بمن يراه من أصحاب علي (عليه السلام) فقتل منهم جمعاً ، ودخل اليمن وفتك بأهلها وقتل ابني عبيد الله بن العباس وهما في حجر أمهما ، وولّاه معاوية على البصرة ثم غزا الروم فبلغ القسطنطينية ثم أصيب بعقله ومات في دمشق عن تسعين عاماً .

(٦) عدي بن حاتم الطائي : ابو وهب وأبو طريف ، صحابي جليل ، أسلم سنة ٩ للهجرة ، عرف بالجود كأبيه شهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وحضر مع علي (عليه السلام) معركة الجمل وصفين والنهروان وفقئت عينه يوم صفين ومات بالكوفة عن أكثر من مئاة سنة .

(١) صأصأ : خاف وذلّ .

فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك من قبلك وإنك لا تألوهم خبالا[١] .

وفي الفتوح : كتب عثمان بن عفان إلى سعيد بن العاص كتاباً في أوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ! فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنك لا تملك من الكوفة شيئاً مع الأشتر ، ولعمري إنك تملك منها العريض الطويل ، وقد كتبت إلى الأشتر كتاباً وضمنته كتابك فادفعه إليه وانظر أصحابه هؤلاء الذين ذكرتهم فألحقهم به والسلام .

وكان كتاب عثمان للأشتر : أما بعد ! فقد بلغني يا أشتر أنك تلقح وتريد أن تنبح ، وأيم الله إني لأظن أنك تستر أمراً لو أنك أظهرته لحلّ به دمك وما أراك منتهياً عن الفتنة أو يصيبك الله بقارعة ليس معها بقيا فانظر إذا أتاك كتابي هذا فقرأته ورأيت أن لي عليك طاعة فسر إلى الشام فتكون بها مقيماً حتىٰ يأتيك امري ، واعلم أني إنما أسيرك إليها لا لشيء إلا لإفساك على الناس ، وذلك بأنك لا تألوهم خبالاً وضلالاً[٢] .

فسيَّر سعيدُ الأشتر ومن كان وثب مع الأشتر وهم زيد وصعصعة ابنا صوحان وعائذ بن حملة الطُهَويّ من بني تميم وكميل[٣] بن زياد وجندب بن زهير الأزدي ، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني[٤] من بني حوث بن سَبُع بن صعب أخوة السبيع بن سَبُع بن صعب ويزيد بن المكفف النخعي وثابت بن قيس بن المنقع بن الحارث النخعي وأصعر بن قيس بن الحارث بن

---

(١) أنساب البلاذري : ٥/٣٩ ـ ٤٠

(٢) الفتوح : ١/٣٨٤

(٣) كميل بن زياد النخعي من خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) من التابعين أدرك من حياة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثماني عشرة سنة ، شهد مع علي (عليه السلام صفين ، قتله الحجاج

(٤) الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الكوفي ، من خواص علي (عليه السلام) والمجاهرين بحبه ، وكان ممن روى عن علي (عليه السلام) وأخذ علومه منه توفي سنة ٦٥ للهجرة .

وقاص الحارثي من بني المعقّل[1] . وكتب عثمان إلى معاوية وهو والي الشام : إنَّ نفراً من أهل الكوفة قد همّوا بإثارة الفتنة وقد سيَّرتهم إليك فانْهَهُم ، فإن آنست منهم رشداً فأحسن إليهم واردهم إلى بلادهم .

فلما قدموا على معاوية ـ وكانوا الأشتر ومالك بن كعب الارحبي[2]، والأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس النخعي وصعصعة بن صوحان العبدي وغيرهم جمعهم يوماً وقال لهم : إنكم قوم من العرب ذوو أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مواريثهم ، وقد بلغني إنكم ذممتم قريشاً ، ونقمتم على الولاة فيها ، ولولا قريش لكنتم أذلة ، إن أئمتكم لكم جُنّة ، فلا تفرقوا عن جنتكم ، وإن أئمتكم ليصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم العقاب ، والله لتنتهُنّ أو ليبلينكم الله بمن يسومكم الخسف ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونوا شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم . فقال له صعصعة بن صوحان : أما قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية وإن غيرها من العرب لأكثر منها وأمنع .

فقال معاوية : إنك لخطيب القوم ولا أرى لك عقلاً وقد عرفتكم الآن وعلمت أن الذي أغراكم قلة العقول . أعظُم عليكم أمر الإسلام فتذكرني الجاهلية ! أخزى الله قوماً عظموا أمركم ! إفقهوا عني ولا أظنكم تفقهون ، إن قريشاً لم يعزّ في جاهلية ولا إسلام إلا بالله وحده ، لم تكن باكثر العرب ولا أشدها ، ولكنهم كانوا أكرم أحساباً وأمحضهم أنساباً ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهلية ـ والناس تأكل بعضهم بعضاً ـ إلاّ بالله فبوأهم حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم . هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حُمراً إلاّ وقد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمهم إلاّ ما كان من قريش فإنه لم يردهم

---

(١) أنساب البلاذري : ٥/ ٤٠ .

(٢) مالك بن كعب الأرحبي من شيعة علي (عليه السلام) كان عامله على عين التمر وأمير الجيش الذي سار لنصرة محمد بن أبي بكر إلى مصر .

أحـد من النـاس بكيـد إلا جعـل الله خـدَّه الأسفـل ، حتىٰ أراد الله تعـالى أن يستنقذ من أكرمه باتباع دينه من هوان الدنيا وسوء مـردّ الآخرة فـارتضى لذلـك خير خلقه ثم إرتضىٰ له أصحابـاً وكان خيـارهم من قريش ثم بنى هـذا الملك عليهم ، وجعـل هذه الخـلافة فيهم فـلا يصلح الأمـر إلاَّ بهم ، وقـد كـان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم على دينـه ! أُفٍ لك ولأصحابك أما أنت يا صعصعـة فإن قـريتك شـرّ القرى ، أنتنهـا نبتاً وأعمقهـا وادياً ، وألأَمَها جيراناً ، وأعرفها بالشر ، لم يسكنهـا شريف قط ولا وضيـع إلا سُبَّ بهـا ، نُزَّاع الأُمم وعبيـد فارس وأنت شـر قومـك ، حين أبرزك الإسـلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجاً ، وتنزع إلى الغوايـة ! إنه لم يضـرّ ذلـك قريشـاً ولا يضعهم ، ولا يمنعهم من تـأديـة مـا عليهم ، إن الشيـطان عنكم لغير غافل ، وقد عرفكم بالشر فأغراكم بالنـاس وهو صـارعكم وأنكم لا تـدركون بـالشر أمـراً إلا فُتِح عليكم شـرٌّ منه وأخـزىٰ . قد أذنت لكم فـاذهبوا حيث شئتم ، لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ، ولا يضره ، ولستم برجال منفعة ولا مضرة ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا تُبطرنَّكم النعْمة ، فإن البـطر لا يجر خيراً . أذهبوا حيث شئتم فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

وكتب إلى عثمـان : إنـه قـدم عليَّ قـوم ليست لهم عقـول ولا أديـان أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمـون بحجة إنمـا همهم الفتنة ، والله مبتليهم ثم فاضحهم ، وليسوا بالذين نخاف نكايتهم وليسوا الأكثر ممن له شغب ونكير[1] .

وفي الفتـوح : إنه أرسـل إليهم معاويـة فدعـاهم فجاءوا حتىٰ دخلوا ثم سلموا وجلسوا فقال لهم معاويـة : يا هؤلاء ! اتقـوا الله **﴿ولا تكونـوا كالـذين تفـرقوا واختلفـوا من بعد مـا جاءهم البينـات﴾**[2] ثم سكت معاويـة فقـال لـه كميل بن زياد : يا معاوية : **﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيـه من الحق**

---

(١) شرح النهج : ٢/١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠٥ .

بإذنه﴾[1] فنحن أولئك الذين هداهم الله فقال له معاوية : كلا يا كميل : إنا أولئك الذين أطاعوا الله ورسوله وولاة الأمر فلم يدفنوا محاسنهم ولا أشاعوا مساويهم ، فقال كميل : يا معاوية لولا أن عثمان بن عفان وفق منك بمثل هذا الكلام وهذه الخديعة لما اتخذك لنا سجنا فقال له الأشتر : أتبدأنا بالمنطق وأنت أحدثنا سناً فسكت كميل وتكلم الأشتر فقال : أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فجمع به كلمتها وأظهرها على الناس فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث ثم قبضه الله عزّ وجلّ إلى رضوانه ومحل جنانه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كثيراً ، ثم ولي بعده قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وجزاهم بأحسن ما أسلفوا من الصالحات ثم حدثت بعد ذلك أحداث فرأى المؤمنون من أهل الطاعة أن ينكروا الظلم وأن يقولوا بالحق فإن أعاننا ولاتنا أعفاهم الله من هذه الأعمال التي لا يحبها أهل الطاعة فنحن معهم ولا نخالف عليهم وإن أبوا ذلك فإن الله تبارك وتعالى قد قال في كتابه وقوله الحق ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[2] فلسنا يا معاوية بكاتمي برهان الله عزّ وجلّ ولا تاركي أمر الله لمن جهله حتىٰ يعلم مثل الذي علمنا وإلّا فقد غششنا أئمتنا وكنّا كمن نبذ الكتاب وراء ظهره فقال له معاوية : يا أشتر إني أراك معلناً بخلافنا مرتضياً بالعداوة لنا ، والله لأشدّن وثاقك ولأطيلن حبسك فقال له عمرو بن زرارة : يا معاوية لئن جبسته لتعلمن أن له عشيرة كثيرة عددها لا يضام ، شدها شديد على من خالفها ونبزها[3] ، فقال معاوية : وأنت يا عمرو تحب أن يضرب عنقك ولا تترك حياً ، إذهبوا بهم إلى السجن .

فذهبوا بهم إلى السجن فقام زيد بن المكفكف فقال : يا معاوية إن

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٣ .
(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٨٧ .
(٣) النّبز : اللّقب .

القوم بعثوا بنا إليك لم يكن بهم عجز في حبسنا في بلادنا لـو أرادوا ذلك فـلا تؤذينا وأحسن مجاورتنا ما جاورناك فما أقل مـا نجاورك حتىٰ نفـارقك إن شـاء الله تعالى .

ثم وثب صعصعة بن صوحـان فقال : يـا معاويـة إن مالـك بن الحارث الأشتر وعمرو بن زرارة رجلان لهما فضل في دينهم وحالة حسنة في عشيـرتهم وقد حبستهم فأمر بإخراجهم فذلك أجمل في الرأي فقال معاوية : عليّ بهم ، فأتي بهم من الحبس فقال معـاوية : كيف تـرون عفوي عنكم يـا أهل العـراق بعد جهلكم واستحقاقكم الحبس ؟ رحم الله أبـا سفيان لقـد كان حليمـاً ، ولو ولد الناس كلهم لكانوا حلمـاء . فقال صعصعـة بن صوحـان : والله يا معـاوية لقد ولدهم من هـو خير من أبي سفيـان فسفهاؤهم وجهالهم أكثر من حلمـائهم فقال معاوية : قاتلك الله يا صعصعة قد أعطيت لساناً حديداً . أخرجوا واتقـوا الله وأحسنوا الثناء على أئمتكم فـإنهم جنة لكم ، فقـال صعصعة : يـا معاويـة إننـا لا نرىٰ لمخلوق طـاعة في مـعصيـة الخالق فقـال معـاويـة : إخـرج عني اخرجك الله إلى النار فلعمري أنك حدث .

فخـرج القوم من عنـد معاويـة وصاروا إلى منـازلهم فلم يـزالـوا مقيمين بالشام وقد وكّل بهم قوم يحفظونهم أن لا يخرجوا[1] .

وروي : إنه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحـاورات والمخـاطبات بينهم ، وأن معـاوية قـال لهم في جملة ما قـال : إنّ قريشـاً قـد عرفت أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكـرمها إلاّ مـا جعل الله لنبيّـه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإنه انتجبه واكرمه ، ولو أن أبا سفيان ولد الناس كلهم لكـانوا حلمـاء . فقال لـه صعصعة بن صـوحان : كـذبت ! قـد ولـدهم خيـر من أبي سفيان ! من خلق الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له فكـان فيهم البرّ والفاجر والكيِّس[2] والأحمق .

---

(١) الفتوح : ١ / ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .
(٢) الكَيْس · ضد الحُمْق ورجل كَيِّس أي ظريف

ومن المجالس التي دارت بينهم إن معاوية قال لهم : أيها القوم ردّوا خيراً أو اسكتوا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوني وأطيعوني . فقال له صعصعة : لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله . فقال : إنّ أول الكلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فقال : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فقال : إن كنت فعلت فإني الآن أتوب ، وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة وإن توقروا أئمتكم وتطيعوهم .

فقال صعصعة : إن كنت تبت فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن من المسلمين من هو أحق منك ، فمن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك وهو أحسن قدماً في الإسلام منك .

فقال معاوية : إن لي في الإسلام لقدماً ، وإن كان غيري أحسن قدماً مني لكنه ليس في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني ، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك فلو كان غيري أقوى لم يكن عند عمر هوادة لي ولا لغيري ولم أحدث ما ينبغي له أن أعتزل عملي ، فلو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ بخط يده فاعتزلت عمله ، فمهلاً فإني في دون ما أنتم فيه ما يأمر الشيطان وينهىٰ ولعمري لو كانت الأمور تقضى على رأيكم وأهوائكم ما استقام لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة فعاودوا الخير وقولوه فإن الله ذو سطوات وإني خائف عليكم أن تتابعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل ، فوثبوا على معاوية فأخذوا برأسه ولحيته ، فقال : مه ! إن هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي ، وأنا أمامهم ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتىٰ يقتلوكم فلعمري إن صنيعكم يشبه بعضه بعضاً . .

ثم قام من عندهم وكتب إلى عثمان في أمرهم فكتب إليه أن رُدَّهم إلى سعيد ابن العاص بالكوفة فردّهم فأطلقوا ألسنتهم في ذمّه وذم عثمان وعيبهما فكتب إليه عثمان أن يسيّرهم إلى حمص إلى عبد الرحمن[1] بن خالد بن الوليد

---

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أدرك النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان مع معاوية ؞

فسيَّرهم إليها[1] .

ثم إنهم مكثوا شهراً عنده ثم ردّهم عبد الرحمن إلى الكوفة .

كتاب أهل الكوفة الى عثمان وخبر كعب بن عبيدة النهدي

لمّا حدث أن سُيِّر مالك الاشتر وجماعة من قراء الكوفة إلى الشام وما كان من خبرهم مع سعيد بن العاص كتب جماعة من القرّاء إلى عثمان منهم معقل بن قيس الرياحي وعبد الله بن الطفيل العامري ومالك بن حبيب التميمي ويزيد بن قيس الأرحبي وحجر بن عدي[2] الكندي وعمرو بن الحق

= أمرّه على غزو الروم وكان شهد معه صفين ، وكان لأهل الشام هوى فيه فخافه معاوية وكان قدّ تظاهر معاوية بأنه يريد البيعة لمن يرتضيه أهل الشام فقال : يا أهل الشام كبرت سني وقرب أجلي وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم وإنما أنا رجل منكم فاصفقوا على الرضا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فخافه معاوية وأسرَّها في نفسه فلما مرض عبد الرحمن دخل عليه ابن أثال النصراني فسقاه سماً فمات ، وكان معاوية أمره بذلك وكان ذلك سنة سبع وأربعين . ثم إن المهاجر بن خالد بن الوليد ـ وكان مع علي (عليه السلام) في حروبه ـ قتل ابن أثال النصراني وقيل أنه قتله المهاجر ابن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .

(١) شرح النهج : ٢/١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) حجر بن عدّي من كبار الصحابة وفد على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصف أنه راهب أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان من عبّاد الله وزهادهم كثير الصلاة والصيام وكان بارّاً بأمه ، وكان من خواص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) شهد معه حروبه وشهد مع الحسن حربه مع معاوية ثم لمّا تم الأمر لمعاوية سيّره وجماعة زياد بن أبيه إلى معاوية فحبس بمرج عذراء وقتل فيها بأمر من معاوية وكان الحسن البصري يقول : أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حُجراً وأصحاب حجر فيا ويلاً له من حجر ويا ويلاه من حجر وأصحاب حجر ، وقبره بمرج عذراء ظاهر مشهور .

الخزاعي[1] وسليمان بن صرد الخزاعي[2] ويكنى أبا مطرف والمسيَّب بن نجبة الفزاري وزيد بن حصن الطائي وكعب بن عبدة النهدي وزياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديَّان الحارثي ومسلمة بن عبدة القاريّ من القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة : أن سعيداً كثر على قومٍ من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم على ما لا يحلّ في دين ولا يحسن في سماع وأنا نذكِّرك الله في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك لأنك قد حملت بني أبيك على رقابهم واعلم أن لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً فمتى نصرك الظالم ونقم عليك المظلوم الناقم تباين الفريقان واختلف الكلمة ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيداً فإنك أميرنا ما أطعت الله واستقمت في الكتاب . وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنى أبا ربيعة[3] .

وفي الفتوح : فلما كتبوا الكتاب وفرغوا منه قال رجل منهم : من يبلغه عنا كتابنا ؟ فوالله إنّا ما نرى أحداً يجترىء على ذلك فقال رجل من عنزة

---

(١) عمرو بن الحمق بن كاهل أو كاهن الخزاعي الكعبي صحابي سكن الشام وانتقل إلى الكوفة ، كان من خواص علي بن أبي طالب (عليه السلام) حضر مع وفد أهل الكوفة إلى المدينة للثورة على عثمان وشهد مع علي (عليه السلام) حروبه وكان على خزاعة يوم صفين ورحل إلى مصر ثم إلى الموصل بعد أن تمَّ لمعاوية الأمر فطلبه معاوية فظفر به عامله على الموصل عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي فكتب إليه معاوية أن أطعنه تسع طعنات لطعنه عثمان تسعاً فطعنه فمات في الأولى أو الثانية وحمل رأسه فكان أول رأس يحمل في الإسلام .

(٢) سليمان بن صرد بن الجون الخزاعي ، أبو مطرّف ، صحابي جليل ، من خواص علي (عليه السلام) شهد معه الجمل وصفين وكان ساكناً الكوفة فلما بويع ليزيد بن معاوية كان سليمان فيمن كتب للحسين (عليه السلام) بالقدوم إلى الكوفة فحبسه ابن زياد فلما قتل الحسين (عليه السلام) خرج من الحبس فترأس التوابين للثأر بدم الحسين وكانت عدّتهم خمسة آلاف فالتقى بهم عبيد الله بن زياد بعين الوردة فقتل سليمان بن صرد قتله يزيد بن الحصين .

(٣) أنساب الأشراف : ٥/٤١ ـ ٤٢ .

آدم[1] ممشوق[2] : ما يبلّغ هذا الكتاب إلا رجل لا يبالي أضرب أم حبس أم قتل أم نفي أم حرم فأيكم عزم على أن يصيبه خصلة من هذه الخصال فليأخذه ، فقال القوم : ما ههنا أحد يجب أن يبتلى بخصلة من هذه الخصال ، فقال العنزي : هاتوا كتابكم فوالله إني لا عافية لي ، وإن ابتليت فما أنا يائس أن يرزقني ربي صبراً وأجراً فدفعوا إليه كتابهم .

وبلغ ذلك كعب بن عبيدة النهدي وكان من المتعبدين فقال : والله لأكتبن إلى عثمان كتاباً باسمي واسم أبي بلغ ذلك من عنده ما بلغ ثم كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيدة أما بعد ، فإني نذير لك من الفتنة متخوف عليك فراق هذه الأمة وذلك أنك قد نفيت خيارهم ووليت أشرارهم وقسمت فيئهم في عدوهم واستأثرت بفضلهم ومزقت كتابهم وحميت قطر السماء ونبت الأرض وحملت بني أبيك على رقاب الناس حتى أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم ، ولعمري لئن فعلت ذلك فإنك تعلم إذا فعلت ذلك وتكرمت فإنما تفعله من فيئنا وبلادنا ، والله حسيبك يحكم بيننا وبينك ، وإن أنت أبيت وعنيت قتلنا وأذانا ولم تفعل فإننا نستعين الله ونستجيره من ظلمك لنا بكرة وعشيا ، والسلام .

ثم جاء كعب بن عبيدة بكتابه هذا إلى العنزي وقد ركب بريد المدينة فقال : أحب أن تدفع كتابي هذا إلى عثمان فإن فيه نصيحة له ، وحثاً على الإحسان إلى الرعية والكف عن ظلمها ، فقال : أفعل ، ثم أخذ الكتاب منه ومضىٰ إلى المدينة ورجع كعب بن عبيدة حتى دخل المسجد الأعظم فجعل يحدث أصحابه بما كتب إلى عثمان ، فقالوا : والله يا هذا لقد اجترأت وعرضت نفسك لسطوة هذا الرجل ، فقال : لا عليكم فإني أرجو العافية والأجر العظيم ، ولكن ألا أخبركم بمن هو أجرأ مني ؟ قالوا : بلىٰ ومن

---

(١) الآدم : الأسمر .

(٢) ممشوق : حسن القوام .

ذلك ؟ فقال : الذي ذهب بالكتاب ، فقالوا : بلىٰ صدقت أنه لكذلك وإنّا لنرجو أن يكون أعظم هذا المصر أجراً عند الله غداً[1] .

وقدم العنزي على عثمان بالمدينة فدخل وسلّم عليه ثم ناوله الكتاب الأول وعنده نفر من أهل المدينة فلمّا قرأه عثمان ارْبَدَّ لونه وتغير وجهه ، ثم قال : من كتب إليَّ هذا الكتاب ؟ فقال العَنزي : كتبه إليك ناس كثير من صلحاء الكوفة وقرائها وأهل الدين والفضل ، فقال عثمان : كذبت ، إنما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد ، فأخبرني من هم ؟ فقال العنزي : ما أنا بفاعل ، فقال عثمان : إذاً والله أوجع جنبك وأطيل حبسك فقال العنزي : والله لقد جئتك وأنا أعلم أني لا أسلم منك ، فقال عثمان : جرِّدوه ! فقال العنزي : وهذا كتاب آخر فاقرأه من قبل أن تجردني ، فقال عثمان : آتِ به ، فناوله إياه ، فلمّا قرأه قال : من كعب بن عبيدة هذا ؟ قال العنزي : إيه ، قد نسب لك نفسه ، قال عثمان : فمن أي قبيل هو ؟ قال العنزي : ما أنا مخبرك عنه إلا ما أخبرك عن نفسه ، فالتفت عثمان إلى كثير بن شهاب الحارثي فقال : يا كثير هل تعرف كعب بن عبيدة ؟ قال كثير : نعم يا أمير المؤمنين ، هو رجل من بني نهد ، فأمر عثمان بالعنزي فجردوه من ثيابه ليضرب ، فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام) : لماذا يضرب هذا الرجل ؟ إنما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رسالة حملها فلم يجب عليه في هذا ضرب ، فقال عثمان : أفترىٰ أن أحبسه ؟ قال : لا ، ولا يجب عليه الحبس[2] .

أما كعب بن عبيدة النهدي فقد روى أنه : كتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ويحوِّل ديوانه إلى الري[3] ففعل ثم أن عثمان تحوَّب[4] وندم فكتب في إشخاصه إليه ففعل ، فلما ورد عليه قال له :

---

(١) الفتوح : ١/٣٩٠ .

(٢) الفتوح : ١/٣٩١ ، أنساب الأشراف : ٥/٤٢ .

(٣) الري : وهي كورة قرب دباوند وطبرستان وقومس وجرجان من بلاد فارس .

(٤) الحُوب الأثم وتحوَّب أي شعر بالإثم :

إنه كانت مني طيرة ، ثم نزع ثيابه وألقىٰ إليه سوطاً وقال : اقتص فقـال : قد عفوت يا أمير المؤمنين .

ويقال : إن عثمان لما قرأ كتاب كعب كتب إلى سعيد في إشخاصه إليه فأشخصه إليه مع رجل إعرابي من بني أسد فلما رأى الإعـرابي صلاتـه وعرف نسكه وفضله قال :

ليت حـظي مـن مسيـري بكـعب عـفـوه عـنـي وغـفـران ذنـبـي

وفي الفتـوح : وكتب عثمـان إلى سعيـد بن العـاص أن تسـرح إليَّ كعب بن عبيدة مع سائق عنيف حتىٰ يقدم عليَّ بـه والسلام ، فلمـا ورد كتاب عثمـان على سعيد بن العـاص ونظر فيـه أرسل إلى كعب بن عبيـدة فشـدَّه في وثـاق ووجه بـه إلى عثمان مـع رجل فظ غليظ ، فلمـا صار في بعض الـطريق جعل الرجل ينظر إلى صـلاة كعب بن عبيدة وتسبيحـه واجتهاده فقـال : إنا لله وإنا إليه راجعون بعثت مع رجل مثل هذا أهديه إلى القتل والعقوبة الشديدة أو الحبس الطويل[1] .

فلما دخل على عثمـان قال عثمـان : لأن تسمع بـالمعيدي خيـر من أن تراه ـ وكان شاباً حديث السِّن نحيفاً ـ ثم أقبلَ عليه فقال : أأنت تعلمني الحق وقـد قرأت كتـاب الله وأنت في صلب رجل مشـرك فقال لـه كعب : إن إمـارة المؤمنين إنما كانت لك بما أوجبته الشورى حين عـاهدت الله على نفسـك في أن تسير بسيرة نبيه لا تقصّر عنهـا وإن يشاورونـا فيك ثـانية نقلنـاها عنـك ، يا عثمان إن كتاب الله لمن بلغه وقرأه وقـد شركنـاك في قراءتـه ، ومتى لم يعمل القـارىء بما فيـه كان حجـة عليه ، فقـال عثمان : والله مـا أظنك تـدري أين ربك ، فقال : هو بالمرصاد ، فقال مروان : حلمك أغرىٰ مثل هذا بك وجرأه عليك ، فأمر عثمان بكعب فجرّد وضرب عشـرين سوطـاً وسيَّره إلى دُبـاوند[2]

(١) الفتوح . ٣٩٢/١ .

(٢) من بلاد فارس

ويُقال إلى جبل الدخان ، فلما ورد على سعيد حمله مع بكير بن حمران الأحمري فقال الدهقان[1] الذي ورد عليه : لِمَ فُعِلَ بهذا الرجل ما أرى ، قال بكير : لأنه شرير ، فقال : إن قوماً هذا شرارهم لخيار .

ثم أن طلحة والزبير وبّخا عثمان في أمر كعب وغيره وقال طلحة : عند غِبّ الصدر يحمد عاقبة الوِرْد ، فكتب في ردّ كعب وحمله إليه فلما قدم عليه نزع ثوبه وقال : يا كعب إقتص فعفا[2] .

حصر عثمان وعهده لأهل مصر

لمّا كانت سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي الأشتر من الكوفة في مائتي رجل ، وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة ، وكان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة[3] لا يفتران من التحريض على عثمان فخرج عبد الرحمن بن عديس البلوي[4] وسودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق الخزاعي وعروة بن الليثي في خمس

(١) الدهقان : معربة من الفارسية وتعني رئيس .

(٢) أنساب البلاذري : ٤٣/٥ ، الفتوح : ٣٩٢/١ .

(٣) محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان من شيعة علي (عليه السلام) ممن أشتهر بالورع والعبادة وقول الحق وكان أحد أبرز من حرّض على عثمان ثم قتل وقد اختلف في كيفية قتله فقيل إن معاوية وعمرو بن العاص سارا إلى مصر قبل قدوم قيس بن سعد إليها وكان عليها محمد بن أبي حذيفة فلم يقدرا عليهما فخادعاه حتىٰ خرج منها إلى العريش فتحصن بها محمد فنصب عمرو المنجنيق عليه حتىٰ نزل من حصنه في ثلاثين من أصحابه فأخذوا وقتلوا . وقيل إن عمرو أصاب محمداً فبعثه إلى معاوية بفلسطين وقيل إنه هرب من سجن مصر فقتله مولى معاوية وقيل إنه بقي في حبس معاوية فمات فيه .

(٤) عبد الرحمن بن عديس صحابي شجاع ممن بايع تحت الشجرة وشهد فتح مصر ثم كان قائد الجيش الذي بعثه محمد بن أبي حذيفة إلى المدينة لقتل عثمان فلما قتل عاد إلى مصر فطلبه معاوية وقبض عليه وسجنه في اللّد بفلسطين ففرّ فأدركه صاحب فلسطين فقتله .

مائة.[1] وقيل في ستمائة[2] رجل وأظهروا أنهم يريـدون العمرة وكـان خروجهم في شهـر رجب فـوجـه عبـد الله بن سعـد بن أبي سـرح إلى عثمــان يخبـرهم رسولاً ، فساروا حتىٰ نزلوا بذي خشب[3] فقال عثمان أن هؤلاء يظهـرون أنهم يريدون العمرة ووالله ما يريدون إلاَّ الفتنة ، لقد طال على النـاس عمري ولئن فارقتُهم ليتمنون يوماً من أيامي فأتىٰ عثمان علياً في منزله فقال له : يـا ابن عمّ إن قرابتي قريبة وحقي عظيم والقوم فيما بلغني على أن يصبّحـوني ليقتلوني ، وأنا أعلم أن لك عند الناس قـدر وأنهم يسمعون منـك فأحب أن تـركب إليهم فتــردهم على أن أصيـر إلى مــا تشيـر بــه وتــراه ولا أخــرج عن أمــرك ولا أخالفك[4] .

فخـرج علي (عليـه السـلام) وردّهم عن عثمـان ، ثم أنهم رجعـوا إليـه وادّعوا أموراً فكان كلّما خرج لهم أحدٌ شتمـوه فقال ابن عمـر وغيره لعثمـان : ليس لهم إلا علي بن أبي طالب فلما أتاه قال : يا أبا الحسن إئت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، قال : نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك ، قال : لا بـل أمامي ، تعطون كتاب الله وتعتبون من كل مـا سخطتم ، فعـرض عليهم ما بـذل عثمان فقالوا : أتضمن ذلك عنه، قال: نعم قالوا: رضينا، وأقبل وجوههم وأشـرافهم مع علي حتىٰ دخلوا على عثمان وعاتبوه من كـل شيء ، فقالـوا : اكتب بهذا كتاباً فكتب : بسم الله الـرحمن الرحيم : هـذا كتاب من عبـد الله عثمان أميـر المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين إنّ لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه يُعطى المحروم ويؤمن الخائف ويُرَدُّ المنفي ولا تُجَمَّـر البعوث ، ويـوفـر الفيء ، وعلي بن أبي طــالب ضمين للؤمنين والمسلمين على عثمـان بالوفاء بما في هذا الكتاب .

---

(١) مروج الذهب : ٤٠٩/٢ .

(٢) أنساب البلاذري : ق ٦١/٥ .

(٣) موضع قرب المدينة .

(٤) أنساب البلاذري : ق ٦١/٥

شهد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وزيد بن ثابت وسهل بن حُنيف وأبو أيوب خالد بن زيد ، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ، فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا[1] .

وقال علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعثمان أخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك ، وأشهد الله على ما في قلبك فإنَّ البلاد قد تمخضت عليك ولا تأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا علي إركب إليهم ، فإن لم أفعل قلت قطع رحمي واستخف بحقي فخرج عثمان فخطب الناس فأقرَّ بما فعل واستغفر إليه منه وقال : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : من زلَّ فلينب فأنا أول من إتَّعظ فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردوني برأيهم فوالله لو ردني إلى الحق عبد لأتبعه وما عن الله مذهب إلَّا إليه . فسُرَّ الناس بخطبته واجتمعوا على بابه مبتهجين بما كان منه ، فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شاهت وجوهكم ما اجتماعكم ، أمير المؤمنين مشغول عنكم فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا[2] .

وفي البداية والنهاية : لمّا كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس بالمقالة على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلّم الناس علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان فدخل عليه فقال له : إن الناس ورائي وقد كلموني فيك ووالله ما أدري ما أقول لك ولا أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك تعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولاخلونا بشيء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمور خفي عنك إدراكها ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ، وانك أقرب إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رحماً ، وقد

---

(١) أنساب البلاذري : ٥/٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) أنساب البلاذري : ٥/٦٤ .

نلت من صهر رسول الله ما لم ينالا ، ولاسبقاك إلى شيء ، فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمى ، ولا تعلم من جهل ، وإن الطريق لواضح بيّن ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان إن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى فأقام سُنَّة معلومة وأمات بدعة معلومة فوالله إنّ كلاً لبيِّن وإن السنن لقائمة لها أعلام وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شرَّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وأضل به فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحا ثم يرتطم في غمرة جهنم وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته فإن عذابه أليم شديد واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يُقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيه مرجاً ، فقال عثمان : قد والله لتقولن الذي قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكراً ، إني وصلت رحماً وسددت خلّة وآويت ضائعاً ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي ، أنشدك الله يا علي هل تعلم إن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم ، قال : فتعلم أن عمر ولّاه ؟ قال : نعم ، قال : فلم تلوموني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ فقال علي : سأخبرك أن عمر كان كلّما ولي أميراً فإنما يطأ على صماخيه وأنه إن بلغه حرف جاء به ثم بلغ به أقصى الغاية في العقوبة وأنت لا تفعل ، ضعفت ورفقت على أقربائك فقال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، قال علي : لعمري إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم ، قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها فقد وليته فقال علي : أنشدك الله هل تعلم إن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه ؟ قال : نعم ، قال علي : فإنّ معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان فيبلغك فلا تنكر ولا تغير على معاوية .

ثم خرج علي (عليه السلام) من عنده وخرج عثمان على أثره فصعد

المنبر فوعظ وحذر وأنذر وتهدّد وتوعد وأبرق وأرعد فكان فيما قال : ألا فقد والله عبتم عليّ بما أقررتم به لابن الخطاب ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ولنتُ لكم وأوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عليّ ، أما والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأقمن[1] ، إن قلت: هلم إلي إلي ولقد أعددت لكم أقرانكم وأفضلت عليكم فضولاً وكشرت لكم عن نابي فأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به فكفوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي . ثم اعتذر عمّا كان يعطي أقرباءه بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكمنا بيننا وبينكم السيف نحن وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم مغارسكم تبنون في دمن[2] الثرى

فقال عثمان : اسكت لا سكتّ دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا ، ألَمْ أتقدم إليك أن لا تنطق ، فسكت مروان ونزل عثمان[3] .

فلما شعر المسلمون بتغير حال عثمان سار إليه بعض المسلمين فلما رجع عثمان إلى منزله وجد جماعة من أكابر الناس وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكلم يا أمير المؤمنين أم أصمت؟ فقالت امرأة عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ من وراء ـ : بل اصمت فوالله إنهم لقاتلوه ولقد قال مقالة لا ينبغي النزوع عنها فقال لها : وما أنت وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ فقالت له : دع ذكر الآباء ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت فقال له عثمان : بل

(١) القمين : الخليق والجذير .
(٢) الدِّمن : السِّرْقينُ المتلبد والبَعْر .
(٣) البداية والنهاية : ٧/١٦٨ ـ ١٦٩ .

تكلّم فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين جاوز الحزام الطبيين وبلغ السيل الزبا وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لإقامة على خطيئة يستغفر منها خير من توبة خوف عليها وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : قم فاخرج إليهم فكلمهم فإني أستحي أن أكلمهم ، فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال : وما شأنكم كأنكم قد جئتم لنهب ! شاهت الوجوه كل إنسان آخذ بإذن صاحبه إلاَّ من أريد ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا أخرجوا عنا أما والله لئن رمتمونا ليمُّرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غبه[1] ، ارجعوا إلى منازلكم فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا[2] .

وبلغ علياً الخبر فأتىٰ عثمان وهو مغضب فقال : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بافساد دينك وخديعتك عن عقلك وإني لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك . وقالت له امرأته نائلة بنت الفرافصة : قد سمعت قول علي بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنه غير عائد إليك وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة . فبعث إلى علي فلم يأته[3] :

فجاء عثمان إلى علي بمنزله ليلاً فاعتذر إليه ووعد من نفسه الجميل وقال : إني فاعل وإني غير فاعل فقال له علي (عليه السلام) : أبعد ما تكلمت على منبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك وخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ! فخرج عثمان من عنده وهو يقول : خذلتني يا أبا الحسن وجرأت الناس عليَّ ! فقال علي

---

(١) غبه : عاقبته .

(٢) البداية والنهاية : ١٧٢/٧ - ١٧٣ .

(٣) أنساب البلاذري : ق ٥/ ٦٥ .

(عليه السلام) : والله إني أول الناس ذباً عنك ولكني كلمّا جئت بشيء أظنه لك رضا جاء مروان بعده بغيره فسمعت قوله وتركت قولي[1] .

وفي شرح النهج : إن عثمان دعا علياً (عليه السلام) وقال له : قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم عني فإني أعطيهم ما يردون من الحق من نفسي ومن غيري فقال علي : إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به فلا تغرِّر فيَّ هذه المرة فإني معطيهم عنك الحق فقال : أعطهم فوالله لأفينَّ لهم .

فخرج علي (عليه السلام) إلى الناس فقال : إنكم إنما تطلبون الحق وقد أعطيتموه وأنه منصفكم من نفسه فسأله الناس أن يستوثق لهم وقالوا : إنا لا نرضىٰ بقول دون فعل ، فدخل عليه فأعلمه فقال : إضرب بيني وبين الناس أجلاً فإني لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد ، فقال علي : أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وأما ما غاب فأجله وصول أمرك ، قال : نعم فأجّلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام ، فأجابه إلى ذلك وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كلِّ مَظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه وجعل يتأهب سرّاً للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جنداً فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئاً ثار به الناس وخرج قوم إلى مَنْ بذي خشب من المصريين فأعلموهم الحال ، فقدموا المدينة وتكاثرالناس عليه وطلبوا منه عزل عماله وردَّ مظالمهم فكان جوابه لهم : إني إن كنت استعمل من تريدون لا من أريد فلست أذن في شيء من الخلافة والأمر أمركم فقالوا : والله لتفعلنَّ أو لتخلعنَّ أو لنقتلنَّك ، فأبىٰ عليهم وقال : لا أنزع سربالاً سربلنيه الله فحصروه وضيَّقوا الحصار عليه[2] .

ثم أنه كتب أهل مصر ـ الذين ساروا إلى عثمان ـ بكتاب فكان فيما

---

(١) شرح النهج : ط/١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) شرح النهج : ٢/١٥١ ، ١٥٢ .

كتبوا إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فاعلم إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثم الله الله فإنك على دنيا فاستتمَّ إليها معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا واعلم أنا والله لله نغضب وفي الله نرضىٰ وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتىٰ تأتينا منك توبة مصرّحة أو ضلالة مُجَلِّحة[1] مُبلجة فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك والسلام[2] . وكتب له أهل المدينة يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتىٰ يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله[3] .

وقد أنصرف عن عثمان جلّ صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولزموا الصمت فروي أنه قيل لعبد الرحمن بن عوف : هذا عملك واختيارك لأمة محمد ، فقال : لم أظن هذا به ، ودخل على عثمان فقال له : إني إنما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر وقد خلفتهما ، فقال : عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله فقال له : لله عليَّ أن لا أكلمك أبداً . فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم عثمان[4] .

وبعث عثمان ابنَ عباس يأمر علياً (عليه السلام) بالخروج إلى ينبع فجاء ابن عباس لعلي (عليه السلام) فقال له علي : يا ابن عباس ما يريد عثمان إلَّا أن يجعلني جملاً ناضحاً[5] بالغَرْب[6] أُقبل وأدبر بعث إليَّ أن أخرج ثم بعث إليَّ أن أقدم ثم هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج والله لقد دفعت عنه حتىٰ خشيت أن أكون آثماً[7] .

(١) التجليح الأقدام الشديد والتصميم في الأمر والمضي فيه بجرأة ومبلج أي واضح ظاهر .

(٢) جمهرة رسائل العرب : ١/٣١١ ، ٣١٢ .

(٣) جمهرة رسائل العرب : ١/٣١٢ .

(٤) العقد الفريد : ٤/٣٠٥ .

(٥) نضح الجمل الماء حمله ليسقى به الزرع .

(٦) الغرب : الدلو العظيمة .

(٧) نهج البلاغة : ١/٢٩٥ .

أما عائشة فإنه لمّا إشتد الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن عتاب بن أُسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحج فقالا لها : لو أقمت فلعل الله يرفع بك عن هذا الرجل فقالت : قد قرنت ركابي وأوجبت الحج على نفسي والله لا أفعل ، فنهض مروان وصاحبه ومروان يقول :

وحرّق قيس عليَّ البلا د حتىٰ إذا اضطربت أجذما

فقالت عائشة : يا مروان وددت والله أنه في غرارة من غرائري هذه وأني طُوِّقت حمله حتىٰ ألقيه في البحر . ومرّ عبد الله بن عباس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت : يا ابن عباس إنَّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً فإياك أن تردَّ الناس عن هذا الطاغية[1] .

فلما كان الحصار على عثمان وأحاط به القوم بعث المسور بن مخرمة إلى معاوية يعلمه أنه محصور ويأمره أن يبعث إليه جيشاً سريعاً فيمنعونه فلما قدم على معاوية وأبلغه ذلك ركب معاوية نجائبه[2] ومعه معاوية بن حديج ومسلم بن عقبة فسار من دمشق إلى عثمان عشراً فدخل المدينة نصف الليل فدقَّ باب عثمان فدخل فأكبّ عليه فقبّل رأسه فقال عثمان : فأين الجيش ؟ فقال معاوية : لا والله ما جئتك إلا في ثلاثة رهط . فقال عثمان : لا وصل الله رحمك ولا أعز نصرك ولا جزاك عني خيراً ، فوالله ما أقتل إلاّ فيك ولم ينقم علي إلاّ من أجلك ! فقال معاوية : بأبي أنت وأمي إني لو بعثت إليك جيشاً فسمعوا به عاجلوك فقتلوك قبل أن يبلغ الجيش أليك ولكن معي نجائب لا تساير ولم يشعر بي أحد فاخرج معي فوالله ما هي إلا ثلاث حتىٰ نرى معالم الشام فإنها أكثر الإسلام رجالاً وأحسنه فيك رأياً . فقال عثمان : بئس ما أشرت به . وأبىٰ أن يجيبه إلى ذلك . فخرج معاوية إلى الشام راجعاً وقدم المسور يريد المدينة فلقي معاوية بذي المروة راجعاً إلى الشام فقدم المسور على عثمان وهو ذام لمعاوية غير عاذر له ، فلما كان في حصره الآخر بعث

---

(١) أنساب البلاذري : ق ٥/ ٧٥ .

(٢) النجائب : النجيب الإبل والجمع النجب والنجائب وهو القوي منها الخفيف السريع .

المسور أيضاً إلى معاوية فأغذَّ[1] السير حتىٰ قدم عليه فقال : إن عثمـان بعثني إليك لتبعث إليه بالرجال والخيول وتنصره بالحق وتمنعـه من الظلم فقـالَ : إنَّ عثمان أحسن فأحسن الله به ثم غيَّر فغرَّ الله به ! فشـدد عليه فقـال : يا مسـور تركتم عثمان حتىٰ إذا كانت نفسه في حنجرته قلتم إذهب فادفع عنـه المـوت ، وليس ذلك بيدي[2] .

وعن المسور قال : قـال لي معاويـة : يا مسـور أنت ممن قتل عثمـان ! فقال المسور أنا لله يا معاوية نصحته واعتزلته وأنت غششته وخـذلته فـإن شئت أخبرت القوم خبرك وخبري قدمت عليك الشـام فقال معـاوية : لا يـا أبا عبـد الرحمن[3] ! .

وكان إن طلب عثمان النجدة والنصر فكتب إلى معاوية فيما كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن أهل المدينة قد كفروا وخلعـوا الـطاعة ونكثـوا البيعة فـابعث إليَّ من قبلك من مقـاتلة أهـل الشـام على كـل صعب[4]، وذلول[5]» .

وكتب له : «أما بعد ، فإني في قـوم طال فيهم مقـامي واستعجلوا القدر فيَّ وقد خيَّروني أن يحملوني على شارف[6] من الإبل الـدخيل وبين أن أنـزع لهم رداء الله الـذي كساني وبين أن أقيـدهم عمن قتلت ومن كان على سلطانٍ يخـطيء ويصيب فياغـوثاه يـا غوثـاه ولا أمير عليكم دوني فـالعجل العجـل يـا معاوية وأدرك ثم أدرك وما أراك تدرك»[7] .

---

(١) الأغذاذ : الإسراع في السير وأغذ السير أسرع .
(٢) (٣) تاريخ مدينة مشق : ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .
(٤) الذلول : الناقة سهلة الانقياد والصعب ضدُّه .
(٥) جمهرة رسائل العرب . ١/٣١٤ .
(٦) الشارف من النوق المسنة الهرمة والدخيل الغريب أي الضعيفة المهزولة .
(٧) جمهرة رسائل العرب : ١/٣١٥ ، الإمامة والسياسة : ١/٣٠

وروي أنه لما حصر عثمان أبرد[1] مروان بن الحكم بخبره بريدين أحدهما إلى الشام والآخر إلى اليمن وبها يومئذٍ يعلى بن منبه ومع كل واحد منهما كتاب فيه :

«إن بني أُمية في الناس كالشَّامة[2] الحمراء وإن الناس قد قعدوا لهم برأس كل محجَّة[3] وعلى كل طريق فجعلوهم مرمىٰ العَرّ[4] والعضيهة[5] ومَقْذِف القشب[6] والأفيكة وقد علمتم أنها لم تأت عثمان إلَّا كرهاً تُجْبَذ[7] من ورائها وإني لخائف ـ إن قتل ـ أن تكون من بني أُمية بمناط[8] الثريا إن لم نصر كرصيف[9] الأساس المحكم ولئن وهى[10] عمود البيت لتتداعينَّ جدرانه والذي عيبَ عليه اطعامكما الشام واليمن ولاشك أنكما تابعاه إن لم تحذرا ، وأما أنا فمساعف كل مستشير ومعين كل مستصرخ ومجيب كل داع أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر عفلة مقتنصيه ولولا مخافة عطب البريد وضياع الكتب لشرحت لكما من الأمر ما تفزعان معه إلى أن يحدث الأمر فجدًا في طلب ما أنتما وَليّاهُ وعلى ذلك فليكن العمل إن شاء الله وكتب في آخره :

وما بلغَتْ عثمانَ حتىٰ تخطمت	رجال ودانت للصغار رجال
لقد رجعت عوداً على بدء كونها	وإن لم تجدًا فالمصير زوال
سيبديء مكنون الضمائر قولهم	ويظهر منهم بعد ذاك فعال
فإن تقعُدا لا تطلبا ما ورثتما	فليس لنا طول الحياة مقال

---

(1) ابرد : أرسل على البريد .

(2) الشامة : علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

(3) المحجة الطريق الواضح .

(4) عرّه : ساءه وعرّه بشر لطخه به .

(5) العضيهة : البهيّة وهي الإفك والبهتان .

(6) القشب : الإصابة بالمكروه المستقذر .

(7) تجبذ : تجذب .

(8) ناط الشيء : علقه وهي منى مناط الثريا أي بعيد .

(9) الرصيف : أي كالأساس المرصوف بعضه إلى بعض .

(10) وهى : ضعف .

نعيش بدار الذل في كـل بلدة وتـظهـر منـا كـآبـة وهـزال[1]

وكتب عثمان لأهل الأمصـار يستمدهم وقـد أحاط بـه القوم : «بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحق بشيراً ونـذيراً فبلّغ عن الله ما أمره بـه ثم مضىٰ وقد قضى الـذي عليه وخلّف فينـا كتابـه فيه حلاله وحرامه وبيان الأُمور التي قدَّر فأمضاها على ما أحبَّ العباد وكرهوا فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثم أدخلت في الشورىٰ عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأُمة ثم أجمع أهل الشورىٰ عن ملأ منهم ومن الناس على غير طلب مني ولا محبة فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعـاً غير مستتبع متبعاً غير مبتدع مقتديـاً غير متكلف فلمـا أنتهت الأُمور وانتكث[2] الشـر بأهله فبـدت ضغائن واهـواء على غير اجـرام ولا تِـرَةٍ[3] فيمـا مضىٰ إلا امضاء الكتاب فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجـة ولا عذر فعـابوا عليَّ أشيـاء مما كانوا يرضون واشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها فصبرت لهم نفسي وكففتهـا عنهم منذ سنين وأنـا أرى وأسمع فـازدادوا علىٰ الله عـزّ وجـلّ جرأة حتىٰ أغاروا علينا في جوار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحرمه وأرض الهجرة وثابت إليهم الأعراب فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانـا بأحد إلا ما يظهرون فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق[4] .

وأمر عثمانُ عبد الله بن عباس أن يحـجّ بالنـاس في السنة التي قتـل فيها سنة ٣٥ هـ ـ وكتب معه إلى أهل المَوْسِم بكتاب يسألهم أن يـأخذوا لـه بالحق ممن حصره وهو :

«بسم الله الـرّحمن الـرّحيم ، من عبـد الله عثمـان أمبـر المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين : سـلام عليكم ، فإني أَحَمـدُ الله إليكم الذي لا إلـه إلا

(١) جمهرة رسائل العرب : ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
(٢) انتكث : من انتكث الحبل إذا انتفض .
(٣) الترة : التأر .
(٤) جمهرة رسائل العرب : ١/ ٣١٠ ـ ٣١١ .

هـو ، أما بعـد : فإني أذكـركم بـالله جلّ وعـزّ الـذي أنعم عليكم ، وعلّمكم الإسـلام ، وهـداكم من الضـلالـة ، وأنقـذكم من الكفـر ، وأراكم البينـات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصـركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمه ، فـإن الله عـزّ وجلّ يقول وقوله الحق ﴿وإن تعدُّوا نعمـة الله لا تُحْصُوهـا إن الإنسان لظلوم كفّار﴾(١) وقال عزّ وجلّ : ﴿يا أيهـا الذين آمنـوا اتّقوا الله حقَّ تُقـاته ولا تمـوتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون ، واعتصمـوا بحبل الله جميعـاً ولا تفرّقـوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفـا حُفـرةٍ من النـار فـأنقـذكم منهـا كـذلـك يُبيِّنُ الله لكم آيـاتـه لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالّـذين تفرّقـوا واختلفوا من بعـد ما جاءهُمُ البيِّناتُ وأُولئك لهم عذاب عظيم﴾(٢) . وقال وقـوله الحق : ﴿يـا أيها الـذين آمنوا اذكـروا نعمة الله عليكم وميثـاقه الـذي واثقكم به إذ قلتم سمعنـا وأطعنا﴾(٣) . وقال وقوله الحق : ﴿يـا أيها الـذين آمنوا إن جـاءكم فاسق بنبـإٍ فتبيَّنُوا أن تُصيبوا قـوماً بجهـالةٍ فتصبحـوا على ما فعلتم نـادمين ، وأعلموا أن فيكم رسـول الله لـو يُـطيعُكم في كثيـر من الأمـر لَعَنِتُّمْ ولكن الله حبَّبَ إليكم الإيمـان وزيَّنة في قلوبكم وكـرَّه إليكم الكفر والفسـوق والعصيان أُولئـك هم الـراشدون ، فضـلاً من الله ونعمةً والله عليمٌ حكيمٌ﴾(٤) . وقـال عـز وجـل : ﴿إن الـذين يشترون بعهـد الله وأيمانهم ثمنـاً قليـلاً أُولئـك لا خـلاق لهم في الآخـرة ولا يُكلِّمُهُمُ الله ولا ينظرُ إليهم يـوم القيامـة ولا يـزكّيهم ولهم عـذابٌ أليم﴾(٥) وقال وقوله الحق : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فـأُولئك هم المفلحـون﴾(٦) . وقال وقـوله

---

(١) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٣٤ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآيات : ١٠٢ ـ ١٠٥ .

(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٧ .

(٤) سورة الحجرات ؛ الآيتان : ٦ ـ ٧ .

(٥) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧٧ .

(٦) سورة التغابن ؛ الآية : ١٦ .

الحق : ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالذي نقضت غزلها من بعد قوَّة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أُمة هي أربىٰ من أُمة إنما يبلُوكم الله به وليُبيِّننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أُمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولَتُسألُنَّ عمَّا كنتم تعملون ، ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتَزِلَّ قَدمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ، ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ، ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ولنجزَينَّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1] . وقال وقوله الحق : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسنُ تأويلاً﴾[2] وقال وقوله الحق : ﴿وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهمُ في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيُمكِّنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم ولَيُبدِّلَنَّهُمْ من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[3] وقال وقوله الحق : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفىٰ بما عاهد عليه الله فسيُؤتيه أجراً عظيماً﴾[4] .

«أما بعد : فإن الله جلَّ وعزَّ رضىٰ لكم السمع والطاعة والجماعة وحذَّركم المعصية والفُرقة والاختلاف ، ونبَّأكم ما قد فعله بالذين من قبلكم وتقدَّم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله جلّ وعزَّ واحذروا عذابه فإنكم لن تجدوا أُمة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأسٌ يَجْمَعها ويستحلّ بعضكم حرم بعض، ومتىٰ يُفعل ذلك لا يقُمْ

(١) سورة النحل ؛ الايات : ٩٢ ـ ٩٧ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٣) سورة النور ؛ الآية : ٥٥ .

(٤) سورة الفتح ؛ الآية : ١٠ .

لله سبحانه دين وتكونوا شيعاً وقد قال الله جل وعزّ لرسوله (صلّى الله عليه واله وسلّم) : ﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم يُنبِّئُهُمْ بما كانوا يفعلون﴾[1] . وإني أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذِّركم عذابه فإن شعيباً (صلّى الله عليه وسلّم) قال لقومه : ﴿ويا قوم لا يجرَمنَّكُمْ شِقاقي أن يَصيبَكُمْ مثلُ ما أصابَ قوم نوحٍ أو قوم هود أو قوم صالح وما قومَ لوطٍ منكم ببعيد ، واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن رَبي رحيم ودُودٌ﴾[2] . أما بعد : فإن أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عزّ وجلّ والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعةً فيها ، فلما عُرض عليهم الحق إذا الناسُ في ذلك شتىٰ[3] ، منهم آخذُ للحق ونازعٌ[4] عنه حين يُعْطاه ، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر يريد أن يتبزّهُ[5] بغير الحق ، طال عليهم عُمْري وراثَ عليهم أمَلُهم الإمْرَةَ ، فاستعجلوا القدر وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا باللذي أعطيتُهُم ولا أعلم أني تركتُ من الذي عاهدتهم عليه شيئاً ، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود ، فقلت : أقيموها على ما علمتم تعدَّاها في أحد ، أقيموها عهلى من ظلمكم من قريب أو بعيد قالوا : كتابُ الله يُتْلَى ، فقلت : فَلْيَتْلُه من تلاه غير غالٍ منه بغير ما أنزل الله في الكتاب ، وقالوا : المحروم يرزق ، والمال يُوَفّىٰ لِيُسْتَنَّ فيه السُّنَةُ الحسنةُ ولا يعتدىٰ في الخُمْس ولا في الصدقة ، ويؤمَّر ذو القوة والأمانة ، وتُرَدُّ مظالمُ الناس إلى أهلها فرضيتُ بذلك واصطبرتُ له وجئتُ نسوة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتىٰ كلمتهنَّ فقلت : ما تأمُرْنني ؟ فقلن : تؤمِّر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس وتدعُ معاوية فإنما أمَّره أمِر قبلك فإنه مصلح لأرضه ، راضٍ به جنده ، واردُد عَمْرا فإن جندد

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٥٩ .

(٢) سورة هود ؛ الآية ٩٠ .

(٣) جمع شتيت : أي متفرقون .

(٤) نازع : نزع أي كفَّ .

(٥) يبتز : يستلب .

راضون به وأمّره فلْيُصلح أرضه فكـلٌ ذلكِ فعلتُ وإنـه أعتدى عليَّ بعـد ذلك وعُدي على الحق ، كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا الأمر استعجلوا القدر ومنعوا منّى الصلاة وحالوا بيني وبين المسجد وابتزُّوا ما قَدَروا عليه بالمدينة ، كتبت إليكم كتابي هذا وهم يخيرونني إحدىٰ ثلاث : إمّا يُقيدونني بكل رجـل أصبْته خطأ أو صواباً غير متروك منه شيء، وإما اعتزل الأمر فيؤمِّرون آخر غيري وإمـا يُرْسِلون إلى من أطـاعهم من الأجناد وأهـل المدينـة فيتبـرَّءُون من الـذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والـطاعة ، فقلت لهم : أمـا إقادتي من نفسي فقـد كان مِنْ قبلي خلفـاء تُخطىء وتُصيب فلم يُستقـد[1] من أحدٍ منهم وقد علمت أنما يريدون نفسي ، وأما أن أتبرأ من الإمارة فأن يكْلُبوني[2] أحبُّ إليَّ من أبتـرَّأ من عمل الله عـزّ وجلّ وخـلافتـه ، وأمـا قـولهم : يـرسلون إلى الأجنـاد وأهل المـدينة فيتبـرَّءون من طـاعتي فلست عليهم بـوكيـل ، ولم أكن استكرهتهم من قبلُ على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون مرضاة الله عزّ وجلّ واصلاح ذات البَين ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائلٍ منها إلا ما كتب الله عزّ وجلّ له ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصـلاح الأمـة وابتغاء مـرضاة الله عـزّ وجلّ والسُّنَّـةَ الحسنة التي استَنَّ بهـا رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والخليفتان من بعده رضىٰ الله عنهما فإنمـا يجزي بذلكم الله ، وليس بيدي جزاؤكم ولو أعطيتكم الـدنيا كلّهـا لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ، ولم يُغنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده ، فمن يرض بالنكث منكم فإني لا أرضاه له ، ولا يرضىٰ الله سبحانه أن تنكثوا عهده ، وأما الذي يخيِّرونني فإنما كله النَّـزعُ والتأميـر ، فَمَلَكْتُ نفسي ومن معي ، ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه وكرهت سُنَّة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء .

فـإني انشدكم بـالله والإسلام أن لا تـأخدوا إلا الحقَّ وتُعـطوه مني وترك

(١) القود : أي قتل القاتل بالقتيل .

(٢) الكلّاب الحديدة التي يضرب بها الرائض الدابة لترويضها .

البغي على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عزّ وجلّ ، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والموازرة في أمر الله ، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق : ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾(١) فإن هذه معذرةٌ إلى الله ولعلكم تذَّكَّرون .

أما بعد : فإني لا أبرِّي نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ، وإن عاقبتُ أقواماً فما أبتغي بذلك ألا الخير ، وإني أتوب إلى الله عزّ وجلّ من كل عمل عملته وأستغفره ، إنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، إن رحمة ربي وسعت كل شيء ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالُّون ، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون .

وأنا أسأل الله عزّ وجلّ أن يغفر لي ولكم وأن يؤلِّف قلوب هذه الأُمة على الخير ويكرِّه إليها الفسق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون»(٢) فقرأ ابن عباس هذا الكتاب على الناس قبل التروية بمكة بيوم ثم قَفَل إلى المدينة وإذا عثمان قد قتل .

وروى أنه بعث كتاباً آخر مع نافع بن طريف فوافىٰ به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب فقام نافع ففتح الكتاب فقرأ فإذا فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم · من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين

أما بعد : فإ كتبت إليكم كتابي هذا ، وأنا محصور ، أشرب من بئر القصر ، ولا آكل من الطعام ما يكفيني خيفة أن تنفدَ ذخيرتي فأموت جوعاً أنا ومن معي ، لا أُدعىٰ إلى توبة أقبلها ، ولا تُسمع مني حجة أقولها ، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليَّ فأخذ الحق في ومنعني من الظلم

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية ٣٤ .

(٢) جمهرة رسائل العرب · ٣١٥/١ ، ٣٢٢ ، تأريخ مدينة دمشق ، عثمان بن عفان : ٣١٣ - ٣١٥ .

والباطل»[1] .

مقتل عثمان بن عفان

ففي العقد الفريد : «وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب إليه عثمان يتهدده فابىٰ ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه وضرب رجلاً من أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سعمائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة : قد تقدم إليك أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت أن تعزله فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال : إنما سألوك رجلاً مكان رجل ، وقد إدّعوا قبله دماً فأعزله عنهم واقض بينهم ، وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه فقال لهم : اختاروا رجلاً أولّيه عليكم مكانه فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وإخرج معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح ، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطاً فكأنه رجل يُطلب أو طالب فقال له أصحاب محمد : ما قصتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب ، فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجّهني إلى عامل مصر ، فقالوا : هذا عامل مصر معنا ، قال : ليس هذا أريد . وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه فأتي به فقال له : غلام من أنت ؟ فأقبل مرة يقول : غلام أمير المؤمنين ومرة غلام مروان حتىٰ عرفه رجل منهم أنه لعثمان فقال له محمد : إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر قالٰ : بماذا ؟ قال : برسالة ! قال : معك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يوجد معه شيء إلا إدواة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح .

---

(١) جمهرة رسائل العرب : ١/٣٢٢ .

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقرَّ على عملك حتىٰ يأتيك رأيي وأحبس من جاء يتظلم منك ليأتيك في ذلك رأيي إن شاء . فلما قرؤا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع إلى المدينة ، وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين ارسلوا معه ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم واخبروهم بقصة الغلام وأقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة إلا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضباً لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر غضباً وحنقاً وقام أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلحقوا منازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم بما قرؤا في الكتاب .

وحاصر الناس عثمان واجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم واعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك وكانت عائشة تقرّضه[1] كثيراً . فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفرٍ من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلهم بدري ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير وقال له علي : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم ، والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، والخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله : ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجّهت الغلام إلى مصر قط ، وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبىٰ ـ وكان مروان عنده في الدار ـ فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكوا في أمر عثمان وعلموا أنه لا يحلف باطلاً إلا أن قوماً قالوا : لا نبرىء عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان حتىٰ نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب وكيف يأمر بقتل رجال محمد وأصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بغير حق ! فإن يك عثمان كتبه عزلناه وإن يك مروان كتبه

---

(١) أي تذمه .

على لسانه نظرنا في أمره ، ولزموا بيوتهم .

وفي الوزراء والكتاب للجهشياري : فقال القوم لعثمان : إن كنت كاذباً فلا إمامة لك ، وإن كنت صادقاً فليس يجوز أن يكون إماماً من كان بهذه المنزلة من الغفلة حتىٰ يقدم عليه كاتبه بهذا الأمر العظيم[1] .

وأبىٰ عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل ، وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف عليهم فقال : أفيكم علي ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فسكت ثم قال : ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك علياً فبعث إليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أُمية حتىٰ وصل إليه الماء فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله فقال : إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا ، وقال للحسن والحسين : أذهبا بسيفكما حتىٰ تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه بمكروه وبعث الزبير ولده وبعث طلحة ولده على كره منه وبعث عدة من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ابناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان وسألوه اخراج مروان ورمىٰ الناس عثمان بالسهام حتىٰ خضب الحسن والحسين بن علي بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم في الدار وخضب محمد بن طلحة وشُجّ قنبر مولى عليّ وخشي محمد بن أبي بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثرونها فأخذ بيدي رجلين فقال لهما : إذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مرّوا بنا حتىٰ نتسوَّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسوَّر محمد بن أبي بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار ويُقال من دار محمد بن حزم الأنصاري ومما يدل على ذلك قول الأحوص :

لا ترثين لحزميٍّ ظفرت به ... طُرّاً ولو طرح الحزمي في النار
الناخسين بمروان بذي حشب ... والمدخلين على عثمان في الدار

---

(١) الوزراء والكتاب /٢٢

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف في حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لأنهم كانوا على البيوت فتقدم إليه محمد وأخذ بلحيته فقال له عثمان : أرسل لحيتي يا ابن أخي فلو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده من لحيته وغمز الرجلين فوجآه[1] بمشاقص[2] معهما حتىٰ قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته فقالت : إن أمير المؤمنين قد قتل[3] .

وفي طبقات ابن سعد : إن محمد بن أبي بكر تسوَّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر ابن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة فتقدمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال : قد أخزاك الله يانعثل فقال عثمان لست بنعثل ولكن عبد الله وأمير المؤمنين فقال محمد : ما أغنىٰ عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان: يا ابن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمد : ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك فقال عثمان : استنصر الله عليك واستعين به ، ثم طعن جبنيه بمشقص في يده ورفع كنانة بن بشر بن عتاب مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فمضت حتىٰ دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتىٰ قتله ، وضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخرَّ لحينه وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجنبه فقتله وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات[4] .

وفي أنساب البلاذري : ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان حتىٰ جلس بين يديه وأخذ بلحيته فقال : يا نعثل ـ ونعثل دهقان إصفهان كان جميلاً

---

(١) وجأه : ضربه .

(٢) الشقص : نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض .

(٣) العقد الفريد : ٢٨٨/٤ ـ ٢٩١ .

(٤) طبقات بن سعد : ق ٥١/١ .

جيد اللحية فشبهوا عثمان به ـ كيف ترى صنع الله بك ، قال : خيراً ، إتق الله يا ابن أخي ودع لحيتي فإن أباك لو كان حياً لم يقعد مني هذا المقعد ولم يأخذ بلحيتي ، فقال محمد: إن أبي لو كان حياً ثم رآك تعمل هذا العمل لأنكره عليك ، وتناول عثمان المصحف فوضعه في حجره ، وقال : عباد الله لكم ما فيه والعتبى مما تكرهون اللهم اشهد ، فقال محمد ابن أبي بكر : الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، ثم رفع جماعة قداح كانت في يده فوجأ بها في خشَشائه[1] حتىٰ وقعت في أوداجه فحزَّت ولم تقطع فقال : عباد الله لا تقتلوني فتندموا وتختلفوا ، فرقع كنانة بن بشر بن عتاب التُّجيبي عموداً من حديد كان معه فضرب به جبهته فوقع ، وضربه سودان ابن حمران ويُقال سيدان المرادي بالسيف ضربة فكانت أول قطرة قطرت من دمه في المصحف على «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» وقعد عمرو بن الحمق الخزاعي على صدره فوجأ تسع وجآت بمشاقص كانت معه وكان عمرو يقول طعنته تسع طعنات علمت أنه مات في ثلاث منهن ولكني وجأته الست الأُخر لما كان في نفسي عليه من الحنق والغيظ[2] . ويُقال : إن أول من دمّىٰ عثمان نيار بن عياض الأسلمي وجأه بمشقص في وجهه فدمّاه[3].

وعن خنساء مولاة أسامة بن[4] زيد ، وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان: «إنها كانت في الدار يومئذٍ فدخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه ليجأ بها في حلقه فقال · مهلاً يا ابن

---

(١) الخُشَشاء : بضم الخاء العظم الناتيء خلف الأُذن

(٢) أنساب الأشراف : ق ٥/ ٨٢ .

(٣) أنساب الأشراف : ق ٥/ ٨٥

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف ، صحابي ، ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأن أباه من أول الناس إسلاماً، هاجر مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى المدينه وأمَّره النبي قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، فلما توفي رسول الله رحل أُسامة إلى وادي القرى تم انتقل إلى دمشق أيام معاوية وعاد إلى المدينة فتوفي فيها في آخر خلافة معاوية .

أخي فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به فتركه وانصرف مستحيياً نادماً فاستقبله القوم على باب الصفة فردّهم طويلاً حتىٰ غلبوه فدخلوا وخرج محمد راجعاً فاتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتىٰ قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجّه فقطر دمه على المصحف حتىٰ لطخه ثم تغاووا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف فسقط ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه وقالت يا بنت[1] شيبة أيقتل أمير المؤمنين ؟ فأخذت السيف فقطع الرجل يدها وانتهبوا متاع البيت ، ومرّ رجل على عثمان ورأسه على المصحف فضرب رأسه برجله ونحّاه عن المصحف وقال : ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم ، فلا والله ما تركوا في داره شيئاً حتىٰ الأقداح إلا ذهبوا به[2] .

وعن ريطة مولاة اسامة بن زيد قالت : بعثني أُسامة إلى عثمان بن عفان وهو محصور فقال انطلقي فإن النساء ألطف بهذا الأمر من الرجال فأتيه فقولي له : إنَّ ابن أخيك أُسامة يقرئك السلام ويقول : إن عندي بني عم لي أدنى وعندي ركائب فإن شئت نقبت عليك ناحية الدار فخرجت حتىٰ تأتي مكة قوماً تأمن فيهم وأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد فعل ذلك إذ خاف قومه . قالت : فأتيته فأخبرته بذلك فقال : اقرئيه السلام ورحمة الله وقولي له : جزاك الله من ابن أخٍ خيراً ما كنت أدع مهاجر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقبره ومسجده مخافة الموت فأتيته فأخبرته فمكث أياماً فقال : ويحك فارجعي فإني لا أراه إلا مقتولاً ، فوافق دخولي عليه دخول القوم فجاء محمد بن أبي بكر الصديق وعليه ثوب من قطن فأخذ بلحية عثمان فهزّها حتىٰ سُمِعَ صريرُ[3] أضراسه بعضها على بعض فقال : يا ابن أخي دع لحيتي فإنك لتجذب ما يعز على أبيك أن يؤذيها فرأيته كأنه إستحيا فقام فجعل بطرف ثوبه

---

(١) رملة بنت شيبة بن عتبة زوج عثمان كانت من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها عثمان .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ترجمة عثمان / ٤١١ .

(٣) صرير أسنانه : أي الصوت الصادر من احتكاك بعضها بالبعض الأخر .

هكذا ، ألا ارجعوا ، ألا ارجعوا ، قالت : وجاء رجل من خلف عثمان بسعفة رطبة فضرب بها جبهته فرأيت الدم وهو يسيل وهو يمسحه بإصبعه ويقول : اللهم لا يطلب بدمي غيرك[1] .

وعن محمد بن[2] طلحة قال : سمعت كنانة مولى صفية بنت حُيَيّ قال : شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة ، قلت : هل أندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه ؟ فقال : معاذ الله ، دخل عليه فقال عثمان : يا ابن أخي لست بصاحبي فخرج ولم يند من دمه بشيء فقلت لكنانة : من قتله ؟ قال : رجل من أهل البصرة[3] .

وعن الشعبي قال : دخل من الذين خارج الدار من كندة تُجيّب رجل من أهل مصر والناس حول عثمان فاستلَّ الكندي سيفه ثم قال : افرجوا فأفرجوا له ، فوضع ذُباب[4] سيفه في بطن عثمان فأمسكن نائلة بنت الفرافصة السيف فحزَّ السيف أصابعها ومضىٰ السيف في بطن عثمان فقتله[5] .

وروى رجل عن سهم أبو حبيش وكان عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فسأله عن قتل عثمان ولم يكن بقي ممن شهد قتل عثمان بن عفان غيره يومئذٍ فلقيه بدير سمعان . قال : فأخبرني أنه كان مع عثمان بن عفان يوم حصر في الدار فزعم أن ركب الشقاء من أهل مصر أتوه قبل ذلك فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا ، حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق انصرفوا .

وخرج عثمان بن عفان فصلىٰ إما صلاة الغداة وإما صلاة الظهر .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ترجمة عثمان /٤١١ ـ ٤١٢ .
(٢) محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، أبو سليمان ، صحابي ، ولد في حياة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، قتل يوم الجمل .
(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٤١٢
(٤) الذُباب : بضم الذال من السيف حدُّه أو طرفه
(٥) تاريخ دمشق : ٤١٢ .

فحصبه[1] أهل المسجد وقذفوه بالحصا والنعال والخفاف ، فانصرف إلى الدار ومعه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومروان بن الحكم وأبو هريرة والمغيرة بن الأخنس في أُناس لا أحفظ من ذكر منهم إلا هؤلاء النفر ، فأشرفوا على ظهر البيوت ، فإذا هم بركب أهل الشقاء قد دخلوا المدينة وأقبل ناس حتىٰ قعدوا على باب الدار عليهم السلاح . فقال عثمان لغلام له يُقال له وثّاب : خذ مكتلاً[2] من تمر ـ فسألته : ما المكتل ؟ قال : هي التي تسمون القفة ـ فانطلق بها إلى هؤلاء القوم فإذا أكلوا من طعامنا فلا بأس بهم ، وإن أشفقت منهم فدعهم وارجع .

فانطلق بالمكتل فلما رأوه رشقوه بالنبل فانصرف الغلام وفي منكبه سهم ، فخرج عثمان ومن معه إليهم ، فأدبروا ، وأدركوا رجلاً يمشي القهقرى ـ فقلت له : ما القهقرى ؟ قال : ينكص على عقبيه كراهية أن يولي ـ فأخذناه أخذاً فأتينا به عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا والله ما نريد قتلك ولكن نريد معاتبتك ، فأعتب قومك وأرضهم ، قال : يا أبا هريرة فلعلّهم يريدون ذلك ، فخلوا سبيله ، قال : فخلينا سبيله . وخرجت عائشة أم المؤمنين ، فقالت : الله الله يا عثمان في دماء المؤمنين ، فانصرف إلى الدار . فلما أصبح صلّى بنا الغداة ، فقال : أشيروا عليَّ ، فلم يتكلم أحد من القوم غير عبد الله[3] بن الزبير بن العوّام فقال : يا أمير المؤمنين أشير عليك بثلاث خصال فاركب أيّتهُنّ أحببت : إمّا تُهِلُّ[4] بعمرة فتحرم عليهم دماؤنا ، إلى ذلك قد أتانا مددنا من الشام ـ وقد كان عثمان كتب إلى أهل

---

(1) حصبه : رماه .

(2) المكتل : الزنبيل .

(3) عبد الله بن الزبير بن العوام أبو بكر أول مولود في المدينة بعد الهجرة شهد فتح أفريقية زمن عثمان وبويع له بالخلافة بعد وفاة يزيد سنة ٦٤ هـ فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام وكان قاعدة ملكه المدينة فلما ملك عبد الملك بن مروان سيَّر له الحجاج الثقفي بعد أن عجز عنه من قبله فانتقل عبد الله إلى مكة فهدم الحجاج الكعبة وقتل عبد الله بن الزبير .

(٤) أهلَّ المعتمر أي رفع صوته بالتلبية .

الشام عامة وإلى دمشق خاصة : إني في قوم قد طال فيهم عمري واستعجلوا القدر ، وقد خيروني بين أن يحملوني على شارف[1] إلى جبل الدُّخان[2] وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني ، وبين أن أقيدهم . ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب وأن يا غوثاه ، ولأميرَ عليك دوني ـ وإما أن تهب على نجائب سراع لا يدركنا أحد حتىٰ نلحق بمأمننا من الشام ، وإما أن نخرج بأسيافنا ومن شايعنا فنقاتل ، فانّا على الحق وهم على الباطل .

قال عثمان : أما قولك أن نُهِلَّ بعمرة فتحرم عليهم دماؤنا ، فوالله لم يكونوا يرونها اليوم عليهم حراماً لا يحرّمونها إن أهللنا بعمرة. وأما قولك أن نخرج ، نهرب إلى الشام ، فوالله إني لأستحي أن آتي الشام هارباً من قومي وأهل بلدي . وأما قولك نخرجُ بأسيافنا ومن تابعنا فنقاتل فإنا على الحق وهم على الباطل ، فوالله إني لأرجو أن ألقىٰ الله ولم أهرق محجمة[3] من دم المؤمنين .

قال : فمكثنا أياماً ثم صلينا الغداة ، فلما فرغ أقبل علينا فحمِدَ الله وأثنىٰ عليه ثم قال : إن أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لي : صم يا عثمان فإنك مفطر عندنا ، فإني أُشهِدُكم أني قد أصبحت صائماً ، وأعزِمُ على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر إلاّ خرج من الدار سالماً مسلَّماً . فقلنا : يا أمير المؤمنين إنا إن خرجنا لم نأمنهم على أنفسنا ، فأذن لنا فلنكن في بيت من الدار فتكون فيه جماعة ومنعة . فأذِن لهم . فدخلوا بيتاً ، وأمر بباب الدار ففتح ، ودعا بالمصحف فأكب عليه وعنده امرأتاه : بنت الفرافصة وابنة شيبة ، فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر الصديق ، فمشىٰ إليه حتىٰ أخذ بلحيته ، فقال : دعها يابن أخي فوالله إن كان أبوك ليلهفُ لها بأدنىٰ من

---

(١) شارف : الناقة الكبيرة الفانية .

(٢) جبل الدخان : على سواحل اليمن قريب من عدن .

(٣) محجمة : قارورة الدم .

هذا ، فاستحىٰ ، فخرج وهو يقول : أشعرته[1] وأخذ عثمان ما امُتعِطَ[2] من لحيته فأعطاه احدى مَرَتَيْه ، ثم دخل رومان بن وردان عداده في مراد ، رجل قصير أزرق مجدور ، هو في آل ذي أصْبح ، معه جُرْز[3] من حديد فاستقبله فقال : على أي ملّةٍ أنت يا نعثل ؟ فقال عثمان : لست نعثل ولكني عثمان بن عفان ، وأنا على ملّة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . فقال : كذبت فضربه بالجُرُز على صدغه[4] الأيسر فقتله . وأدخلته بنت الفرافصة الكلبية بينها وبين ثيابها ـ وكانت امرأة جسيمة ضليعة ـ وألقت بنت شيبة نفسها على ما بقي من جسده ، فدخل رجل من أهل مصر معه السيف مُصْلتاً فقال : والله لأقطعن أنفه ، فعالج المرأة عنه فغالبته وكشف عنها درعها من خلفها حتىٰ نظر إلى بريق متنها فلم يصل حتىٰ أدخل السيف بين قُرطيها[5] ومنكبها ، فقبضت على السيف ، فقطع أناملها[6] وقالت : يا رباح ـ وهو غلام لعثمان أسود ـ ومعه سيف عثمان ـ أغن[7] عني هذا فمشىٰ إليه الغلام فضربه ضربة بالسيف فقتله . ثم إن الناس دخلوا فلما رأوا الرجل قد قتل وأن الأمرأتين لا تتركانه تذمَّمَ[8] ناسٌ من قريش وأستحيوا ، فأخرجوا الناس ، ونادى أهل البيت بهم فاقتتلوا على الدار فضرب مروان بن الحكم على حبل العاتق فخرَّ ، .

وضرب رجل من أهل مصر المغيرة بن الأخنس[9] بالسيف فصرع ،

---

(١) الاشعار : الإدماء بطعن أو رمي .

(٢) معط : نتف .

(٣) جُرْز : بضم الجيم وسكون الراء عمود من حديد .

(٤) الصُّدغ ما بين العين والأذن .

(٥) القُرْط : المعلق بشحمة الأذن .

(٦) الأنامل أطراف الأصابع .

(٧) أغن عني : أي أصرفه وكفه .

(٨) تذمَّم ٠ إستنكف . يُقال : لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمُّماً .

(٩) المغيرة بن الأخنس بن شريق، أبوه الأخنس أبو ثعلبة حليف بني زهرة اسمه أُبيّ وإنما لقب الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أنَّ أبا سفيان نجا بالعير

فقال رجل من أهل المدينة : تعس المغيرة بن الأخنس ، فقال قاتله : بل تَعِسَ قاتلُ المغيرة بن الأخنس وألقىٰ سلاحه وأدبر هارباً يلتمس التوبة ، فأمسينا فقلنا : إن تركتم صاحبكم حتىٰ يصبح مثّلوا به . فانطلقنا إلى بقيع الغرقد ، فأمكنا له في جوف الليل ، ثم حملناه ، فغشينا سواد من خلفنا ، فهبناهم حتىٰ كذنا نصرف عنه ، فنادى مناديهم أن لا روع عليكم ، اثبتوا ، فإنما جئنا لنشهده معكم وكان أبو حبيش يقول : هم والله ملائكة الله . قال : فدفنّاه ثم هربنا من ليلتنا إلى الشام فلقينا أهل الشام بوادي القرى[1] عليهم حبيب بن مسلمة[2] . وأخبرني أن قاتل المغيرة بن الأخنس أُدرك وهو هارب يطلب التوبة فقتل[3] .

وسئل سعيد بن المسيب[4] عن مقتل عثمان وكيف كان ولم خذله أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : قتل عثمان مظلوماً ، ومن قتله كان ظالماً ، ومن خذله كان معذوراً : إن عثمان لمّا ولي كره ولايته

= فقيل خنس الأخنس بني زهرة فسمي بذلك ، وقد أسلم الأخنس متأخراً فكان من المؤلفة قلوبهم مات في خلافة عمر وهو الذي نزلت فيه الآية : ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام**﴾

أما المغيرة ابنه فكان عثمانياً وفيه يقول علي (عليه السلام) إذ وقعت بين علي وعثمان مشاحّة فقال المغيرة لعثمان أنا أكفيكه فقال علي للمغيره «يا بن اللعين الأبتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع أنت تكفيني ؟ والله ما أعز الله من أنت ناصره ولا قام من أنت منهضه أخرج عنا أبعد الله نواك ثم أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت» .

(١) وادي القرى : هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى

(٢) حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي ويُقال له «حبيب الروم» لكثرة دخوله بلادهم ، ولد بمكة ورأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخرج في أيام أبي بكر إلى الشام فشهد اليرموك ودخل دمشق مع أبي عبيدة الجراح ، وولاه عمر الجزيرة وضمّ إليه أرمينية وأذربيجان ثم عزله ، واستعمله عثمان في قتال مَنْ انتقض في أذربيجان . وكان معاوية يستشيره في كثير من شؤونه وولاه أرمينية فتوفي فيها .

(٣) تأريخ مدينة دمشق · ترجمة عثمان بن عفان ٤٣٣ ـ ٤٣٥ .

(٤) ولد سعيد بن المسيب لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب وربّاه علي (عليه السلام) لأن

نفر من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأن عثمان كان يحب قومه فولي الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً مما يولي بني أُمية لم يكن له مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صحبه . فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وكان عثمان يستعتب فيهم ولا يعزلُهم ، فلما كان في الست حجج الأواخر استأثر بني عمّه فولاهم ، وما أشرك معهم ، وأمرهم بتقوى الله ، ولّى عبد الله بن أبي سرح مصر ، فمكث فيها سنين ، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هناتٌ إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر ، فكانت بنو هذيل، وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال عبد الله بن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر ، وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه ، فأبىٰ ابن أبي سرح يقبل ما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض مَن أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ، ممن كان أتىٰ عثمان . فقتله . فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل ، فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم ، فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بن عفان بكلام شديد وأرسلت عائشة إليه فقالت : تقدم إليك أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة . فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان متكلم القوم فقال : إنما يسألونك رجلاً مكان رجل . وقد ادّعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق فانصفهم منه . فقال لهم : اختاروا رجلاً أوليّه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي

= جدّه أوصىٰ به إليه وكان سعيد من كبار التابعين جمع بين الحديث والفقه واشتهر بالورع والعبادة وقد اختلف في مذهبه بين قائل أنه عثماني الراي وقائل بأنه علوي الهوى يكتم هواه فيه .

بكر ، فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر[١] ، فكتب عهده وولّاه ، وخرج معهم عددٌ من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه ، فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطاً ، كأنه رجل يطلبُ أو يطلَب ، فقال له أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ما قصتك وشأنك ، كأنك هارب أو طالب ؟ فقال لهم : أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر . فقال له رجل : هذا عامل مصر ! قال : ليس هذا أريد . وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه رجلاً فأخذه فجذبه إليه فقال : يا غلام من أنت ؟ فأقبل ، مرة يقول : أنا غلام أمير المؤمنين ، ومرّة يقول : أنا غلام مروان، حتىٰ عرفه رجل ، أنه لعثمان . فقال له محمد : إلى مَن أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر . فقال : بماذا ؟ قال : برسالةٍ ، قال : معك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً ، وكانت معه إدواة قد يبست فيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإدواة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح ، فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم ، فإذا فيه : إذا أتاكَ فلان ومحمد وفلان فاحتل قتلهم وأبطل كتابه وقرّ على عملك حتىٰ يأتيك رأيي وأحبس من يجيء إليَّ يتظلم منك، ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله فلما قرؤوا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة . وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة ، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد (صلّى الله عليه واله

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة ، أمه اسماء بنت عميس الخثعمية ولدته في طريق مكة إلى المدينة في حجة الوداع ونشأ محمد في حجر علي (عليه السلام) لأنه تزوج أمه فكان محمد من أشد الناس في حب علي (عليه السلام) شهد معه الجمل وصفين وولّاه علي (عليه السلام) ولاية مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين ثم جهز معاوية عمرو بن العاص في مصر فقاتلهم محمد حتىٰ قتل في صفر سنة ثمان وثلاثين فلما وصل خبر قتله إلى مسامع علي (عليه السلام) حزن عليه حزناً شديداً .

وسلّم) ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم ، وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق على عثمان ، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقاً وغيظاً . وقام أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلحقوا بمنازلهم ، ما منهم أحد إلا وهو مغتمٌ لما قرؤوا الكتاب . وحاصر الناس عثمان ، وأجلب عليه محمد بن ابي بكر ببني تيم وغيرهم فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمّار ، ونفراً من أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلهم بدريّ ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال له علي : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم . قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ، ولا علم به . قال له علي : فالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ ! فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ، ولا أمرت به ، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط ، وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان ، وشكّوا في أمر عثمان ، وسألوه أن يدفع إليهم مروان ، فأبىٰ ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكّوا في أمره ، وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل ، إلا أن قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتىٰ نبحثه ونعرف حال الكتاب ، وكيف يؤمر بقتل رجل من أصحاب محمد بغير حق ، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان . ولزموا بيوتهم ، وأبىٰ عثمان أن يخرج إليهم مروان ، وخشي عليه القتل ، وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال : افيكم علي؟ فقالوا: لا، قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا. فسكت، ثم قال. الا احد يبلغ عليا فيسقينا ماء. فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه وجرح في سببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أمية حتىٰ وصل الماء . فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله فقال : إنما أردنا منه مروان فاما قتل عثمان فلا . وقال للحسن والحسين : أذهبا بسيفيكما حتىٰ

تقوما على بـاب عثمان فـلا تدعـا أحداً يصـل إليه . وبعث الـزبير ابنـه وبعث طلحـة ابنـه ، وبعث عـدة من أصحـاب محمـد (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) ابناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألـونه إخـراج مروان ، فلمـا رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمىٰ الناس عثمان بالسهـام حتىٰ خضب الحسن بالدمـاء على بابـه ، وأصاب مـروان سهم وهو في الـدار ، وخضب محمد بن طلحـة وشُجَّ قنبـر مولى علي فخشي محمـد بن أبي بكر أن تغضب بنـو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما : إن جاءت بنو هاشم ثـم رأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمـان وبطل مـا نـريد ، ولكن مـرّوا بنا حتىٰ نتسـوّر عليه الـدار فنقتله من غير أن يعلم أحـد ، فتسور محمد وصـاحباه من دار رجـل من الأنصار حتىٰ دخلوا على عثمـان ولا يعلم أحد ممن كان معه ، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا إمـرأته ، فقـال لهما محمد: مكـانكمـا . فـإن معـه إمـرأتـه حتىٰ أبـدأكمـا بالدخول ، فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجّآه حتىٰ تقتلاه . فدخل محمـد ، فأخـذ بلحيته فقال له عثمان : والله لو رآك أبوك لساءه مكانـك مني فتراخت يـداه ، ودخـل الرجـلان عليه فتـوجآه حتىٰ قتـلاه وخرجـوا هـاربين من حيث دخلوا . وصرخت امرأتـه فلم يسمع صـراخها لمـا كان في الـدار من الجَلبَة وصعـدت امرأته إلى الناس فقالت : إن أمير المؤمنين قد قتل ! فدخـل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً ، فانكبّوا عليـه يبكون وخـرجوا ودخـل الناس فوجدوه مذبوحاً وبلغ علي بن أبي طـالب الخبر وطلحـة والزبيـر وسعداً ومن كان وسعداً ومن كان بالمدينة ، فخرجوا وقـد ذهبت عقولهم للخبـر الذي أتـاهم ، حتىٰ دخلوا على عثمان فـوجدوه مقتـولاً ، فاسـترجعـوا ، وقـال علي لابنيـه : كيف قتل أميـر المؤمنين وأنتم على الباب ؟ ورفـع يـده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمـد بن طلحة ولعن عبـد الله ابن الزبيـر وخرج علي وهو غضبان فلقيـه طلحة فقـال : مالـك يا أبـا الحسن ، ضربت الحسن والحسين ! فقال : عليك وعليهما لعنة الله[1] إلا أن يسوؤني ذلك ! يقتـل أمير

(١) يبعد أن يلعن الإمام علي (عليه السلام) ولـديه الحسن والحسين عليهمـا السلام وهمـا =

المؤمنين ، رجل من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بدريّ لم تقم عليه بينة ولا حجة ! فقال طلحة : لو دفع مروان لم يقتل . فقال علي : لو أخرج إليكم مروان قتل قبل أن تثبت عليه حكومة . وخرج علي فأتىٰ منزله ، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي ، أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وغيرهم كلهم يقول : أمير المؤمنين علي حتىٰ دخلوا عليه داره فقالوا : نبايعك فمدّ يدك ، فلا بد من أمير . فقال علي : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك إلى أهل بدر فمن به أهل بدر فهو خليفة . فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتىٰ علياً فقالوا : ما نرىٰ أحداً أحقَّ بها منك . مدّ يدك نبايعك فقال : اين طلحة والزبير ؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده ، فلما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد إليه طلحة فبايعه بيده ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جميعاً ثم نزل فدعا الناس وطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من ولد مروان وبني أبي مُعَيط ، فهربوا منه وخرجت عائشة باكية[1] تقول : قتل عثمان . وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟ ! قالت : لا أدري . دخل عليه رجلان لا أعرفهما إلا أن أرىٰ وجوههما ، وكان معهما محمد بن أبي بكر ، وأخبرت علياً والناس ما صنع محمد ، فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان ، فقال محمد : لم تكذب . قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقمت عنه ، وأنا تائب إلى الله تعالىٰ ، والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت : امرأته : صدق ولكنه أدخلهما[2] .

وقد اختلفت الروايات في قاتله فمنها ما ذكرناه ومنها أن اسمه جبلة بن الأيهم ويُقال : جبلة بن الأهتم وقيل إن الذي قتل عثمان بن عفان رجل من مراد من أهل مصر أزرق أشقر . وقيل الذي ولي قتله رومان رجل من بني

سيدا شباب أهل الجنة وسبطي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأن ذلك لا يليق بشأنهما .

(١) تواتران عائشة كانت بمكة عندما قتل عثمان .

(٢) تأريخ دمشق /عثمان بن عفان : ٤٢١ ـ ٤٢٤ .

أسد بن خزيمة وقيل أول من ضربه رومان اليماني بصولجان[1] .

وجمع علي (عليه السلام) في قوله أمر عثمان وقتله بقوله : «لو أَمَرْتُ به لكنت قاتلاً أو نهيت عنه لكنت ناصراً غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير مني ، وأنا جامع لكم أمره ، إستأثر فأساء الأثَرَةَ وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع»[2] .

وعن عبد الرحمن بن أُذينة العبدي[3] قال لمّا قتل عثمان وأقبل طلحة والزبير ومعهما عائشة ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر يريدون البصرة قلت : والله لو أني لقيتهم قبل أن يدخلوا البصرة فيغلبني الناس فسألتهم عن هذا الأمر قال : فركبت فرساً لي فانطلقت حتىٰ إذا كنت دوين سفوان[4] لقيتهم يسيرون مقبلين وخلفهم شاب يمشي خلف الركاب فسرت إلى جنبه فإذا هو محمد بن طلحة بن عبيد الله وكان يدعى راهب قريش فسألته فقلت أخبرني عن هذا الأمر فقال : أعن دم عثمان تسألني ، فقلت : نعم ، فقال : دم عثمان على ثلاثة أثلاث : ثلث على صاحب الكوفة يعني علياً (عليه السلام) وثلث على صاحب الجمل الأحمر ـ يعني أباه ـ وثلث على صاحبة الخدر ـ يعني عائشة ـ فسمعت ذلك عائشة فأقبلت عليه تشتمه وهو يقول : يغفر الله لك ، يرحمك الله ، وسمع أبوه كلامه فأقبل أليه على بعيره فقال : ويحك فهل تاب رجل بأشد من أن جاد بنفسه[5] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : انظر/٤١٨ .

(٢) نهج البلاغة / ٣٠

(٣) عبد الرحمن بن أذينة العبدي أبوه صحابي مخضرم وعبد الرحمن ابنه تابعي لم يصحب النبي وكان الحجاج استقصاه على البصرة سنة ثلاث وثمانين فلم يزل عليها إلى أن مات بعد التسعين . الإصابة : ١٤٨/٥ .

(٤) ماء بين ديار بني شيبان وديار بني مازن على أربعة أميال من البصرة .

(٥) الأمالي لليزيدي/١٠٣ ـ ١٠٤ .

دفنه

وقد اختلف الرواة في يوم قتله فقيل أنه قتل يوم الأربعاء بعد العصر ، وقيل قتل يوم الجمعة في ذي الحجة وفيه يقول الفرزدق :

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا دمه صبيحة ليلة النحر[1]

وقال حسان :

ضَحّوا بأشمطَ عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
لنسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمان[2]

وقال اخر :

تفاقد الذابحو عثمان ضاحيةً فأي ذبحٍ حرام ويحهم ذبحوا
ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ولم يخشوا على مطمح الكفر الذي طمحوا[3]

وبقي عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم أن حكيم بن حزام[4] القرشي وجبير[5] بن مطعم كلّما علياً في أن يأذن في دفنه ففعل[6] فلما سمع من

---

(١) المعارف/١٩٧ .

(٢) العقد الفريد : ٤/٢٨٤ .

(٣) المعارف/١٩٨ .

(٤) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، أمه صفية وقيل فاختة وقيل زينب بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، ويكنى أبا خالد ، ولد قبل الفيل بثلاثة عشر سنة وكان والده قد قتل في الفجار ، أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حنيناً وأعطي من غنائهما مائة بعير ، وكان شهد مع الكفار بدراً ونجا مع من نجا منهم ، مات لعشر سنوات من خلافة معاوية . الإصابة : ٢/٣٢ .

(٥) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبو عدي الصحابي كان من علماء قريش ، توفي بالمدينة وأمه أم حبيبة بنت سعيد وقيل أم جميل بنت سعيد بن عبد الله بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي ، وقدم على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في وفد اسارى بدر فسمعه يقرأ سورة الطور وأسلم جبير بين الحديبية والفتح وقيل في الفتح وقيل قبل الفتح ، مات في خلافة معاوية سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين . (الإصابة : ١/٢٣٥) .

قصـده ذلك قعـدوا له في الـطريق بالحجـارة وخـرج بـه نـاس يسيـر من أهله وغيرهم ومنهم الزبيـر والحسن وأبو الجهم بن حـذيفة [1] ومـروان بين المغرب والعشاء فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة يسمىٰ حش كوكب وهو خارج البقيع فصلىٰ عليه جببر بن المطعم وقيل حكيم بن حزام وقيل مروان [2] .

وروي : إن عثمان قتل يـوم الجمعة فتـرك في داره قتيلاً فجـاء جبير بن مـطعم وعبد الـرحمن بن أبي بكر وميسـور بن مخرمـة الـزهـري وأبو الجهم بن حذيفة ليصلّوا عليه ويُخِبّوه فجاء رجال من الأنصار فقالـوا : لا ندعكم تصلّون عليه فقال أبو الجهم : ألا تدعـونا نصلي عليـه فقد صلت عليـه الملائكـة فقال الحجاج بن غَزيَّة : إن كنت كاذبـاً فأدخلك الله مـدخله ، قال : نعم حشـرني الله معـه ، قال ابن غـزية : إن الله حـاشرك معـه ومع الشيـطان والله إن تركي إلحـاقك بـه لخطأ وعجـز ، فسكت أبو الجهم ثم إن القـوم أغفلوا أمر عثمـان وشغلوا عنه فعاد هؤلاء النفر فصلّوا عليه ودفنوه وأمَّهم جبير بن مـطعم وحملت أم البنين بنت عينية بن حصن امرأة عثمان السراج وحُمـل علىٰ باب صغيـر من جريد وقد خرجت عنـه رجلاه ، ثم أنـه لقيهم قوم من الأنصـار فقاتلوهم حتىٰ طرحوه ثم توطأ عمير [3] بن ضابىء بن الحارث بن أرطاة التميمي ثم البـرجمي

= (٦) راجع تاريخ ابن الوردي : ١/٢٣٣ .

(١) ابو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عويج بن عدي بن كعب القـرشي العـدوي مـن مسلمة الفتح وكان من معمري قريش وهو من نسابة قريش ، كان حضر بناء الكعبة مرتين حين بنتها قريش وحين بناها ابن الزبير ، مات آخـر خلافـة معاويـة . (الإصابة : ٧/٣٤) .

وفي حنين كـان النبي قد استعمـل أبا الجهم بن حـذيفة على النفـل فجاء خـالـد بن البرصاء فتناول زماماً من شعر فمنعه أبو الجهم فقـال إن نصيبي فيه أكثـر فتدافعـا فعلاه أبو الجهم فشجه منقلة فقضى فيها النبي بخمس عشرة فريضة (الإصابة : ٢/٨٦) .

(٢) الكامل في التأريخ : ٢/١٨٠ .

(٣) عمير بن ضابيء شاعر من سكان الكوفة وكان أبـوه قد مـات في سجن عثمان بن عفـان لقتله صبياً بدابته ولهجائه قوماً مَن الأنصار ، وعلم الحجـاج الثقفي بعد ذلـك وهو في الحرفة أن عمراً هذا كـان ممن دخل علىٰ عثمـان يوم مقتله ووطئـه برجله وأنـه القائـل =

بطنه وجعل يقول : ما رأيت كافراً ألين بطناً منه ، وكان عمير أشد الناس على عثمان وكان أبوه ضابيء إندس ليتوجأ عثمان ويفتك به ففطن به فحبسه عثمان فقال في الحبس :

هممتُ ولم أفعل وكدت فليتني　　فعلت فكان المُعولات حلائلُهْ
وما الفتك إلّا لامرىءٍ ذي حفيظةٍ　　إذا ريع لم تُرْعَدْ لحين خصائِلُهْ
وما الفتك ما آمرتَ فيه ولا الذي　　تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنكَ فاعِلُهْ
فلا يزأ مَنْ بعدي امرءٌ ضيم ضائمٍ　　حِذارَ لقاء الموت فالموتُ نائلُهْ

وكان عمير بن ضابيء ممن شهد الدار وكان أشد الناس على عثمان يقول يومئذٍ أرني ضابئاً أحي لي ضابئاً يقول ليُرى ما عثمان عليه من الحال وما فعُلتَ به فقرّعه الحجاج بن يوسف بذلك يوم قتله وكان من خبر ضابيء أن بني جرول ابن نهشل وهبوا له كلباً سألهم إياه ثم ركبت إليه جماعة منهم فارتجعوه منه وكان الكلب يسمىٰ قُرْحان فقال فيهم :

تجاوز نحوي ركب قُرْحان مَهْمَهاً　　تظلُّ به الوجناءُ وهي حسيرُ
فأمكُمُ لا تعقلوها لكلبكم　　فإنَّ عقوق الوالدين كبير

= «هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله» فأمر به فضربت رقبته وانهب ماله (الأعلام ٥/٨٩) .

وفي الفتوح بتلخيص أنه خرج اسم عمير في الجيش لحرب الأزارقة وكان شيخاً فذهب إلى الحجاج يستأذنه في البقاء وخروج ابنه بدلاً عنه فأجابه الحجاج لذلك فلما ولى عمير من بين يدي الحجاج التفت عنبسة بن سعيد كاتب الحجاج فقال : اصلح الله الأمير أتعرف هذا الشيخ ؟ فقال الحجاج : لا ، قال : هذا عمير بن ضابيء البرجمي الذي دخل على أمير المؤمنين عثمان بن عمان في يوم الدار وهو مقتول فكسر ضلعاً من أضلاعه فقال له الحجاج أيها الشيخ الضال الست القائل يوم قتل أمير المؤمنين عثمان هذا البيت :

أردت ولم افعل وكدت وليتني　　تركت على عثمان تبكي حلائله

أتشهد يوم الدار ببدنك وتبعث اليوم بابنك بديلاً ! هلّا بعثت بديلاً يوم الدار ، أما والله إن في قتلك صلاحاً لأهل المصرين ! يا غلام اضرب عنقه ! فتنحىٰ الشيخ من بين يدي الحجاج فضرب عنقه فإذا رأسه يتدهده . (الفتوح : ٤/١٠ ـ ١١) .

فمن يــك منكم ذا عقــولٍ فــإنــه   عليم بـمــا تحـت النيــاق بصـيــر
رددتُ أخــاهـم فـاستمــرُّوا كـأنمــا   حبــاهم بـتــاج الهـرمــزان أميــر

فاستعدوا عليه عثمان لما قال في أُمهم وفيهم فيقال أنه أدّبه وخلّاه ويُقال بل حبسه ثم خلّاه فأراد الفتك ففطن لـه وأخذ وحبس حتىٰ مات في الحبس فقال في الحبس :

هممتُ ولم أفعــل وكــدت وليتني   فعلت فكــان المعــولات حــلائله
ومــا الفتــك إلا لامـرءٍ ذي حفيــظةٍ   إذا ريـع لم تُرْعَـدْ لحينٍ خصـائله[1]

وفي تأْريخ ابن عساكر : «خـرجت نائلة بنت الفـرافصة تلك الليلة وقـد شقت جيبها قبلاً ودبراً ومعها سراج وهي تصيح وأميـر المؤمناه ! فقـال جبير بن مطعم : إطفئي السراج لا يفـطن بنـا فقـد رأيت الغـواة الـذين على البـاب ، فـأطفـات السـراج ، وانتهوا إلى البقيـع فصلّى عليـه جبيـر بن مـطعم وخلفــه حكيم بن حزام وأبو الجهم بن حـذيفة ونيـار بن مكرم الأسلمي[2] ونـائلة بنت الفـرافصة وأُم البنين بنت عيينـة إمرأتـاه ، ونزل في حفـرته نيـار بن مكرم وأبـو الجهم بن حذيفة وجبير بن مطعم وكان حكيم بن حزام وأُم البنين ونائلةُ يدلونه على الرجال حتىٰ لُحد له وبنى عليه وغيبوا قبره وتفرَّقوا»[3] .

كتاب نائلة لمعاوية

إنّ نـائلة بنت الفـرافصــة[4] كتبت إلى معـاويــة بن أبي سفيـان وبعثت بقميص عثمـان ، وبأنـاملها التي قـطعت يـوم الـدار مـع النعمـان بن بشيـر أو

(١) أنساب الأشراف : ق ٥/٨٣ ـ ٨٥ .
(٢) نيـار بن مكـرم الأسلمي ، روى عن السي (صلّى الله عليــه وآلـه وسلّم) وعن عثمــان واختلف في صحبته فمنهم من أنكر صحبتـه كابن سعـد في طبْقاتـه وقال أنـه سمع من أبي بكر (الإصابة : ٦/٢٥٩) .
(٣) تأريح مدينة دمشق ـ ترجمة عثمان : ٥٤١ .
(٤) نائلة بنت الفرافصة بن الأحوصَ بْن عمرو بن ثعلبة ، وكان سعيد بن العاص قد تـزوج هند بنت الفرافصة فبلغ ذلك عثمان مكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم فإنه قـد بلغني =

أحمد بن أبي بلتعة .

«من نـائلة بنت الفرافصـة إلى معاويـة بن أبي سفيـان : أمـا بعـد فـإني اذكركم بالله الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام وهداكم من الضلالـة وأنقذكم من الكفـر ونصـركم على العـدو وأسبـغ[1] عليكم النعمـة ، وأنشـدكم بـالله واذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه وبعزمـة الله عليكم فإنـه عز وجـلّ يقول : ﴿إن طـائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهمـا على الأخـرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلى أمـر الله﴾[2] وإن أمير المؤمنين بُغي عليه ولو لم يكن لـه عليكم حق إلا حق الولايـة ثم أتي إليه مـا أتي لَحَق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصـره لقدمـه في الإسلام وحسن بـلائه وأنـه أجـاب داعي الله وصدَّق رسـوله والله أعلم بـه إذ إنتجبه فـأعطاه شـرف الدنيـا وشرف الآخرة .

وإني أقص عليكم خبره لأني كنت مشاهدة أمره كله حتىٰ قضى الله عليه إن أهـل المدينـة حصروه في داره يحـرسونـه ليلهم ونهارهم قيـاماً على أبـوابه بسـلاحهم يمنعونـه كل شيء قـدروا عليه حتىٰ منعـوه المـاء يُحضـرونـه الأذى ويقـولون لـه الإفك فمكث هـو ومن معه خمسين ليلة وأهـل مصر قـد أسنـدوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكـر وعمار بن يـاسر وكـان عليّ مع المحضـريين من أهل المدينة ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ولـم يأمر بالعدل الـذي أمر الله تبارك وتعالى به فظلّت تقاتل خـزاعة وسعـد بـن بكر وهـذيل وطـوائف من

= أنك تزوجت إمراه من كلب فاكتب إليّ بنسبهـا وجمالهـا . فكتب إليه : «أمـا بعد فـإن نسبها إنها بنت الفرافصة بن الأحوص وجمالهـا أنها بيضـاء مديـدة القامـة . فكتب إليه عثمان : إن كانت لها أخت فزوجنيهـا . وكان الفـرافصة نصـرانيـاً ، ويـروى أن معاوية خطبها بعد قتل عثمان فأرسلت إليه مالذي أعجبك مني قال : ثنياك فعمدت إلى ثناياها فانتزعتها وبعثت بها إلى معاوية وقالت : هل يعجبك شيء غيرها ، وهناك كف معـاوية عن خطبتها .

(١) اسبغ : أتم ، وفي غير الأغاني : «واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة» .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ٩ .

مزْينة وجُهَينة وأنباط يثرب ولا أدري سائرهم ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره ، ثم إنه رُمي بالنبل والحجارة فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر فأتوه يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم عنه وأمرهم أن يردُّوا عليهم نبلهم فردوها إليهم فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جرأة وفي الأمر إلا إغراءً ثم أحرقوا باب الدار فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا : إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرج إلى المسجد حتىٰ يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحه القوم مُطِلّة عليه من كل ناحية وما رأى أحداً يعدل فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح فلبس درعه وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبست درعاً فوثب عليه القوم فكلمهم ابن الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألا تغزوه بشيء فكلموه وتحرَّجوا فوضع السلاح فلم يكن إلا أن وضعه حتىٰ دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر حتىٰ أخذوا بلحيته ودَعَوْه باللَّقب[1] فقال : أنا عبد الله وخليفته فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم فسقطتُ عليه وقد أثخنوه[2] وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه فتُوطِّئنا وطأً شديداً وعُرِّينا من ثيابنا وحرمة أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه وأنه والله لئن كان أثمَ من قتله لما سلم من خذله فانظروا أين أنتم من الله عزّ وجلّ فإنا نشتكي ما مسَّنا إليه ونستنصر وليَّه وصالحي عباده ورحمة الله على عثمان ولعن الله من قتله وصرعهم في الدنيا مصارع الخزى والمذلة وشفي منهم الصدور»[3]

---

(١) اللقب : نعثل وهو يهودي كثير الشحم لقب عثمان به ، اسم لرجل من مصر قيل إنه شبيه عثمان . وقد تقدم غير هذا .

(٢) أثخنه أوهنه بالجراحة وأضعفه .

(٣) الأغاني . ١٦/٣٢٥ - ٣٢٦ .

كتاب مروان لمعاوية

وكتب مروان إلى معاوية بقتل عثمان : «وهب الله لك - أبا عبد الرحمن - قوة العزم وصلاح النية ومنَّ عليك بمعرفة الحق واتباعه فإني كتبت إليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين وأي قتلة قتل ؟ نُحر كما ينحر البعير الكبير عند اليأس من أن ينوء بالحِمْل بعد أن نقبت صفحته بطيٍّ المراحِل وسير الهجير وإني مُعْلِمُكَ من خبره غير مقصر ولا مطيل : إن القوم استطالوا مدته واستقلوا ناصره واستضعفوا في بدنه وأمَّلوا بقتله بسط أيديهم فيما كان قبضه عنهم واعصوصبوا[1] عليه فظل محاصراً قد منع من صلاة الجماعة ورد المظالم والنظر في امور الرعية حتىٰ كأنه هو فاعل لما فعلوه فلما دام ذلك أشرف عليهم فخوَّفهم الله وناشدهم وذكرهم مواعيد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقوله فيه فلم يجحدوا فضله ولم ينكروه ثم رموه بأباطيل اختلقوها ليجعلوا ذلك ذريعة إلى قتله فأظهر لهم التوبة مما كرهوا ووعدهم الرجعة إلى ما أحبوا فلم يقبلوا ذلك ونهبوا داره وانتهكوا حرمته ووثبوا عليه فسفكوا دمه وانقشعوا[2] عنه إنقشاع سحابة قد أفرغت ماءها منكفئين قِبلَ ابن أبي طالب إنكفاء الجراد أبصر المرعىٰ فأخلِقْ ببني أمية أن يكونوا من هذا الأمر بمجرىٰ العيُّوق[3] إن لم يثأره ثائر فإن شئت أبا عبد الرحمن أن تكون فكُنْه والسلام[4]

مراثي عثمان

ورثاه حسان بن ثابت[5] :

---

(١) اعصوصبوا : اجتمعوا يُقال اعصوصبت الإبل أي اجتمعت .

(٢) انقشعوا : أي تفرقوا .

(٣) العيوق : نجم يتلو الثريا .

(٤) جمهرة رسائل العرب : ١/٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٥) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو الوليد ، كان شاعر النبي (صلّى الله عليه واله وسلّم) وأحد المخضرمين أدرك أيام الجاهلية والإسلام عاش ستين سنة في =

مـاذا أردتم من أخي الـدين بـاركتْ يـدُ اللّه في ذاك الأديم الـمقـدَّدِ
قـتلتم ولـي اللّه فـي جـوف داره وجئتم بـأمـرٍ جـائرٍ غيـر مهتـدي
فـهـلاَّ رعيتم ذمـة اللّه وسْـطكم وأوفيتُمُ بـالعهـد عهـد مـحمـد
ألم يـكُ فيكم ذا بـلاءٍ ومَصْـدَقٍ وأوفـاكمُ عهـداً لـدى كـل مشهـد
فـلا ظَفِرَتْ أيمـانُ قَومٍ تـظاهرت[1] على قتل عثمان الـرشيد المسـدَّد[2]

وقال يرثيه أيضاً :

أتـركتُـمُ غـزو الـدروب وجئتُـمُ لقتـال قـومٍ عـنـد قبـر مـحمـدِ
فلبئس هَـدْيُ الصـالحين هـديتـمُ ولبئس فعـلُ الجـاهـل المتعـمِّـدِ
إن تُقْبلوا نجعـل قِـرَى سـرواتكم حـول المـدينـة كـلَّ لَـدْنٍ مِـذْوَدِ
أو تُـدْبـروا فـلبئس مـا سـافـرتُمْ وَلمثْـلِ أمـرِ إمـامِكُم لـم يُهتَـدِ
وكـأن أصـحـاب النبـي عـشـيَّـةً بُـدْنٌ تُنَحَّـرُ عنـد بـاب المسجـدِ
فـأبْكِ[3] أبـا عمـروٍ لحُسنِ بـلائـه أمسىٰ مقيمـاً[4] في بقيع الغـرقـد[5]

= الجاهليه ومثلها في الإسلام وكـان من سكان المـدينة واشتهـرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام وكان رسول الله يقول : «إن روح القدس مع حسـان ما دام ينافح عن رسول الله» غير أنه كان جباناً لم يشهد مع رسول الله مشهداً واحداً وروي أن صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت وكان مع النساء والصبيان عند خروج المسلمين للقتال فمرّ بهم رجل يهودي فجعل يطوف بالحصن فقالت صفيـة لحسان إن هذا اليهودي لا آمنه أن يدل على عوراتنا فانزل إليه فـاقتله فقال : يغفـر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . فـأخذت صفيـة عموداً فقتلت اليهودي فقالت لحسان اسلبه فقال : مالي سلبه من حاجة . وكان حسان عثماني الرأي كتم شهـادته لعلي (عليـه السلام) بشـأن حديث الغـدير بغضـاً لعلي (عليـه السـلام) .
(الإصابة : ٢/ ٨) بتلخيص .

(١) في تأريخ مدينة دمشق : تبايعوا .
(٢) ديوان حسان . ١٠٢ ـ ١٠٣ .
(٣) في تأريخ مدينة دمشق : أبكي .
(٤) في تأريخ دمشق : رهيناً .
(٥) ديوان حسان : ١٠١ ـ ١٠٢

وقال يرثيه أيضا :

أوفت بنو عمرو بن عوف نذرها ... وتلوثت غدراً بنو النجار

وتخاذلت يوم الحفيظة إنهم ... ليسوا هُنالِكم من الأخيار

ونَسُوا وصاة محمدٍ في صهره ... وتبدَّلوا بالعزِّ دار بوار

أتركتُموهُ مفْرَداً بمضيعةٍ ... تنتابهُ الغوغاءُ في الأمصار

لهفانَ يدعو غائباً أنصاره ... يا ويحكمُ يا معشرَ الأنصار

هلّا وفيتم عندها بعهودكم ... وفَديتم بالسَّمْع والأبصار

جيرانه الأدنون حول بيوته ... غدروا وربُّ البيت ذي الاستار

إن لم تروا مدد أله وكتيبةً ... تُهْدِيَ أوائل جحفلٍ جَرَّار

فعدِمتُ ما وَلَدا ابنُ عمرٍ ومنذرٌ ... حتىٰ يُنيخَ جموعَهمْ بصرار

واللّه لا يُوفون بعد إمامِهمْ ... أبداً ولو أمِنُوا بحلس حمار

أبلغ بني بكرٍ إذا ما جئتَهُمْ ... ذمّاً فبئس مواضِعُ الأصهار

غدروا بأبيضَ كالهلال مُبَرَّأً ... خلصت مضاربُه بزندٍ وار

مِن خير خِنْدِف كلِّها بعد الذي ... نصر الإله به على الكفار

طاوعتم فيه العدو وكنتُمُ ... لو شئتُمُ في معزلٍ وقرار

لا يحسبنّ المرجفون بأنهُمْ ... لن يُطلَبُوا بدماء أهل الدار

حاشا بني عمرو بن عوف إنَّهم ... كتبت مضاجعهُمْ مع الأبرار[1]

ورثاه كعب بن مالك الأنصاري[2] :

يا للرِّحال لِهَمّ هاج لى حزني ... وقد عجبتُ لمن يبكي على الدِّمن

إني رأيت أمين الله مضطجعاً ... عثمان يُهدىٰ إلى الأجداث في كفن

---

(١) ديوان حسان : ١٨٣ ـ ١٨٥ .

(٢) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السَلَمي الخزرجي ، صحابي من أهل المدينة ، كان من أكابر الشعراء ولمّا أسلم كان من شعراء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وشهد معه أكثر الوقائع ، ثم كان من أصحاب عثمان بن عفان وأنجده يوم الدار وحرّض الأنصار على نصرته ، فلما قتل عثمان قعد عن نصرة علي (عليه السلام) فلم يشهد حروبه ، وعُمِيَ في آخر عمره ومات عن عمرٍ بلغ سبع وسبعون سنة .

يـا قـاتـل اللّه قـومـاً كـان أمـرُهُمُ قتـل الإمـام الـركي الـطيِّب الفـطِنِ
قـد قتلوه وأصـحـاب النبي معـاً لـولا الـدي فعلوا لم نَبْـلُ بـالفتن
قـد قتلوه بـريئـاً غيـر ذي أُبَنِ[1] صلّى الإلـه على وجـهٍ لـه حَسَنِ
قـد جمع الحلم والتقـوى بمعْصَمـةٍ مـع الـخـلافـة أمـراً كان لم يَشِـنِ
هـذا بـه كـان ر ي في قـرانـه لم يحظ شيئاً من الدنيـا ولم يَخُنِ[2]

ومن مراثيه لعثمان :

ـكفَّ يـديـه ثـم أغـلق بـابـه وأيـقـن أن الـلّه لـيس بـغـافـل
وقـال لأهـل الـدار : لاتـقتـلوهم عفـا اللّه عن كل امـرىءٍ لم يقاتـل
فـكيـف رأيـت الـلّه صـبَّ عـليـهـمُ العـداوة والبغضـاء بعـد التـواصـل
وكيف رأيـت الخيـرَ أدبَـر بعـده عن النـاس إدبارَ النّعـام الجوافـل[3]

ومن مراثيه أيضاً :

فإن أمسِ قد أنكرتُ جسمي وقوتي وأدركني مـا يُـدرك المـرء في العُمـرِ
فـلا ضيـرَ أن اللّه أعـطىٰ ونـالني مـواقفُ تُـرْجى غيـرَ مَنّ ولا فخـر
وإني من القـوم الـذين سمعتهـم أجـابـوا ولبَّـوْا دعـوةَ اللّه لـلأمـر
أنـابـوا ولم يَفْتِنْهُمُ مـا أصـابَـهمْ من النكبِ فيهـا والبـلابـل والـوَقْـر
فجـادوا بحوبـاءِ النفـوسِ ولم يَـرَوْا لَهُمْ هـذه الـدُّنيـا كعـاقبـة الـدَّهْـرِ
ومـا جعلوا من دون أمـر رسـولهـمْ لَـدُنْ آزرُوه مـن وِرادٍ ولا صـدر
ويـأمُـرُهمْ أمثـالُ سعـدٍ ومُنـذِرٍ وأمثـال عبد الحارث الحسن الذِّكر
ونعمـان وابن الجـدِّ معنٍ وثـابت بـ ـنُ قيسٍ وأمثـال ابنِ عفراءَ بـالصَّبْـر
ومثلُ ابن عمرٍ ووامرىء القيس منهما وأمثـال محمـودٍ ومثـلُ أبي عَدْ ـرو
ومـثـلُ رجـالٍ فيـهمُ لـم أُسمِّهـم وكم من نجيبٍ في طـوئفهم صقْـر

---

(1) أبَنْ : جمع أُبنة وهي العيب .
(2) تأريخ مدينة دمشق : ترجمة عثمان بن عفان : ٥٤٦ ـ ٥٤٧ .
(3) تأريخ مدينة دمشق . عثمان بن عفان : ٥٤٧ ـ ٥٤٨ .

ورهطٌ مع الفاروق والمرء عامرٍ وزيدٍ وزيدٍ والأمين أبي بكر

مع ابن كنودٍ وابن جحشٍ ومصعبٍ وذي العاتقِ المضروب يوم رحىَ بَدْر

وطلحةُ والحجاج منهم وحاطبٌ وليس ابنُ عوام بناسٍ ولا غَمْرِ

وعمرو وعثمان بن عفانَ والفتىٰ أبو مرثدٍ ، سقياً لذلك من ذِكرِ

أولئك أقوام لهم ما تقدّموا هم مَهلوا قبل البرية في الأجر

تضاعف ما أسْدَوا من الخير كلّه وما أمرُ معروفِ المشاهد كالنُكرِ[1]

ورثاه الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط حينما لقىٰ بجاداً مولى عثمان فأخبره أن عثمان قد قُتل ، فقال :

ليت أنّي هلكتُ قبلَ حديثٍ سَلَّ جسمي ورِيعَ منه فؤادي

يوم لاقيتُ بالبَلَاطِ[2] بجاداً ليت انّي هلكت قبل بجاد[3]

وقال أيضاً :

ألم تر للأنصار فضّت جموعها لتكشِفَ يوماً لا توارى كواكبُه

وأن قُريشاً وزّعتها عصابةٌ سما لَهُمُ فيها الذّميم وصاحبُه

وصاحبُ عثمان المشيرُ بقتله تدبُّ إلينا كلَّ يومٍ عقاربُه

وانّ دُليماً يظهرُ اليوم عُذرَهُ وفي نفسه الأمرُ الذي هو راكبُه

وقد سرّني كعبُ وزيدُ بن ثابت وطلحة والنعمان لا جُبَّ غاربُه

هُم زجروا من عاب عثمانَ منهُمُ وأولى بني العلّاتِ بالعيب عائبُه[4]

ولما قتل عثمان أرسل عليّ فأخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلاً من ابل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عقبة :

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٥٤٥ ـ ٥٤٦ .

(٢) البلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبين سوق المدينة .

(٣) الأغاني : ١٤٩/٥ .

(٤) تاريخ دمشق : عثمان بن عفان . ٥٥٢ ـ ٥٥٣ . ولا يخفىٰ ما في هذه الأبيات من التعريض بعلي (عليه السلام) .

بني هـاشم رُدُّوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبـوه لا تحِـلُّ منـاهبُـه[1]
بـني هـاشـمٍ إلاَّ تـردّوا فـإنّـنـا ... سـواءُ علينـا قـاتـلاه وسـالبُـه
بني هـاشمٍ كيف الهـوادةُ بيننـا ... وسيف[2] ابن أروى عندكم وحرائبُـه
قتلتم أميـر الـمؤمنين[3] خيـانـةً ... كمـا غدرت يـومـاً بكسـرىٰ مرازبُـه
فـوالله لا أنسىٰ ابن أمي عيشتي ... وهـل ينَسَّيَنَ الماءَ مَنْ كـان شاربُـه
هـو الأنفُ والعينانُ مني ، فليس لي ... سوى الأنف والعينين وجْهاً أُعاتبُه[4]

وكتب الوليد بشعره إلى معاوية :

معاوي إنَّ الملكَ قد جبّ غـاربُه[5] ... وأنت بما في كفّك اليومَ صاحبُه
أتـاك كتـابٌ من عـليٍّ بخـطهِ ... هي الفصلُ فاختر : سِلْمَهُ . أوتُحاربُه
فـإن كنت تنوي أن تجيب كتـابه ... فـقبِّـح مُمْـليه وقَبِّـح كـاتبُـه
وإن كنت تنـوي أن تَـرُدَّ كتـابَـهُ ... وأنـت بـأمـرٍ لا محـالـةَ راكبُـه
فـألقِ إلى الحيِّ اليمـاني كِلمـةً ... تنـالُ بهـا الأمـرَ الـذي أنت طـالبُـه
تقـول : أميـر المؤمنيـن أصـابَـهُ ... رجـالٌ ، ومـا لأهُمْ عليـه أقـاربُـه
فـريقـان ، منهم فـاتـكٌ ومحضّضٌ ... بـلا تِرَةٍ كـانت ، وآخرٌ سـالبُـه
وكنتُ أميـرَ الشـام فيكم وعنـدكم ... وحَسْبي وإيّـاكم من الحقّ واجبُـه
تُجيبـوا ، ومَنْ أرسىٰ حـراءَ مكـانَـه ... بِـدُفّـاعِ[6] بحـرٍ لا تُـرَدُّ غـواربُـه

---

(1) وفي الأغاني رواية أخرىٰ «ولا تَهَبُوه لا تحِلُّ مواهبُه» الأغاني : ١٤٩/٥ .

(2) وفي الأغاني : وعند عليّ سيفه ونجابته .

(3) في الأغاني :

قتلتم أخي كيمـاتكونـوا مكـانـه ... كمـا فعلت يـومـاً بكسـرىٰ مـرازبُـه

(4) تأريخ دمشق : عثمان بن عفان : ٥٥٣ .

وقد أجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بأبيات من جملتها :

فـلا تسألـونـا سيفكم إن سيفكم ... أُصيب وألقـاه لدى الـروع صـاحبُـه
وشبهتـه كسـرى وقـد كـان مثله ... شبيهـاً بكسـرى هـديـه ومضـاربُـه

(شرح النهج م ١/ ٢٧٠)

(5) الغارب : اعلى مقدم السنام .

(6) الدفّاع : كثرة الماء وشدته .

فـأقْلِلْ وأكثـر مـالهـا اليـوم صَـاحبٌ   سـواك فصرِّحْ لستَ ممن تـواربُـه[1]
فـلا تـدعنَّ الملك والأمـرُ مقبـلٌ   وتـطلبُ مـا أعيتْ عليـك مـذاهبُـه
فـإن عـليّـاً غيـرُ سـاحـب ذيـلَهُ   على خـدْعَةٍ مـا سَوَّغَ المـاءَ شـاربُـه
ولا قـابـلاً مـا لا يـريـدُ وتـلكم   تقـوم بهـا يـومـاً عليـه نـوادِبُـه
فحاربْهُ ، إن حاربتَ ، حرب ابن حُرَّةٍ   وإلاَّ فَسَلْم لا تَـدِبُّ عقـاربُـه[2][3]

١٣

عبد الرحمن بن عتّاب بن بن أسَيد بن أبي العيص بن اميّة

أمـه جُوَيْـرية بنت أبي جهـل ، وأُمها أروى بنت أبي العيص[4] ، وابـوه عتـاب من مسلمة الفتـح إستعمله رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) على حنين وبقي عليها بعد وفـاة رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) في خـلافة أبي بكـر ، وتـوفي هـو وأبـو بكـر في يـوم واحـد لم يعلم أحـدهمـا بمـوت الآخر[5] .

وقـد شهد عبـد الرحمن بن عتـاب معركـة الجمـل مـع عـائشـة لحـرب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان يخرج في المعركة راجزاً :

أنا ابن عتاب وسيفي وَلْـوَلْ[6]   والموتُ عند الجمـل المُجلَّلْ

وقتـل عبـد الـرحمن في الجمـل وقيـل إن الـذي قتله جنـدب بن زهيـر

(١) المواربة : المداهاة والمخاتلة .
(٢) العقارب : النمائم .
(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٥٥٢ .
(٤) أنساب الأشراف : ٤ ق ٢ / ١٥٠ .
(٥) شرح النهج : ١١ / ١٢٣ .
(٦) في القاموس المحيط : وَلْوَل سيف عبد الرحمن بن أُسيد .

الغامدي قال : لقيني ابن الزبير وعليه وجه حديد فطعنته فزلَّ سناني[1] عنه وجاوزه إلى عبد الرحمن وهو يرتجز فقتله[2] . وقيل بل قتله مالك الأشتر . فإنه قال : لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت أشد الناس وأخرقه ما لبثته أن قتلته[3] .

وقد مرَّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) بطلحه وعبد الرحمن وهما قتيلان فقال : «لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً ، أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب . أدركت وترى من بني عبد مناف وأفْلَتَتْني أعيانُ بني جُمَح ، لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمرٍ لم يكونوا أهله فوقصوا دونه»[4] .

وبقوله : «أدركت وتري من بني عبد مناف» يعني عبد الرحمن فإن طلحة ليس من بني عبد مناف بل هو من تيم .

وفي شرح النهج : إن أمير المؤمنين قال فيه وقد مرَّ به قتيلاً يوم الجمل : لهفي عليك يعسوب[5] قريش ! هذا فتىً الفتيان هذا اللباب[6] المحض من بني عبد مناف شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله أشكو عُجرى وبجرىٰ ! فقال له قائل : لشدَّ ما أطريت الفتى يا أمير المؤمنين اليوم ! قال : إنه قام عني وعنه نسوة لم يقمن عنك[7] .

وروي إن كفّ عبد الرحمن قطعت فاحتملها عُقاب فأصيب ذلك اليوم بحجر من اليمامة فعُرفت بخاتمه[8] .

---

(١) السِّنان : نصل الرمح .
(٢) نسب قريش/١٩٣ .
(٣) الكامل لابن الأثير : ١٣٨/٣ ط دار الكتب العلمية .
(٤) نهج البلاغة /خطبة رقم ٢١٩ .
(٥) اليعسوب : السيد العظيم المالك لأمور الناس .
(٦) اللباب : يُقال الحسب اللباب أي الخالص .
(٧) شرح النهج : ١٢٣/١١ .
(٨) أنساب الأشراف : ٤ ق ٢ /١٥٠ .

ذكر من قتل منهم في
أيام الدولة الأموية

١٤

سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية

ويكنى أبا عثمان ، وكان أعور نحيلاً أُصيب عينه بسمرقند[١] عند فتحه سمرقند[٢] وهو الذي يقول فيه الشاعر :

سيعد بن عثمان بن عفان لا يرى   لصاحبه قرْضاً عليه ولا فرضا[٣]

وكان معاوية ولّاه خراسان ثم عزله سنة سبع وخمين وولّى عبيد الله بن زياد

وروي إن أهل المدينة كانوا يحبون سعيداً ويكرهون يزيد ، فقدم على معاوية فقال له : يا ابن أخي ما شيء يقوله أهل المدينة . قال : ما يقولون ؟ قال : قولهم :

والله لا ينالها يزيد   حتى يعض هامه الحديد
إنّ الأمير بعده سعيد

قال : ما تنكر من ذلك يا معاوية ؟ والله إن أبي خير من أبي يزيد ،

---

(١) سمرقند : مدينة من حراسان .

(٢) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ١٥٤/٦ .

(٣) أنساب البلاذري : ق ١١٧/٥ .

ولأمي خير من أمه ولأنا خير منه ، ولقد إستعملناك فما عزلناك بعد ، ووصلناك فما قطعناك ، ثم صار في يديك ما قد ترى فحلأتنا عنه أجمع . فقال له معاوية : يا بني أما قولك أنّ أبي خير من أبي يزيد فقد صدقت ، عثمان خير من معاوية ، وأما قولك : أمي خير من أم يزيد فقد صدقت ، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما قولك : إني خير من يزيد فوالله ما يسرّني أن حبلاً بيني وبين العراق ثم نظم لي أمثالك فيه ، وفي لفظ : والله ما يسرني أن الغُوطة ملئت رجالاً مثلك بيزيد ، ثم قال له معاوية : ألحِقْ بعمِّك زياد فإني امرته أن يوليك خراسان ، وكتب إلى زياد أن ولّه ثغر خراسان وابعث على الخراج رجلاً جلداً حازماً . فقدم عليه فولّاه[1] . وولّى إسحاق بن طلحة خراجها ـ وكان إسحاق ابن خالة معاوية أمه أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ـ فلما صار بالري مات إسحاق فولّي سعيد خراجها وحربها[2] .

وفي الإمامة والسياسة وكان معاوية قد رجع من المدينة إلى الشام بعد أن استخبر أهل المدينة رأيهم في يزيد : فلما قدم معاوية الشام أتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها ، قال : يا أمير المؤمنين علام تبايع ليزيد وتتركني ؟ فوالله لتعلم أن أبي خير من أبيه ، وأمي خير من أمه ، وإنك إنما نلت فيه بأبي . فضحك معاوية وقال : يا ابن أخي أما قولك إن أباك خير من أبيه فيوم من عثمان خير من معاوية ، وأما قولك : أن أمك خير من أمة ففضل قرشية على كلبية فضل بيِّن ، وأما أن أكون نلت ما أنا فيه بأبيك فإنما هو الملك يؤتيه الله من يشاء ، قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بنو العاص ، وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منه عليك وأما أن تكون خيراً من يزيد فوالله ما أحب أن داري مملوءة رجالاً مثلك بيزيد ولكن دعني من هذا القول وسلني أعطك . فقال سعيد بن عثمان : يا أمير المؤمنين لا يعدم يزيد مزكيّاً ما دمت له ، وما كنت لأرضى ببعض حقي دون بعض فإذا أبيت فأعطني مما

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٥٥/٦ .

(٢) الكامل لابن الأثير : ٥١٢/٣ .

أعطاك الله فقال معاوية : لك خراسان . قال سعيد : وما خراسان ؟ قال : إنها لك طعمة وصلة رحم . فخرج راضياً وهو يقول :

ذكـرت أميـر المـؤمنيـن وفضـله ... فقلت جـزاه اللّه خيـراً بمـا وصـلْ
وقـد سـبقـت منـي إليـه بـوادرٌ ... من القـول فيـه آفـة العقـل والـزلـلْ
فـعـاد أميـر الـمؤمنيـن بفـضـله ... وقـد كـان فيـه قبـل عـودتـه ميـلْ
وقـال خـراسـان لـك اليـوم طعمـة ... فجـوزيَ أميـر المؤمنين بمـا فعـلْ
فلو كـان عثمـان الغـداة مكـانـه ... لمـا نـالني من ملكـه فـوق مـا بـذلْ

فلما انتهىٰ قوله إلى معاوية أمر يـزيد أن يـزوره وأمر إليـه بخلعةٍ وشيّعـه فرسخاً[1] .

فلما قدم سعيد بن عثمان خـراسان قـطع النهر إلى سمـرقند فخـرج إليه الصُّغد[2] فتوافقوا يوماً إلى الليل ولم يقتتلوا فقال مالك بن الرَّيب :

مـا زلـت يـومَ الصُّغـد تـرعُـد واقفـاً ... مـن الجبـن حـتىٰ خـفـتُ أنْ تتنصَّرا

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم في مدينتهم فصالحـوه وأعطوه رُهُناً[3] منهم خمسين غلاماً من أبناء عظمائهم[4] . فقدم بهم معه حين عزله معاوية لمّـا خاف من طلبـه الخلافـة فلما صـار إلى المدينـة جعل يـأخذ كسـوتهم ومنـاطقهم فيـدفعهـا إلى غلمـانـه وألبسهم جبـاب الصـوف وألـزمهم السـواني والعمـل الصعب فـدخلوا عليـه في مجلِسـه ففتكـوا بـه ثم قتلوا أنفسهم[5] . وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان حليف بني حـرب بن

(١) الامامة والسياسة : ١/١٩١ ـ ١٩٢ .
(٢) الصغد : بالضم ثم السكون وآخر دال مهملة وقد يُقال بـالسين مكان الصـاد وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند وقيـل هما صغـدان صغد سمـرقند وصغـد بخارىٰ وكـان يُقال : جنان الدنيا أربع : عـوطة دمشق وصغـد سمرقنـد ، ونهر الأبلّة وسعب بوّان . (معجم البلدان ٣/٤٠٩) .
(٣) الرَّهْنُ : ما وضع لينوب ما أُخذ منك .
(٤) و (٥) أنساب البلاذري : ق ٥/١١٧ .

مية وهو من محارب[1] ففرَّ لما قتل سعيد فقال خالد بن عقبة يرثي سعيداً :

يا عين جودي بدمعٍ منك تهتانا ... وابكي سعيداً بن عثمان بن عفانا
إنَّ المُواكِلَ لم نصدق مودتُه ... وفرّ عنه ابن ارطاة بن سيحانا

فردّ بن سيحان على خالد معتذراً :

يلومونني إن كنت في الدار حاسراً ... وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو دارع[2]

فقال خالد :

لعمرك لم تسمع ولكن رأيته ... بعينيك إذ مسعاك في الدار واسع
وأسلمته للصغد تدمى كلومه ... وفارقته والصوت في الدار شاسع
وما كان فيها خالد بمعذِّر ... سواء عليه صمّ أو هو سامع
فلازلتما في غل شر بعبرة ... ودارت عليكم بالشمات القوارع[3]

وروي أنه بينا سعيد في حائط له وقد جعل أُولئك الصغد فيه يعملون بالماحي إذ أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه فجاء مروان بن الحكم بطلب المدخل عليهم فلم يجده وقتل الصغد أنفسهم وتسوَّرت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيداً[4] .

١٥

اسماعيل بن خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط

قتل إسماعيل بن خالد يوم الحرَّة[5][6] .

---

(١) نسب قريش /١١١ .
(٢) أنساب البلاذري : ق ٥ /١١٩ .
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٥٦/٦ .
(٤) أنساب البلاذري : ق ١١٩/٥ ، المعارف /٢٠٢ .
(٥) الحرَّة وتعرف بحرَّة واقم وفيها وقعت الواقعة في أيام ملك يزيد بن معاوية حيث استباح مسلم بن عقبة المريُّ قائد جند الشام بعد الظفر بأهل المدينة لجنده العبث بمدينة =

١٦

معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
بن حرب بن أمية

ليزيد[١] بن معاوية سبعة عشر ولداً : خالد ، وعبد الله الأكبر ، وأبا سفيان ، وعبد الله الأصغر المعروف بالأسوار ، وعمر ، وعاتكة التي تزوجها عبد الملك بن مروان فولدت له يزيد ، وعبد الله الذي يُقال له أصغر الأصاغر وعثمان ، وعبد الرحمن ، وعتبة الأعور ، ويزيد ، ومحمداً ، وأبا بكر ، وأبا يزيد ، وأُم عبد الرحمن ، ورملة ، ومعاوية[٢] والمعروف بمعاوية الثاني . وكانت ولادته سنة ثلاث وأربعين للهجرة[٣] .

وأُمه أُم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة[٤] .

ويكنى أبا عبد الرحمن ، وأبا يزيد ، وأبا ليلى[٥] .

وكان صالحاً مستقيماً ، عارفاً بحق أهل البيت وحق أمير المؤمنين (عليه

= رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوقعت المنكرات التي تضبطها كتب التأريخ ويأتي ذكرها في ترجمة مروان بن الحكم .

(٦) تأريخ خليفة : ١/٢٩٤ .

(١) يزيد بن معاوية أُمه ميسون الكلابية ولد سنة خمس وعشرين فسماه أبوه باسم أخيه وكان بديناً محدراً ، رفيع الصوت على أنفه قرحة ، شديد السمرة ولعاً بلعب النرد والصيد بالفهد شغوفاً بمعاقرة الخمور والفجور متجاهراً بالفسق حتىٰ في سفر الحج وفي مدينة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أخذ معاوية له البيعة بعده واستقرت له البيعة فى الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه في كربلاء واستباح مدينة الرسول . مات بذات الرئة في منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين .

الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه في كربلاء واستباح مدينة الرسول .

(٢) راجع أنساب البلاذري ٢ ق ٤/٦١ .

(٣) النجوم الزاهرة : ١/١٦٣ .

(٤) تأريخ الإسلام للذهبي : ٨٣/٣ .

(٥) تأريخ الخلفاء /١٦٨ .

السلام) ، مطبوعاً على حبه ، فقد روى أن بني أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص : أنت علمته هذا ، ولقنته إياه ، وصددته عن الخلافة ، وزينت له حبّ عليّ وأولاده ، وحملته على ما وسمنا به من الظلم ، وحسَّنت له البدع حتىٰ نطق بما نطق ، وقال ما قال . فقال : والله ما فعلته ، ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي . فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيّاً حتىٰ مات[1] .

وفي أنساب الأشراف : كانت أُم معاوية بن يزيد وهي أُم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس امرأة بَرْزة عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأُمه حاضرة ، فأمره بأمر ، فلما ولّى قالت له : لو ولّيت معاوية عهدك ! فقال : أفعل . وناظر حسان بن مالك بن بحدل الكلبي في أمره فشجعه على البيعة له ، فأحضر الناس وأعلمهم أنه ولّاه الخلافة بعده ، فبايع له ابن بحدل والناس ، فلما مات يزيد بحوّارين بويع لمعاوية بالخلافة وهو كاره[2] . وذلك في شهر ربيع الأول من سنة أربع وستين . .

وقد أخذت سيرة أبيه يزيد منه مأخذاً كبيراً ، وقد تجرَّعها بألم ولوعة ومن ذلك وقعة الحرّة فإنها لمّا وقعت واستبيحت مدينة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتب مسلم بن عقبة كتاباً ليزيد بذلك فلما جاءه الكتاب أرسل إلى عبد الله بن جعفر وإلى ابنه معاوية بن يزيد فأقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر وأكثر ، وبكىٰ معاوية بن يزيد حتى كادت نفسه تخرج ، وطال بكاؤه ، فقال يزيد لعبد الله بن جعفر : ألم أجبك إلى ما طلبت وأسعفتك فيما سألت فبذلت لهم العطاء وأجزلت لهم الإحسان وأعطيت العهود والمواثيق على ذلك ؟ .

فقال عبد الله بن جعفر : فمن هنالك استرجعت وتأسفت عليهم إذ إختاروا البلاء على العافية ، والفاقة على النعمة ، ورضوا بالحرمان دون

---

(١) حياة الحيوان : ٥٣/١ .

(٢) أنساب البلاذري : ٢ ق ٦٣/٤ .

العطاء ، ثم قال يزيد لإبنه معاوية : فما بكاؤك أنت يا بني ؟ قال : أبكي على قتل من قتل من قريش ، وإنما قتلنا بهم أنفسنا . فقال يزيد : هو ذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها[1] .

وقد نُسب لمعاوية بن يزيد قوله :

يا ليت لي بيزيد حين أنتسبُ أباً سواه وإن أزرى بي النسبُ
برئت من فعله والله يشهدني إني برئت وذا في الله قد يجب[2]

وفي البدء والتأريخ : إن معاوية لمّا بايعه الناس قال للمقصوص : ما ترى ؟ قال : إما أن تعتدل ، وإما أن تعتزل[3] .

وذكر غير واحد[4] : إن معاوية بن يزيد لمّا خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ثم ذكر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأحسن ما يذكر به ثم قال : يا أيها الناس ما أنا بالراغب في الأئتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم وإني لأعلمُ أنكم تكرهوننا أيضاً لأنّا بلينا بكم وبليتم بنا إلا أن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعظم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً واكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ابن عمّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصهره وأخوه زوّجه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ابنته فاطمة وجعله لها بعلاً باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة تربية الرسول وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية فركب جدي معه ما تعلمون وركبتم معه مالا

---

(١) الامامة والسياسة : ١/٢١٨ .
(٢) حياة الإمام الباقر : ٢/١٦ .
(٣) البدء والتأريخ : ٦/١٧ .
((٤) راجع البدء والتأريخ : ٦/١٧ ، تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٥٤ ، سمط النجوم : ٣/١٠١ـ١٠٢ .

تجهلون حتىٰ انتظمت لجدي الأمور فلما جاءه القدر المحتوم واخترمته أيدي المنون بقي مرتهناً بعمله فريداً في قبره ووجد ما قدمت يداه ورأى ما ارتكبه واعتداه ثم انتقلت إلى يزيد أبي فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله واسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فركب هواه واستحسن خطاه وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله وبغيه على من إستحل حرمته من أولاد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقلّت مدته وانقطع أثره وضاجع عمله وصار حليف حفرته رهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعاته وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له ، هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله وكذلك ظني . ثم إختنقته العبرة فبكى طويلاً وعلا نحيبه ثم قال : وصرت أنا ثالث القوم والساخط عليَّ أكثر من الراضي وما كنت لأتحمّل آثامكم ولا يراني الله جلّت قدرته متقلداً أوزاركم وألقاه بتبعاتكم فشأنكم أمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولّوه فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام[1] .

وبلفظ آخر إن معاوية صعد المنبر فقال : أيها الناس أن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو علي بن أبي طالب ، وركب بكم ما تعلمون حتىٰ أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه ، ثم قلّد أبي الأمر غير أهل لذلك وركب هواه وأخلفه الأمل وقصُر عنه الأجل وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه . ثم بكىٰ حتىٰ جرت دموعه على خديه ثم قال : إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأباح الحَرَم وخرَّب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم . والله لو كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظاً ، ولئن كانت شراً فكفىٰ ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها ، ألا فليُصَلّ بالناس حسان بن

---

(١) حياة الحيوان : ١/٥٢ .

مالك وشاوروا في خلافتكم رحمكم الله[1] .

وفي الصواعق المحرقة أنه قال : إن هذه الخلافة حبل الله وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه ، ثم قلّد أبي الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه ، ثم بكى وقال : من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبؤس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأباح الخمر وخرّب الكعبة ، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها فشأنكم أمركم ، والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً ، ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها[2] .

وروي أنه دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له : أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين ، ثم رفع صوته فقال : من أراد أن ينظر في خلافة آل حرب بن أُميه فلينظر إلى هذا ، فقال له معاوية : يا ابن الزرقاء اخرج عني لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه[3] . وكان قد اجتمعت إليه بنو أُمية فقالوا له : اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك ، فقال : والله ما ذُقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها ؟ وتتعجلون أنتم حلاوتها وأتعجل مرارتها ، اللهم إني بريء منها متخلٍّ عنها ، اللهم إني لا أجد نفراً كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلاً لها ، فقالت له أُمه: ليت إنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام ، فقال لها : وليتني يا أُماه خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر ، أتفوز بنو أُمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها ؟ كلا ! إني لبريء منها[4] .

---

(١) النجوم الزاهرة : ١٦٤/١ .

(٢) الصواعق المحرقة ١٣٤ .

(٣) أنساب البلاذري : ٢ ق ٦٤/٤ .

(٤) مروج الذهب : ٨٢/٣ .

وروي أنه مات مسموماً[1] وقيل أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ودفن بدمشق[2] قريباً من المسجد الأموي وله مزار وتقام في ضريحه صلاة الجماعة

وفي أنساب البلاذري : وقام مروان بن الحكم على قبره فقال : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم ، معاوية بن يزيد ، قال : بل دفنتم أبا ليلىٰ يستصعفه ، وكانوا يكنون كلّ ضعيف أبا ليلى[3] .

١٧

عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص

وفي سنة خمس وستين بعث مروان بن الحكم جيشاً إلى المدينة لقتال ابن الزبير وأمر عليهم حُبَيّش بن دلجة القيني فسار بهم حتىٰ انتهىٰ إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف من قبل بن الزبير فهرب منه جابر ، ثم وجه الحارث بن أبي ربيعة جيشاً من البصرة وكان والّيها من قبل الزبير وأمر عليهم الحنيف بن النحف لحرب حبيش فلما علم به حبيش سار إليه من المدينة ، ووقعت المعركة ونشب القتال في الربذة وقتل حبيش قتله يزيد بن سنان[4] ، وكان مروان وجه عبيد الله بن الحكم أخاه مع حبيش وقال له : إن حدث بحبيش حدث فأنت على الحبيش فقتله الحنيف[5] .

---

(١) أنظر الكامل : ٤/١٣٠ ـ مروج الذهب : ٣/٨٢ .

(٢) مروج الذهب : ٣/٨٢ .

(٣) أنساب الأشراف : ٢ ق ٤/٦٢ .

وهٰذه الكنية للمستصعف من العرب وفيه يقول الشاعر :

إني أرى فتنة هاجت مراجلها   والملك بعد أبي ليلىٰ لمن غلبا

(٤) الكامل لابن الأثير : ٤/٢٩٠ .

(٥) أنساب البلاذري : ق ٥/١٥٥ ، جمهرة النسب للكلبي ١/١٥٨ .

١٨

مروان بن الحكم بن أبي العاص

بن امية

وهــو ابن عم عثمــان بن عفــان ويكنى أبــا القــاسم ثم إكتنى عبد الملك(١) .

أمـه آمنـة بنت علقمـة بن صفـوان بن أمية بن المحـرّث بن خمـل شق بن رقبة بن مُخْدَج بن عـامر بن ثعلبـة ابن الحارث بن مـالك بن كنـانة بن خزيمة(٢) .

وأم آمنـة يُقال لهـا الصعبة بنت أبي طلحـة العبدري وأمها مـارية بنـ موهب كنْدِيّة وهي الزرقـاء التي يعيرون بهـا فيقال بنـو الزرقـاء وكان مـوهـ قيْناً(٣) .

وروي أنه كان بين مروان وعمرو بن العاص منازعة فقال عمـرو : يا ابن الـزرقـاء فقـال مـروان إن كـانت زرقـاء فقــد أنجبت وأدت الشبـه إذ لم تؤده النابغة(٤) .

وقد اختلف في ولادته فقيل إنه وُلد على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) سنة إثنتين من الهجـرة ، وقيل : عـام الخندق وقيـل : يـوم أُحـد وقيل : إنه ولـد بمكة ويُقـال ولد بـالطائف فـإذا كانت ولادتـه يوم أُحـد فيكون مـروان ابن ثمان سنين أو نحـوها حين تـوفي رسول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) فلم ير مروان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأنه خـرج به أبـوه

---

(١) أنساب البلاذري : ق ٥/١٢٦ .
(٢) نسب قريش/١٥٩ .
(٣) أنساب البلاذري : ق ٥/١٢٦ .
(٤) أنساب البلاذري : ق ٥/١٢٩ .

وهو طفل لا يعقل[1] .

وكان الحكم أبو مروان قد أظهر الإسلام في فتح مكة فكان يمر خلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيخلج بأنفه ويغمز بعينيه فبقي ذلك التخلّج وأصابته خبلة فقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لمروان :

إنَّ اللعين أباك فارم عظامه ... إن ترم ترم مُخلَّجاً مجنوناً
يضحي خميص البطن من عمل التقىٰ ... ويظلُّ من عمل الخبيث بطيناً[2]

وكان سبب طردهم من المدينة أنه أطلع الحكم ذات يوم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو في بعض حجر نسائه فخرج إليه بعنزة ، وقال : من عذيري من هذه الوزغة ، وكان يفشي أحاديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلعنه وسيّره إلى الطائف[3] .

وروي أنه : إستأذن الحكم بن أبي العاص على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : إئذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويتّضعون في الآخرة[4] .

وعن أبي يحيى قال : كنت بين الحسن والحسين ومروان يسابّ مروان فجعل الحسن ينهاه فقال مروان : إنكم أهل بيت ملعونون ، فغضب الحسين وقال : ويلك قلت هذا فوالله لقد لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صلبه[5] . وعنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال : رأيت في المنام بني الحكم ـ أو بني أبي العاص ـ ينزون على منبري كما تنزو القردة[6] .

---

(١) الاصابة : ١٥٦/٦ ، الاستيعاب : ١٣٨٧/٣ ، المعارف لابن قتيبة ٣٥٣ .
(٢) أنساب البلاذري : ق ١٢٥/٥ .
(٣) أنساب البلاذري : ق ١٢٥/٥ .
(٤) أنساب البلاذري : ق ١٢٦/٥ .
(٥) تاريخ الإسلام : ٧٣/٣ .
(٦) البداية والنهاية : ٢٤٣/٦ .

فلما طردهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لا زالوا مطرودين على عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب حتىٰ بويع عثمان بن عفان فردّهم إلى المدينة وادعى أنه إستأذنه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوعده بردهم فكان ردهم إلى المدينة من الأمور التي نقم المسلمون لأجلها على عثمان ، وكان إن أغدق على الحكم وبنيه بالعطايا والهبات وقرّبهم إليه وحملهم على رقاب المسلمين وجعل مروان بن الحكم كاتبه فكان آخر ما عمل كتابه إلى ابن سعد بن أبي سرح بعد رجوع وفد أهل مصر فيه: «إذا قدم عليك الحبيش فاقطع يد فلان وفلان ، واقتل فلان وفلان وافعل بفلان كذا وأحصىٰ أكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر» وفي رواية أخرى : «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإذا قدم عليك عبد الرحمن ابن عُديس فأجلده مائة واحلق رأسه ولحيته وأطِلْ حبسه حتىٰ يأتيك أمري وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك ، وسودان بن حُمران مثل ذلك وعروة بن النِّباع الليثي مثل ذلك»[1] فرجع وفد أهل مصر إلى المدينة وكان إن حدث ما حدث لعثمان وقتله .

وروي أنه كان لمروان بأرضه بذي خُشُب غلام يُقال له جُرَيحْ فقال له يوماً يا جريح أدْرَكَ شيء من غلاتنا؟ قال يوشك أن يدرك وكأنك بها فركب مروان إلى أرضه فتلقّته أحمال فقال من أين هذه قالوا من ضيعتك بذي خُشُب فأتى الأرض فقال : يا جريح إني أظنك خائناً قال : أنا والله أظنك أيها الأمير عاجزاً اشتريتني وأنا في مدرعة صوف ثم أنا اليوم موسر قد اتخذت وابتنيت المنازل . والله إني لأخونك وأنت لتخون أمير المؤمنين وإن أمير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شرّ الثلاثة[2] .

وكان شهد مروان بن الحكم الدار عندما قتل عثمان وضرب على قفاه فنقل عمّن حضر يوم الدار أن ابن النباع الليثي يوم الدار يبادر مروان فكأني أنظر إلى قبائه قد أدخل طرفه في منطقته وتحت القباء الدرع فضرب مروان

(١) جمهرة رسائل العرب : ٣٠٩/١ .

(٢) أنساب البلاذري : ق ١٣٠/٥ .

على قفاه ضربة قطع علالب عنقه ووقع لوجهه فأرادوا أن يدفنوا عليه فقيل : اتبضعون اللحم فترك ، وعن حفص بن عمر عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أبيه وذكر مروان فقال : والله لقد ضربت كعبه فما أحسبه إلاّ قد مات ولكن المرأة أحفضتني قالت : ما تصنع بلحمه أن تبضعه فأخذني الحفاظ فتركته[1] .

وفي أُسد الغابة : وكان يُقال لمروان خيط باطل وضرب يوم الدار على قفاه فقطع أحد علباويه فعاش بعد ذلك أوقصٍ والأوقص الذي قصرت عنقه[2] ، فأفلت مروان وهرب من أيدي الثوار وفي ذلك يقول الشاعر :

وأنساب مروان في الظلماء مستتراً ‏ ‏ ‏ تحت الدجى كلّما خاف الردى أَرِقا[3]

وكان مروان كتب إلى معاوية كتاباً بشأن قتل عثمان نقلناه في محلّه فكتب له معاوية «أما بعد ، فقد وصل كتابك بشرح خبر أمير المؤمنين وما ركبوه به ونالوه منه جهلاً بالله وجرأة عليه واستخفافاً بحقه ولأماني لوَّح الشيطان بها في شرك الباطل ليُدَهْدِههم [4] في أهويات الفتن ووهدات الضلال ولعمري لقد صدق عليهم إبليس ظنه ولقد اقتنصهم بانشوطة[5] فخِّه فعلى رِسْلِك[6]» أبا عبد الله تَمْشِ الهوينى وتكون أولاً فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصطاد إلاّ غيلة[7] ولا يتشازر[8] إلا عن حيلة وكالثعلب لا يُفلت إلا رَوَغاناً وأخفِ نفسك منهم إخفاء القُنفُذ رأسه عند لمس الأكف وآمتهن نفسك

---

(1) تاريخ الإسلام : ٧٢/٣ .

(2) أسد الغابة : ٣٤٨/٤ .

(3) وقعة صفين /٤١٤ .

(4) يقال دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج والأهوية جمع الهوّة .

(5) الأنشوطة : عقدة يسهل إنحلالها .

(6) على رسلك : أي على مهلك .

(7) الغيلة : الاغتيال .

(8) الشزر : النظر بمؤخر العين في حال الغضب .

امتهـان[1] من ييأس القـوم من نصره وانتصـاره وابحث عن أمـورهم بحث الدّجاجة عن حَبِّ الدُّخن عند فقاسهـا[2] وأنغل[3] الحجـاز فإني مُنغِـلٌ الشام والسلام»[4] .

وكان مروانِ بن الحكم شديد البغض لَعلي بن أبي طالب وآل رسول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) وكان يـوغر صـدر عثمان بن عفـان ويحـرِّضـه ويتهمهم عنده .

وذكـروا أن مروان بن الحكم لمـا بويـع عليٌّ هـرب من المـدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة : ما وراءك ؟ فقال مروان : غُلبنـا على أنفسنا ، فقال له رجـل من أهل مكـة : إيّاك وعليـاً فقد طلبـك ففرَّ من بين يـديه فقـال مروان : لِمَ ؟ فوالله ما يجد إليَّ سبيلاً . أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن ولا ينصب عليَّ إلاَّ اليقين وأيم الله مـا أبالي إذا قصـر عليٌّ سيفه مـا طال عليَّ من لسانه فقال الرجل : إذا أطال الله عليك لسانـه طال سيفـه ، قال مـروان : كلا ، إنَّ اللسان أدب والسيف حكم[5] .

وحضر مروان الجمل مع عائشة لحـرب علي (عليه السـلام) واتهم بقتل طلحـة فقـد رمىٰ مـروان بن الحكم طلحـة بسهمٍ فقتله وكـلاهمـا كـان مـع عائشة[6] . ونجا مروان من القتل وأخذ أسيـراً ، فلما أخـذ أسيراً استشفـع فيه الحسن والحسين فخلىٰ الإمام علي (عليه السلام) سبيله فقالا له : يبايعـك يا أمير المؤمنين ؟ قال (عليه السلام): «أو لم يبايعني بعد قتل عثمان ! لا حـاجة لي في بيعتـه . إنها كفٌّ يهـودية لـو بايعني بيـده لغدر بسُبَّتـه . أما إنّ لـه إمرةً

---

(١) امتهنه : احتقره ، والامتهان الاحتقار .

(٢) الفقاس : فقس الطائر بيضه فقساً أي كسرها وأخرج ما فيها .

(٣) أنغله : أي أفسده .

(٤) جمهرة رسائل العرب : ١/٣٤٠ـ٣٤١ .

(٥) الامامة والسياسة : ١/٥٤ .

(٦) تاريخ الاحمدي /١٨١ .

كلعقة الكلب أنفَهُ وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأُمة منه ومن ولده يوماً أحمر[1] .

وللخبر زيادة وهي قوله (عليه السلام) : «يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صُدغاه[2] وإنَّ له إمرة»[3] .

والأكبش الأبعة بنو عبد الملك : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ولم يل الخلافة من بني أُمية ولا من غيرهم أربعة أخوة إلاَّ هؤلاء[4] .

وروي أنَّ علياً (عليه السلام) نظر إليه يوماً فقال له : ويلك وويل أُمة محمد منك ومن بنيك إذا ساءت درعك !»[5] .

وهرب مروان إلى الشام وانضم في صفوف جيش معاوية فكان إلى جانب معاوية في حربه علياً (عليه السلام) في صفين .

وذكروا أنَّ معاوية دعا مروان بن الحكم فقال : يا مروان إن الأشتر قد غمني[6] فاخرج بهذه الخيل فقاتله بها غداً . فقال مروان : أُدع لها عمراً فإنه شعارك دون دثارك . قال معاوية : وأنت نفسي دون وزيري[7] . قال مروان : لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء وألحقته بي في الحرمان ولكنك أعطيته ما في يدك ومنيتني ما في يدي غيرك فإن غلبت طابت المقام وإن غلبت خفَّ عليك المهرب . قال معاوية : يغني الله عنك . قال : أما اليوم فلا . فدعا معاوية عمراً فأمره بأمره فقال : أما والله لئن فعلت لقد قدمتني كافياً وادخلتني ناصحاً وقد غمك القوم في مصر فإن كان لا يرضيهم إلاَّ أخذها فخذها عليها

---

(١) نهج البلاغة : خطبة/٧٣ .
(٢) الصدغ : ما بين العين والأذن ويسمىٰ الشعر المتدلى عليه صدغاً .
(٣) شرح النهج : ٦/١٤٦ .
(٤) شرح النهج : ٦/١٤٧ .
(٥) أسعد الغابة : ٤/٣٤٨ .
(٦) الغمة : الكربة .
(٧) في وقعة صفين : «أنت نفسي دون وريدي» .

لعنة الله أما والله يا أمير المؤمنين إن مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبىٰ الله إلّا أن يقرّبنا إليك[1] .

وروي أنه اجتمع عند معاوية في ليالي صفين عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وابن طلحة الطّلَحات فقال عتبة : إن أمرنا وأمر علي لعجبٌ ، ليس منا إلا موتور مُحاجّ ، أما أنا فقتل جدي واشترك في عمومتي يوم بدر وأما أنتَ يا وليد فقتل أباك يوم بدر وأيتم اخوتك وأما أنت يا مروان فكما قال الأول :

وأفلتهنَّ عِلباءُ جريضاً ولو أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ

قال معاوية : هذا الإقرار فأين الغُيَر ؟ قال مروان : أيّ غُيَرٍ تريد ؟ قال : أريد أن يُشجر بالرماح . فقال : والله إنك لهازل ولقد ثقلنا عليك[2] .

وكان مروان جباناً داهية يحكم أمر الهروب والهزيمة عندما يشتد الوطيس وتدور رحى الحرب .

وكان مروان يكيد للحسن بن علي (عليه السلام) فقدم الحسن على معاوية مرة وأُخرىٰ مع ابن عباس فدارت بينهما محادثات عيّروا فيها مروان آثرنا نقلها على طولها .

فروي أنه قدم الحسن بن علي (عليه السلام) على معاوية ، فلما دخل عليه ، وجد عنده عمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والمغيرة بن شعبة ، وصناديد[3] قومه ، ووجوه اليمن وأهل الشام ، فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريره ، وأقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه ، فلما نظر مروان إلى ذلك حسده ، وكان معاوية قال لهما : لا تحاوروا هذين الرجلين ، فلقد قلّداكم العار وفضحاكم عند أهل الشام ـ يعني الحسن (عليه السلام) وعبد الله بن

---

(١) الامامة والسياسة : ١/١١٢ ، وقعة صفين /٤٩٩ .

(٢) وقعة صفين / ٤٧٥ .

(٣) الصنديد : السيد الشجاع .

عباس رضيَ الله عنه ـ فقال مروان : يا حسنُ ، لولا حلمُ أمير المؤمنين وما قد بنيٰ له آباؤه الكرام من المجد والعلاء ، ما أقعدك هذا المقعد ، ولقتلك وأنت لهذا مستوجب ، بقودك الجماهير فلما أحسستَ بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أُمية ، أذ عنت له بالطاعة ، واحتجزْتَ بالبيعة وبعثت تطلب الأمان ، أما والله لولا ذلك لأُريق دمك ، وعَلِمتَ أنَّا نُعْطِي السيوف حقها عند الوغىٰ ، فأحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية فعفا عنك بحلمه ، ثم صنع بك ما ترى .

فنظر إليه الحسن فقال : ويحك يا مروان : لقد تقلّدت مقاليد العارفي الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها . نحن : هبلتك الهوابل ـ لنا الحُجَجُ البوالغ ! ولنا ـ إن شكرتم ـ عليكم النِّعم السوابغ ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار ، فشتّان ما بين المنزلتين ! تفخر ببني أُمية ، وتزعم أنهم صُبُر في الحروب أسْدٌ عند اللقاء ، ثكلتك أُمّك ! أُولئك البهاليل السادة ، والحُماة الذادة[1] والكرام القادة ، بنو عبد المطلب ! أما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت ما هالتهم الأهوال ، ولم يحيدوا عن الأبطال ، كالليُوث الضارية الباسلة الحَنِقة ، فعندها ولَّيْتَ هارباً وأُخذت أسيراً ، فقلَّدت قومك العار ، لأنك في الحروب خوَّار[2] . أيراق دمي زعمت ! أفلا أرَقْتَ دمَ مَنْ وثب على عثمان في الدار ، فذبحه كما يذبح الجمل ، وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالأُمة اللكعاء[3] ! ألا دفعت عنه بيدٍ ، أو ناضلت عنه بسهم ! لقد ارتعدت فرائضك وغُشي بصرُك ، فاستغثت بي كما يستغيث العبد بربّه ، فأنجيتك من القتل ، ومنعتك منه . ثم تحث معاوية على قتلي ولو رام ذلك معك لذُبح كما ذبح ابنُ عفان . أنت معه أقصر يداً ، وأضيق باعاً ، وأجبن قلباً من أن تجسُر على ذلك ، ثم تزعم أني ابتليت

---

(١) ذاده عن كذا أي طرده ، وهنا الحماة الذادة أي المدافعون .

(٢) الخور : الضعف .

(٣) اللكع : اللئيم وقيل العبد الذليل النفس .

بحلم معاوية ، أما والله لهو أعرفُ بشأنه ، واشكرْ لما ولّيناه هـذا الأمر ، فمتىٰ بـدا له فـلا يُغْضِينّ جفنـه على القـذى[1] معـك ، فـوالله لأعقبّن أهـل الشـام بحبيش يضيق عنـه فضاؤهـا ، وتستأصـل فرسـانها ، ثم لا ينفعـك عنـد ذلـك الهـرب والرّوغـان[2] ، ولا يردّ عنـك الطلب تـدرّعُك بـالكـلام فنحن ممن لا يُجهل آباؤنا القدمَاء الأكابر ، وفروعنا السادة الأخيار ، أنطِق إن كنت صادقاً .

فقال عمرو : ينطقُ بالخنا وتنطق بالصدق . ثم أنشأ يقول :

قـد يَضـرِطُ العَيـرُ والمكـواةُ تـأخـذُهُ   لا يضـرُطُ العَيـرُ والمكـواةُ في النـار

ذق وبال أمرك يا مروان !

وأقبل عليه معاويةُ فقال : قد كنت نهيتُك عن هذا الـرجل ، وأنت تـأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك . اربـع[3] على نفسك ، فليس أبـوك كأبيـه ولا أنت مثله ، أنت ابن الـطريد الشـريد ، وهـو ابن رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) الكريم ، ولكن رُبَّ باحثٍ عن حتفه وحافر عن مُدْيَته[4] .

فقـال مروان : أرمِ من دون بيصتك ، وقم بحجّة عشيرتـك . ثم قـال لعمـرو : طعنـك أبـوه ، فـوقيت نفسـك بخُصييـك ، فلذلـك تحـذرهُ . وقـام مغضباً . فقال معـاوية : لا تُجـاور البحورَ فتغمُـرَك ، ولا الجبالَ فتبهـرك[5] ، واسترح من الاعتذار[6] .

وفي المحاسن والمساوىء: أتىٰ الحسنُ بن علي (عليه السلام) معاويه بن أبي سفيـان وقد سبقـه ابن عباس ، فـأمر معـاوية فـأنـزِل ، فبينـا معـاويـة مـع

---

(١) القذى : ما يسقط في العين والشراب .

(٢) راغ إلى كذا مال إليه سرّاً ويراد به الاحتيال .

(٣) أربع : توقف .

(٤) المدية : الشفرة .

(٥) بهره : غلبه .

(٦) المحاسن والمساوي : ١/١٣٣ ـ ١٣٦ .

عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبي سفيان[1] يتحاورون في قديمهم وحديثهم ومجدهم ، فقال معاوية : أكثرتم الفخر فلو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس لقصّرا من أعنّتكما ما طال . فقال زياد : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ ما يقومان لمروان بن الحكم في غرْب[2] منطقه ولا لنا في بواذخنا ، فابعث إليهما في غدٍ حتىٰ تسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو : ما تقول ؟ قال : هكذا ، فابعث إليهما في غدٍ .

فبعث إليهما معاوية إبنه يزيد . فأتياه ودخلا عليه وبدأ معاوية فقال : إني أُجلّكما وأرفع قدركما عن المسامرة في الليل ، ولا سيما أنت يا أبا محمد ، فإنك ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة . فشكّرا له .

فلما استَوَيا في مجلسهما وعلم عمرو أن الحِدَّة ستقع به قال : والله لا بُدَّ أن أقول فإن قَهرتُ فسبيلُ ذلك وإن قُهِرتُ أكون قد ابتدأت . فقال : يا حسن : إنا تفاوضنا فقلنا : إن رجال بني أُمية أصبر عند اللقاء وأمضىٰ في الوغىٰ ، وأوفىٰ عهداً ، وأكرم خِيماً ، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب .

ثم تكلّم مروان فقال : وكيف لا نكون كذلك . وقد قارعناكم فغلبناكم ، وحاربناكم فملكناكم فإن شئنا عفونا ، وإن شئنا بطشنا !

ثم تكلم زياد فقال : ما ينبغي لهم أن يُنكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير في مظانّه ، نحن أهلُ الحَمْلة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً .

فتكلّم الحسن (عليه السلام) فقال : ليس من العجز أن يصمُتَ الرجلُ

---

(١) زياد بن أبيه وهو ابن عبيد وليس ابن أبي سفيان لقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وكان عبيد زوجاً لسمية .وواقعها أبو سفيان سفاحاً .

(٢) الغرب : حدة اللسان .

عند إيراد الحجّة ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا[1] ، ويُصوِّر الباطل بصورة الحق . يا عمرو ، إفتخاراً بالكذب وجراءة على الإفك ! ما زلت أعرف مثالبك[2] الخبيثة ، أبديها مرة وأمسك عنها أخرىٰ ، فتأبىٰ إلّا انهماكاً في الضلالة . أتذكر مصابيح الدجىٰ وأعلام الهدى ، وفرسان الطّراد ، وحتوف[3] الأقران ، وابناء الطّعان ، وربيع الضّيفان ، ومعدن النبوّة ومهبط العلم ! وزعمتم أنّكم أحمىٰ لما وراء ظهوركم ، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت[4] الأبطال وتساوَرَت[5] الأقران واقتحمت اللّيوث واعتركت المنيّة ، وقامت رحاها على قُطْبها ، وافترَّتْ على نابها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ومنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على ذراريّكم ، فكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد مناف ثم قال : وأما أنت يا مروان ، فما أنت والإكثار من قريش ، ! وأنت طليق ، وأبوك طريد ، يتقلّب من خزاية إلى سوءة ، ولقد جيء بك إلى أمير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضّرغام[6] قد دَمِيَتْ براثنُه[7] ، واشتبكت أنيابه كنت كما قال :

ليث إذا سمع الليوثُ زئيره بَصْبَصَن[8] ثم قذفن بالأبعار

فلما منَّ عليك بالعفو ، وأرخىٰ خناقك بعد ما ضاق عليك وغَصِصتَ بريقك ، لم تقعد منا مقعد أهل الشكر ، ولكن تساوِيْنا وتجارِيْنا ، ونحن ممن لا يدركنا عار ، ولا يلحقنا خزاية . ثم التفت إلى زياد فقال : وما أنت يا زياد وقريشاً ! لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ، ولا قديماً ثابتاً ، ولا

---

(١) الخنا : القبيح من الكلام .

(٢) المثالب : العيوب .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) النكوص : الاحجام عن الشيء يقال نكص على عقبيه رجع .

(٥) تسور : تسلّق .

(٦) الضرغام : الأسد .

(٧) البراثن من السباع كالأصابع من الإنسان .

(٨) تبصبص : أي حرّك ذنبه .

منبْتاً كريماً بل كانت أُمك بغياً تداولها رجال قريش وفُجّار العرب ، فلما وُلِدْتَ لم تعرف لك العرب والداً ، فادّعاك هذا ـ يعني معاوية ـ بعد ممات أبيه مالك افتخار ! تكفيك سُمَيّة ، ويكفينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأبي علي بن أبي طالب سيد المؤمنين الذي لم يرتدَّ على عقبيه وعمّي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيّار ، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنة .

ثم التفت إلى ابن عباس فقال : يا ابن العمّ : إنما هي بُغاث[1] الطير انقضّ عليها أجدل[2] فأراد ابن عباس أن يتكلّم فأقسم عليه معاوية أن يكُفّ فكفّ ثم خرجا .

فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام لولا أن حجّته دُحِضَتْ ، وتكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت إلى زياد وقال : ما دعاك إلى محاورته ! ما كنت إلا كالحَجل في كفّ البازي فقال عمرو : ألا رميت من ورائنا : قال معاوية : إذاً كنت شريككم في الجهل ! أأفاخِرُ رجلاً رسول الله جدّه ، وهو سيد من مضىٰ ومن بقي ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ! ثم قال لعمرو : والله لئن سمع به أهل الشام لهيَ السَّوءة السَّوآء ، فقال عمرو : لقد أبقىٰ عليك ولكنه طحن مروانَ وزياداً طحن الرَّحا بثفالها[3] ، ووطئها وطء البازل[4] القُرادَ بمنسَمِه[5][6] .

ولا زال مروان بن الحكم مع معاوية حتىٰ تمَّ الأمر لمعاوية بعد صلحه مع الإمام الحسن فولّاه معاوية البحرين[7] والمدينة ثم جمع له إلى المدينة مكة والطائف ، ثم عزله عن المدينة سنة ثمان وأربعين ثم ولّاه المدينة مرة

---

(١) بغاث الطير سرارها .

(٢) الأجدل : الصقر .

(٣) الثفال : الجلد الذي يبسط تحت الرحا ليقي الطحين من التراب .

(٤) البازل : البعير إذا دخل في السنة التاسعة .

(٥) المنسم : الخف في البعير .

(٤) المحاسن والمساويء : ١/١٢٢ ـ ١٢٥ .

(٧) أنساب البلاذري : ق ٥/١٢٦

أخرىٰ بعد عـزل سعيد بن أبي العـاص[1] وكانت إمـرة المدينـة يتناوب عليهـا سعيد بن العاص ومروان بن الحكم فكلما عزل أحدهما ولّاها الآخر .

وذكـر أنه في سنـة أربع وخمسين عـزل معـاويـة سعيـد بن العـاص عن المدينة واستعمل مروان وكان سبب ذلك أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ويقبض منـه فدك وكـان وهبها له فراجعه سعيـد بن العاص في ذلـك فأعـاد معاويـة الكتاب بـذلك فلم يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده فعزلـه معاويـة وولى مروان وكتب إليـه يأمـره بقبض أموال سعيدٰ وهدم داره فأخذ الفَعَلَة وسار إلى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك أتهـدم داري ؟ قال : نعم ، كتب إليَّ أميـر المؤمنين ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت ، قال : ما كنتُ لأفعل ، قال : بلى والله ، قال : كلا ، وقال لغلامه : ائتني بكتاب معاوية فجاءه بالكتابين فلما رآهمـا مروان قال : كتب إليـك فلم تفعل ولم تعلمني ! فقـال سعيد : مـا كنت لأمُنّ عليك وإنما أراد معاوية أن يحّرض بيننا فقال مروان : أنت والله خير مني[2] .

ونقـل عن عمير بن إسحـاق : كان مـروان أميراً علينـا ست سنين فكـان يسب[3] عليا رضي الله عنه كل جمعة على المنبر ثم عزل بسعيد بن العاص فبقي سعيد سنتين فكان لا يسبه ثم أعيد مروان فكان يَسبّه فقيل للحسن ألا تسمع ما يقـول هذا ! فجعـل لا يـردّ شيئاً . قـال : وكـان الحسن يجيء يـوم الجمعـة ويـدخل في حجـرة النبي (صلّىٰ الله عليه وآلـه وسلّم) فيقعد فيهـا فإذا قضيت الخطبة خرج فصلى فلم يرض بذلك حتىٰ أهداه له في بيته . قال : فإنّا لعنـده إذ قيل فلان بالباب قال : أئذن له فوالله إني لأظنه قد جاء بشر فأذن له فـدخل فقـال : يا حسن إني جئتـك من عند سلطان وجئتـك بعزمـه ، قـال : تكلم ،

---

(١) الإصابة : ٦/١٥٧ .

(٢) الكامل لابن الأثير : ٣/٣٤٤ ط دار الكتب العلمية .

(٣) قال بعض العلماء لولده : يا بني إن الدنيـا لم تبن شيئاً إلا هـدمه الـدين وإن الدين لم يَـبنِ شيئاً فهدمته الدنيا ألا ترى أن قوماً لعنوا علياً ليخفضوا منه فكـأنما أخـذوا بناصيتـه جراً إلى السماء . العقد الفريد ٤/٣٦٦ .

قالَ : أرسل مروان ويك بعلي ويعلي ويكِ بعلي ويك ويك وما وجـدت مثلك إلا مثل البغلة يُقال لها من أبوك فتقـول أمي الفرس قـال : أرجع إليـه فقل لـه إني والله لا أمحو عنك شيئاً مما قلت فلن اسبـك ولكن موعـدي وموعـدك الله فإن كنت صادقا فجزاك الله بصدقك وإن كنت كاذباً فالله أشـد نقمة وقـد أكرم الله جدي أن يكون مثله ـ و قال مثلي ـ مثل البغلة . فخرج الرجـل فلما كـان في الحجـرة لقى الحسين فقال : مـا جئت به ؟ قـال : رسـالـة ، قـال : والله لتخبرني أو لأمرنّ بضربك فقال : ارجع فلما رآه الحسن قال : أرسله ، قال : إني لا أستطيع ، قال : لِمَ ؟ قال : إني قـد حلفت ؟ قال : قـد لجّ فـأخبره ، فقـال : أكل فلان بظر أمـه إن لم يبلغه عني مـا أقول لـه : ويل لـك ولأبيـك وقومك وآية بيني وبينك أن يمسك منكبيك من لعنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . قال : فقال وزاد(١) .

وكـان المسلمون لا يسمعـون كلام مـروان فبدّل أحكـام الله تعـالى ومن ذلـك تقديم الخـطبة في صـلاة العيدين على الصلاة(٢) وكان رسـول الله يبدأ بالصلاة أولاً .

روي عن أبي سعيـد الخـدري : إن رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) كان يخرج يوم الأضحىٰ ويوم الفـطر فيبدأ بـالصلاة فـإذا صلّى صلاتـه وسلّم قام فأقبل على الناس وهم جلوس في مصلاهم فإن كان له حـاجة ببعث ذكـره للناس أو كـانت له حـاجة بغيـر ذلك أمـرهم بها وكـان يقول «تصـدقـوا تصدقوا تصدقوا» وكان أكثر من يتصدق النساء ثم ينصرف فلم يزل كذلك حتىٰ كان مروان بن الحكم فخرجت مخاصراً مروان حتىٰ أتينا المصلى فإذا كثيـر بن الصلت قد بنى منبراً من طين ولبن فـإذا مروان ينـازعني يده كـأنه يجـرني نحو المنبر وأنا أجـرّه نحو الصـلاة فلما رأيت ذلـك منه قلت أين الابتـداء بالصـلاة

(١) تاريخ الإسلام : ٣/٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) إنما قدم الخطبة لأنه كان يسَب علياً فيها فلا ينتظر الناس خطبته بل ينفضوا بعد الصلاة مباشرة .

فقـال : لا يا أبـا سعيد ! قـد ترك مـا تعلم قلت : كلا والـذي نفسي بيده ! لا تأتون بخير مما أعلم (ثلاث مرات ثم انصرف)[1] .

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً قال : كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يخرج يوم الفطر والأضحىٰ إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصـرف فيقوم مقـابل الناس والنساء جلوس في صفـوفهم فيعـظهم ويـوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يـأمر بشيء أمـر به ثم ينصـرف . قال أبو سعيد : فلم يزل النـاس علىٰ ذلك حتىٰ خـرجت مع مـروان وهو أميـر المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فـإذا مروان يريد ان يرتقيه قبل أن يصلي فجبذت ثوبه فجبذني فـارتفع فخـطب قبل الصلاة فقلت له : غيَّرتم والله فقال : أبـا سعيد قـد ذهب ما تعلم فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم فقال إن الناس لم يكونوا يجلسـون لنا بعـد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[2] .

وكان من بغض مروان بن الحكم للحسن (عليه السلام) فتنتـه حين دفن الحسن (عليه السلام) بعد وفاته فإنه (عليه السلام) كان قد أوصىٰ أن يدفن مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فمنع مروان بن الحكم من ذلك وركبت بنـو أمية في السـلاح وجعل مـروان يقول : يـا رب هيجا هي خيـرٌ من دَعـه ، أيـدفن عثمان في أقصىٰ البقيـع ويدفن الحسن في بيت رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ؟ والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمـل السيف ، فكادت الفتنـة تقع ، وأبىٰ الحسين أن يدفنه إلاّ مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال له عبد الله بن جعفر : عزمت عليك بحقي ألاّ تكلم بكلمـة فمضىٰ به إلى البقيـع وانصرف مروان بن الحكم[3]

---

(1) صحيح مسلم . ٢/ ٦٠٥ ، حديث / ٨٨٩ .
(2) صحيح البخاري : ١/ ٣٢٦ ، حديث/ ٩١٣ .
(3) مقاتل الطالبين / ٨١ ـ ٨٢ ، وراجع الكامل : ٣/ ٣١٥ ، تاريخ الأحمدي / ٢١٧

وروي أنه لطم عبد الرحمن بن الحكم[1] مولى لأهل المدينة حنّاطاً وأخوه مروان والٍ يومئذٍ لأهل المدينة فاستعداه الحنّاط عليه فأجلسه مروان بين يديه وقال له : ألطمه ـ وهو أخو مروان لأمه وأبيه ـ فقال الحنّاط : والله ما أردت هذا وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرني عليه وقد وهبتها لك قال : لست أقبلها منك فخذ حقك فقال : والله لا ألطمه ولكني أهبها لك فقال له مروان : إن كنت ترى إن ذلك يسخطني فوالله لا أسخط فخذ حقك فقال : قد وهبتها لك ولست والله لاطِمَه قال : لست والله قابلها فإن وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عزّ وعلا فقال : قد وهبتها لله تعالى فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان :

كلُّ ابنِ أم زائدٌ غير ناقصٍ وأنت ابن أمٍّ ناقص غير زائدِ
وهبتُ نصيبي منك يا مَرْو كلَّه لعمروٍ وعثمان الطويل وخالدِ[2]

ومن أخباره مع أخيه عبد الرحمن : أنه روي أنه كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذا مشى يتكفأ وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه فالتفت النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فرآه يفعل كذلك فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : فكذلك فلتكن فكان الحكم مختلجاً فعيّر عبد الرحمن بن حسان[3]

---

(1) عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص شاعر أموي ، ماجن ، شهد الدار هو واخوه مروان . وهو القائل لمعاوية حين ألحق زياداً بأبيه :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل الهجان
أتغضب أن يُقال أبوك عفٌّ وترضىٰ أن يُقال أبوك زانِ
فأشهد أنّ رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الأتان

ولمّا جيء برأس الحسين بن علي (عليه السلام) كان حاضراً عند يزيد فقال :

سمية أمسىٰ نسلها عدد الحصىٰ وبنت رسول الله ليس لها نسل !

فشتمه يزيد وأسكته .

(2) الأغاني : ١٣/٢٦٧ .

(3) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي شاعر ابن شاعر كان مقيماً في المدينة وتوفي بها . أشتهر بالشعر زمن أبيه قال حسان :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت ؟

عبد الرحمن بن الحكم فلما أهذرا[1] في التهاجي كتب معاوية إلى سعيد بن العاص وهو يومئذٍ عامله على المدينة أن يجلد كل واحد منهما فلم يقدم على ذلك فلما قدم مروان عاملاً على المدينة ـ وكان معاوية يولي سعيداً سنة ومروان سنة ـ جلد عبد الرحمن مائة سوط وترك أخاه فكتب عبد الرحمن للنعمان بن بشير[2] وكان في الشام يعاتبه فدخل النعمان بن بشير على معاوية وقال : كتبت إلى سعيد أن يضرب ابن الحكم وابن حسان فلم يفعل فلما قام أخوه مروان ضرب ابن حسان وترك أخاه ، قال : فما تريد ؟ قال : أريد أن تضربه كما كتبت وكما كنت أمرت . فلما بلغ ذلك مروان بعث إلى عبد الرحمن بن حسان ـ وهو في السجن ـ أني مخرجك واعتذر إليه فقال ابن حسان : ما بدا لابن الزرقاء في هذا ؟ والله ما هذا إلاّ لشيء قد جاءه وأبى أن يقبل منه مبلّغ الرسول مروان فبعث إله بالحُلّة التي بعثها إليه معاوية فلم يقبل عبد الرحمن وطرحها في الحش[3] فقيل له : حلّة أمير المؤمنين ترمي بها في الحش؟ قال: وما أصنع بها، وعرف عبد الرحمن الخبر فبعث مروان الأنصار أن يطلبوا إليه أن يضرب عبد الرحمن بن الحكم خمسين سوطاً فقبل بذلك ، فلما خرج من السجن غرّه بعض الناس فقال له : ضربك مائة وتضربه خمسين فقال : إنه عبد وإنما ضربته ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر ، فشاع الخبر في المدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه وأتى أخاه مروان فقال له : فضحتني لا حاجة لي فيما تركت ، فبعث مروان إلى ابن حسان : لا حاجة لنا فيما تركت هلم فاقتصّ فضرب ابن الحكم خمسين أخرى[4]

---

(١) أهذر في كلامه أكثر فيه ، والمهذار كثير الكلام .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، صحابي ، وجّهته نائله زوجة عثمان بقميص عثمان إلى معاوية فنزل الشام وشهد صفين وولي القضاء بدمشق واستعمله معاوية على اليمن ثم الكوفة ثم حمص إلى وفاة يزيد فبايع لابن الزبير فلما تمرد أهل حمص هرب فاتبعه خالد بن خليّ الكلاعي فقتله وبعث برأسه إلى مروان بن الحكم وقيل أنه قتل يوم مرج راهط .

(٣) الحش : الموضع لقضاء الحاجة .

(٤) انظر الأخبار الموفقيات ص ٢٥٧ بتلخيص .

عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيله فمرّ به فرس فقال له : كيف تراه ؟ فقال : هذا سابح[1] ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالة ، ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجش[2] هزيم[3] ، فقال له معاوية : قد علمتُ ما تريد إنما عرضت بقول النجاشي[4] فيَّ :

ونجّىٰ ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالة أجشُّ هزيمٌ والرماحِ دوانِ
سليم الشّظى عَبْلُ الشوى شنج النَّسا كسِيدِ الغَضَى باقٍ على النسلانِ

اخرج عني فلا تساكني في بلد ، فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية وقال له عبد الرحمن : وحتىٰ متىٰ نستذل ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك فأخذ يقول :

أتقطر آفاق السماء لنا دماً إذا قلت هذا الطِّرف أجردُ سابحُ
فحتى متىٰ لا نرفع الطرف ذلةً وحتىٰ متى تعيا عليك المنادحُ

فدخل مروان على معاوية فقال مروان : حتىٰ متىٰ هذا الاستخفاف بآل أبي العاص ؟ أما والله لتعلم قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

---

(١) السابح : الجواد .

(٢) الأجش : الغليظ الصوت من الإنسان والخيل .

(٣) العزيم : الفرس الشديد الصوت .

(٤) قيس بن عمرو بن مالك أحد بني الحارث بن كعب وسمي النجاشي لأن أمه حبشية كان شاعر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وله مواقف مشهودة يوم صفين لكنه غضب على علي (عليه السلام) ولحق بمعاوية وكان النجاشي قد شرب في أول يوم رمضان الخمر دعاه إليها أبو سمّال الأسدي فضربه علي (عليه السلام) الحدّ فغضب اليمانية وكان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب بن أُسامة النهدي فغضب له فلحقا بمعاوية معاً فهجا النجاشي علياً .

ألا من مبلغٌ عني علياً بأني قد أمنتُ فلا أخاف
عمدت لمستقر الحق لمَّا رأيت قضيةً فيها اختلاف

أما طارق فردَّ على معاوية في كلام طويل له ولم ينل من علي (عليه السلام) فبلغ علي (عليه السلام) مقالة طارق وما قال لمعاوية فقال : لو قتل أخو بني نهد يومئذٍ لقتل شهيداً انظر الغارات ٣٧٤ ـ تحقيق السيد الحسيني الخطيب .

فينا[١] ، ولقلَّ ما بقي من الأجل فضحك معاوية وقال : لقد عفوت لك عنه يـا أبا عبد الملك[٢] .

ولمّا ادعىٰ معاوية زياداً[٣] وآثـر عمرو بن العاص على أهل بيتـه وقرَّبهما دونهم جزع بنو أمية من ذلك جزعاً شديداً واجتمعـوا في ذلك فـأتوا مـروان بن الحكم في بيته وقد كتب له معاوية عهده على المدينة وأمره أن يسير يومه ذلك فقال القوم : يا مروان إنك شيخنا وكبيرنا وقد ترى ما ركبنا معاوية من أمرٍ ليس لنا عليه صبر ولا قرار ولا ينام عن مثله الأحرار إدخاله فينا من ليس منا يريد أن يدخله على حُرَمنا ونسائنا وقد اجْتمع رأينا على أن تأتيه فتعاتبه فـإن رجع قبلنـا وإن أبىٰ اعتزلنا فقال مروان : قد والله كلمته في هذا الأمر مـرة فلم يجبني إلى شيء ممـا أحب بـل يـظهـر لي التعتب والتغضب ويـزعم أني في هـذا الأمـر أوحد . فقال له سعيد بن العاص : يا مروان بل والله تحامي على عهدك فقـال مـروان : والله لصلاحكم في فسـاد عهدي أحب إليَّ من فسـادكم في صـلاح عهدي فأتوه فإنـه رجل لـه إرب[٤] ونظر فكلِّمـوه بملء أفـواهكم[٥] . فانـطلق

---

(١) يعني قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلاً اتخذوا مـاله دولاً وعباده خولاً» .

(٢) الأغاني : ١٣/٢٦٨ .

(٣) زياد بن أبيه ، من الـطائف ، اسلم في عهد أبي بكـر وكان كـاتباً للمغيـرة بن شعبة ثم لأبي موسى الأشعري أيـام إمرتـه على البصرة ثم ولّاه علي (عليـه السلام) إمـرة فارس فلما استشهد علي (عليه السلام) امتنع على معاوية فاظهر معاويـة أنه ظهـر له أنـه أخوه لابيـه فنسبه لأبي سفيـان سنـة ٤٤ هـ . وكـانـت أم زيـاد جـاريـة تـدعى سمية كـانت للحارث بن كلدة الثقفي فزوجها لعبد لـه رومي يُقال لـه عبيد فـولدت سمية زياداً على فراشه وكان أبو سفيان قد سار في الجاهليـة إلى الطائف فنـزل على إنسان يبيـع الخمر يُقال له أبو مريم فقال له أبو سفيان قد إشتهيت النساء فقال أبو مريم هل لـك في سمية فقال أبو سفيـان هاتهـا على طول ثـديها ووفر بطنهـا فوقـع عليها فيقـال إنها علقت منه بزياد ، وقد حضر أبـو مريم عنـد معاويـة لمّا أراد إلحـاق زياد فشهـد فقال : إني رأيت إستي سمية يقطران من مني أبي سفيان .

(٤) الإرب : الدهاء .

(٥) الأخبار الموفقيات / ١٧٥ .

القوم إلى معاوية يريدون معاتبته فلما إنتهى بهم المجلس جلسوا عنده وأظهروا جزعهم ثم دخل مروان عند جلوس القوم فقال معاوية : هيه يا مروان ؟ قال : يا أمير المؤمنين هل ترى ما مثلُنا ومثَلُك ؟ قال : هات تخطيطاً كتخطيط أصحابك .

قال : إن عدي بن زيد العبادي نصح النعمان بن المنذر وقدمه على إخوته واشار على كسرى بولايته فكان جزاؤه منه أن حبسه في السجن فكتب إليه وهو محبوس :

أبا منذر جازيت بالودّ بغضةً	فماذا جزاء المبغض المتبغض
مجازاتُه في ذا المثال كراهةً	ولست لشيء بعدُ بالمتعرِّض

وأعلم أنا غير متعرضين لشيء من معاتبتك في هذا الأمر بعد اليوم فإن ترجع قبلنا وإن تأب سخطنا مع إنك والله يا أمير المؤمنين ـ لو قدرت أن تتكثر بالذبح على آل أبي العاص لفعلت توحشاً منك لعددهم وتكرهاً منك لجمعهم وتبرماً منك بهم . وأيمُ الله ما ذاك جزاؤهم منك . لقد آثروك وأكرموك فما كافيت ولا جازيت ولا آسيت . ثم جلس مروان(١) .

وبعد أن عزم معاوية على أخذ البيعة ليزيد بعد وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) بعث إلى الآفاق وكان مروان بن الحكم واليه على المدينة فكتب إليه أن يبعث على قريش ثم يبايعوا ليزيد ، فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبىٰ من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية : إن قومك قد أبو إجابتك إلى بيعتك إبنك فَرَ رأيك فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف أن ذلك من قبله ، فكتب إليه أن يعتزل عمله ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية أقبل مغاضباً في أهل بيته وناس كثير من قومه حتىٰ نزل بأخواله بني كنانة فشكا إليهم وأخبرهم بالذي كان من رأيه في أمر معاوية وفي عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة ، فقالوا: نحن نَبْلُك في يدك

---

(١) الأخبار الموفقيات/ ١٧٩ .

وسيفك في قرابك فمن رميته بنا أصبناه ومن ضربته بنا قطعناه ، الرأي رأيك ونحن طوع من يمينك . ثم أقبل مروان في وفد كثير ممن كان معه من قومه وأهل بيته حتىٰ نزل دمشق ، فخرج فيهم حتىٰ أتى سدة معاوية وقد أذن للناس فلما نظر الحاجب إلى كثرة من معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا إليه فضربوا وجهه حتىٰ خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتىٰ إذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة : إن الله عظيم خطره ، لا يقدر قادر قدره ، خلق من خلقه عباداً جعلهم لدعائم دينه أوتاداً هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد ، أسفر بهم الظُّلَم ، وألف بهم الدين وشدد بهم اليقين ، ومنح بهم الظفر ، ووضع بهم من استكبر فكان من قبلك من خلفائنا يوفون ذلك في سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة اخوانا ، وعلى من خالف عنها أعواناً ، يشدّ بنا العضد ، ويقام بنا الأود[1] ونستشار في القضية ونستأمر في أمر الرعية وقد أصبحنا اليوم في أمور مستحيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بأزمة الضلال وتجلس بأهواء الرجال يؤكل جزورها وتمق أحلابها[2] فما لنا لا نستأمر في رضاعها ونحن فطامها وأولو فطامها وأيم الله لولا عهود موكدة ، ومواثيق معقدة لأقمت أود وليها فأقم الأمر يا ابن سفيان واهدىء من تأميرك الصبيان واعلم أنَّ لك في قومك نظراء ، وأن لهم على مناوأتك وزراءً .

فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً، ثم كظم بحلمه وأخذ بيد مروان ثم قال: إن الله قد جعل لكل شيء أصلاً، وجعل لكل خير أهلاً، ثم جعلك في الكرم مني مَحتِداً، والعزيز مني والداً، اخترت من قروم[3] قادة ثم استللت سيد سادة، فأنت ابن ينابيع الكرم فمرحباً بك وأهلاً من ابن عم ذكرت خلفاً مفقودين، شهداء صدِّيقين، كانوا كما نعت، وكنت لهم كما ذكرت، وقد

---

(١) الاود : الاعوجاج .

(٢) يُقال : مقَّ الضرع : مصّه شديداً حتى لم يبق من لبنه شيئاً .

(٣) القروم جمع قرم وهو السيد .

أصبحنا في أمور مستحيرة ذات وجوه مستديرة ، وبك والله يا بن العم نرجوا استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتىٰ يتطاطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فأنت نظير أمير المؤمنين بعده ، وفي كلّ شدة عضده ، وإليك عهد عهده فقد وليتك قومك وأعظمنا في الخراج سهمك وأنا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى أمير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك . فكان أول ما رزق ألف دينار في كلّ هلال وفرض له في أهل بيته مائة مائة[1] .

وفي البدء والتأريخ : إن أول من بايع ليزيد معاوية وكتب إلى مروان بن الحكم بأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد عليه اللعنة فغضب مروان إذ لم يجعل إليه الأمر فسار إلى الشام فكلّمه وجعله وليّ عهد يزيد بعده وردّه إلى المدينة[2] .

ثم إن معاوية لَمّا عزل مروان بن الحكم عن إمرة المدينة والحجاز وولى مكانه سعيد بن العاص وجه مروان أخاه عبد الرحمن بن الحكم إلى معاوية وقال له : ألقه قبلي وعاتبه لي واستصلحه .

وقد روي أن عبد الرحمٰن كان بدمشق يومئذٍ فلما بلغه خبر عزل مروان وقدومه إلى الشام خرج وتلقّاه وقال له : أقم حتىٰ أدخل ألى أخيك فإن كان عزلك عن مَوْجِدة[3] دخلت إليه منفرداً وإن كان عن غير موجودة دخلت إليه مع الناس فأقام مروان ومضىٰ عبد الرحمن فلما قدم على معاوية دخل إليه وهو يُعشّ الناس فأنشده :

أتتك العيس تنفخ في بُراها[4] تكشّفُ عن مناكبها القطوعُ
بأبيض من أمية مضرحيٍ كأن جبينه سيفٌ صنيعُ

فقال له معاوية : أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكابراً ؟ فقال : أي ذلك

---

(١) الامامة والسياسة : ١/١٧٥ ـ ١٧٧

(٢) البدء والتأريخ : ٦/٦

(٣) الوجد . الغضب .

(٤) البُرى : الحلقة توضع في أنف البعير لتشد بها النُسوع .

شئت ! فقال : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنَّ له فقال له : على أي ظهرٍ جئتنا ؟ فقال : على فرس ، قال : ما صفته ؟ قال : أجش هزيم ـ يعرِّض بقول النجاشي في معاوية يوم صفين :

ونجّى ابن حرب سابح ذو عُلالةٍ   أجشُّ هزيمٌ والرماح دواني[1]
إذا قلت أطراف الرماح تنالُه   مَرَتْهُ له السّاقان والقدمان[2]

فغضب معاوية وقال : ألا أنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرِّيب ، ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب بعد هجعة الناس على كنائنه ـ وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه ـ فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ؟ ألخيانةٍ أوجبت ذلك أم لرأي رأيته ولتدبير استصلحته ؟ قال : بل لتدبير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك ، فخرج من عنده فلقي أخاه مروان فأخبره بما دار بينه وبين معاوية فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبَّحك الله ما أضعفك ! عرَّضت للرجل بما أغضبه حتىٰ إذا انتصر منك أجحمت عنه ، ثم لبس حُلَّته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين في وجهه الغضب : مرحباً بأبي عبد الملكُ ! لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك فقال : لا ، ها الله ما زرتُك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك إلاَّ عاقاً قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من عبد شمس لآل أبي العاص والصِّهر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والخلافة فيهم فوصلوكم يا بني حرب وشرَّفوكم وولُّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتىٰ إذا وليتم وأفضىٰ الأمر إليكم أبيتم إلا إثرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة فرويداً رويداً ! فقد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وإنما هي أيام قلائل حتىٰ يكملوا أربعين[3] ثم يعلم امرؤ ما يكون منهم حينئذٍ ثم هم للجزاء بالحسنى والسوء بالمرصاد .

---

(١) الأجش : الغليظ الصوت من الناس والخيل ، والهزيم : الشديد الصوت .

(٢) مرته : أي أبعدته الساقان والقدمان بشدة وكزه لها .

(٣) اشارة إلى الحديث المروي عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلاً اتخذوا مال الله دُوَلاً وعبد الله خولا» .

فقال له معاوية : مهلاً يا أبا عبد الملك إني لم أعـزلك عن خيانةٍ وإنما عزلتك لثلاثة لو لم يكن منهن إلاّ واحدة لأوجبت عزلك : إحـداهن إني أمَّرْتُـكَ على عبـد الله ابن عامـر وبينكما مـا بينكما فلن تستـطيع أن تشتفي منـه ، والثـانيـة كـراهيتك لإمـرة زياد والثـالثة أن إبنتي رملة إستَعْـدتك على زوجهـا عمـرو بن عثمـان فلم تُعْدِهـا[1] . فقال مـروان : أما ابن عـامر فـإني لا أنتصـر منـه في سلطاني ولكن إذا تساوت الأقدام علم اين موقعه ، وأما كراهتي لإمرة زياد فإن سائر بني أُمية كرهوه ، وجعل الله لنا في ذلك الكـره خيراً كثيـراً وأما استعـداء رملة على عمرو فوالله إنـه ليأتي عليَّ سنـة أو أكثر وعنـدي بنت[2] عثمان فمـا أكشف لها ثوبـاً ـ يعرِّض بـأن رملة إنما تستعـدي على عمرو بن عثمـان طلب النكاح ـ فغضب معاوية فقال : يا ابن الوزغ لست هناك فقال مـروان : هو مـا قلت لك وأني الآن لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولـد أبي العاص أن يكملوا العدة ـ يعني أربعين ـ ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني فانخزل[3] معاوية وقال :

فــإن أكُ في شـراركم قليــلا	فــإني في خيـاركم كـثيـر
بغـاث الطيـر أكثـرهـا فـراخـاً	وأم الصقـر مـقـلات نــزور

ثم استـخذى معاوية في يد مـروان وخضع وقـال له : لـك العتبى وأنا رادك إلى عملك فوثب مروان وقال : كلا وعيشك لا رأيتني عائداً ! فخرج .

فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سقطة مثلها ! ما هذا الخضوع لمـروان ! وأي شيء يكـون منـه ومن بني أبيـه إذا بلغـوا أربعين ؟ ومـا الـذي تخشاه منهم ؟ فقال : إدنُ مني أُخبرك ذلك ، فدنا الأحنف منـه فقال لـه : إن الحكم بن أبي العـاص كان أحـد من قـدم مـع اختي أُم حبيبـة لمـا زفت إلى

---

(١) أي تنصرها .

(٢) يقصد أُم أبان بنت عثمان بن عفان .

(٣) انخزل : يُقال انخزل عن جوابه أي لم يعبأ به .

رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو يتولى نقلها إليه فجعل رسول الله يحدُّ النظر إليه فقال : ابن المخزومية ذاك رجل إذا بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي ، فوالله لقد تلقّاها مروان من عينٍ صافية . فقال الأحنف : رويداً يا أمير المؤمنين لا يسمع هذا منك أحد فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وإن يقض الله أمراً يكن . فقال معاوية : اكتمها يا أبا بحر عليَّ إذاً فقد لعمرك صدقت ونصحت[1] .

فلما توفي معاوية بن أبي سفيان وتمَّ الأمر بعده لولده يزيد كتب يزيد إلى واليه على المدينة وكان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ له البيعة من الحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر فلما ورد الكتاب على الوليد خاف الفتنة فبعث إلى مروان بن الحكم فأقرأه الكتاب واستشاره فقال له مروان : أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر فلا تخافن ناحيتهما فليسا بطالبين شيئاً من هذا الأمر ولكن عليك بالحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فابعث إليهما الساعة فإن بايعا وإلّا فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما ناحية ويظهر الخلاف[2] .

فأما الحسين (عليه السلام) فإنه مشىٰ إلى الوليد ومعه من مواليه وغلمانه فأقرأه الوليد الكتاب فرفض البيعة وقال : إن مثلي لا يبايع سراً ، وكان الوليد يحب العافية فقال للحسين : إنصرف إذن حتىٰ تأتينا مع الناس ، فانصرف الحسين عليه (عليه السلام) فقال مروان للوليد : عصيتني ووالله لا يمكّنك من مثله أبداً ، قال الوليد : ويحك اتشير عليَّ بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ؟ والله إن الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله[3] .

وكان مروان شديد البغض لآل علي (عليه السلام) خاصة الحسين بن

---

(١) شرح النهج : ١٥٢/٦ ، وراجع الأغاني : ٢٥٩/١٣ .
(٢) راجع الأخبار الطوال/٢٢٧ ، تاريخ خليفة : ٢٨٢/١ ، تاريخ اليعقوبي : ٢٤١/٢ ، البدء والتأريخ : ٩/٦ .
(٣) الأخبار الطوال/٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

علي (عليه السلام) وكان في ولايته لمعاوية على المدينة يغري معاوية للتعرض للحسين فكفه معاوية عن ذلك فقد روي أنه لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه استفظع أهل الكوفة ذلك فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة إلى الحسين بن علي فأخبروه الخبر فاسترجع وشقّ عليه فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن علي وعلى المدينة يومئذٍ مروان بن الحكم فترقى الخبر إليه فكتب إلى معاوية يعلمه إنّ رجالاً من أهل العراق قدموا إلى الحسين بن علي وهم مقيمون عنده يختلفون إليه فاكتب لي بالذي ترى ، فكتب إليه معاوية : لا تعرض للحسين في شيء فقد بايعنا وليس بناقض بيعتنا ولا مخفر ذمتنا[1] .

ثم إنه لّما قتل الحسين بن علي (عليه السلام) وسبيت حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جيء بالرأس الشريف إلى حاكم المدينة يومئذ وهو عمرو بن سعيد الأشدق فأنكر ذلك وقال «وددت والله إن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه وكان في مجلسه مروان بن الحكم فصاح به : بئس ما قلت هاته ، وأخذ الرأس وجعل يهز أعطافه بشراً وسروراً وهو يقول :

يا حبذا بردك في اليدين   ولونك الأحمر في الخدين

وجيء بالرأس العظيم فنصب في جامع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وصرخت نساء آل أبي طالب وهرعن إلى القبر الشريف ببكاء وعويل فقال مروان :

عجّت نساء بني زبيد عجّة   كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

وراح مروان يبدي أفراحه حينما سمع عويل الهاشميات قائلاً : والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان[2]

---

(١) الأخبار الطوال/٢٢٤ .

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لابن الجوزي ـ مخطوط ـ نقلناه عن حياة الإمام الحسين ٣/٤٢١ ـ ٤٢٢ .

وبعد أن خلع أهل المدينة الطاعة ليزيد هرب عثمان بن محمد الوالي منهم ليلاً فلحق بالشام ثم أخذ مروان بن الحكم وكبراء بني أمية فأخرجوهم عن المدينة فقالوا : الشقة ولا بد لنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية ونحن نريد الشام فاستنظروا عشرة أيام فانتظروا ثم إجتمع رأي أهل المدينة أن يحلّفوا كبراء بني أمية عند منبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : لئن لقوا جيش يزيد ليردُّونهم عنهم إن استطاعوا فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك[1] .

فلما رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من إخراجهم منها إجتمعو إلى مروان فقالوا : يا أبا عبد الملك ما الرأي ؟ قال : من قدر منكم أن يُغيِّب حريمه فليفعل فإنما الخوف على الحرمة فغيّبوا حرمهم فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة وتغيب عن هذا الأمر فأحب أن أوجّه عيالي معك فقال ابن عمر : إني لا أقدر على مصاحبة النساء ، قال : فتجعلهم في منزلك مع حرمك ، قال : لا آمن أن يدخل على حريمي من أجل مكانكم ، فكلّم مروان علي بن الحسين (عليه السلام) فقال : نعم ، فضمّهم عليّ (عليه السلام) إليه وبعث بهم مع عياله[2] .

فلما سرّح يزيد بن معاوية جيشه إلى المدينة للقضاء على التذمر بقيادة مسلم بن عقبة[3] لقيهم بنو أمية بوادي القرى[4] فرجعوا معهم واستخبرهم مسلم بن عقبة عمّا خلفهم وعمّا لقوا وعن عددهم فقال مروان : عددهم كثير أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامّتهم ليس لهم نيات ولا بصائر ، وفيهم

---

(١) الامامه والسياسة : ١/٢٠٨ .

(٢) الامامة والسياسة : ١/٢٠٨ .

(٣) مسلم بن عقبة بن رياح المري قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي شهد صفين مع معاوية وقلعت بها عينه فلما بويع ليزيد بالخلافة وثار عليه أهل المدينة وجهه إليهم ففتك بهم وأباح المدينة ثم خرج لمكة لحرب ابن الزبير فمات في الطريق فنبش قبره وصلب في مكان دفنه .

(٤) وادي القرى من أعمال المدينة وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين والعيون .

قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لَهم مع السيف وليس لهم كراع[1] ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصّنوا . قال مسلم : هذه أشدّها علينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم ونردم[2] عليهم خندقهم ، فقال مروان : عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به . قال هاته . فقال : إطْوِه[3] ودعه حتىٰ يحضر ذلك . قال : دعه إذاً . ثم قال لهم مسلم : تريدون أن تسيروا إلى أمير المؤمنينْ أو تقيموا موضعكم هذا أو تسيروا معنا ؟ فقال بعضهم : نسير إلى أمير المؤمنين ونحدث به عهداً فقال مروان : أما أنا فراجع . فقال بعضهم لبعض : قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا أن نردّ الجيش عنهم لنردّنه فكيف بالرجوع إليهم فقال مروان : أما أنا فراجع إليهم . فقال له قوم : ما نرى أنْ تفعل فإنما تقتلون بهؤلاء أنفسكم والله لا أكثرنا عليهم لمسلم جمعاً أبداً . فقال مروان : أنا والله ماض مع مسلم إلى المدينة فمدرك ثأري من عدوي وممن أخرجني من بيتي وفرّق بيني وبين أهلي وإن قتلت بهم نفسي . فلم يرجع مع مسلم من بني أمية غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدوراً فجعله بذي خشب[4] .

فلما انتهىٰ جيش مسلم إلى المدينة حاصرها فلم يقدر على إقتحام الحصن والخندق الذي أقامه أهل المدينة فقال مسلم لمروان: أين ما قلتِ لي بوادي القرى ؟ فخرج مروان حتىٰ جاء بني حارثة فكلّم رجلاً منهم ورغّبه في الضيعةِ وقال : افتح لنا طريقاً فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بُذِلَ لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه ، ففتح له طريقاً ورغب فيما بذل له وتقبّل ما تضمن له عن يزيد فاقتحمت الخيل[5] .

فلما أوقع مسلم بأهلِ المدينة وأباح حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله

(١) الكراع : إسم يجمع الخيل .

(٢) يُقال ردم الثلمة أي سدّها .

(٣) إطوه : إكتمه .

(٤) الامامة والسياسة : ١/٢٠٩ .

(٥) الامامة والسياسة : ١/٢١١ .

وسلّم) لجيشه يعبث بأعراض المسلمين وينهب بعد أن أوغل في دماء المسلمين كتب ليزيد كتاباً جاء فيه « . . . وكان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا أخال ذلك ضائعاً عند إمام المسلمين وخليفة ربِّ العالمين إن شاء الله . . »[1] .

وقد ذكرنا طرفاً من أخبار مروان في عهد معاوية بن يزيد[2] فلما توفي معاوية بن يزيد علم ابن الزبير أنه لم يبق أحد يضادُّه وقد أخذت له البيعة فولى عبيدةبن الزبير على المدينة وعبد الرحمن بن جحدم الفهري على مصر وبايع له زُفَرُ بن الحارث الكلائي بقنّسرين والنعمان بن البشير بحمص وبايع ناتل بن قيس لابن الزبير في فلسطين بعد أن أخرج منها خليفة حسان بن مالك بن بحدل الكلبي الذي سار إلى الأردن واستخلف رَوح بن زِنباع الجُذاميّ وولى ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري دمشق وبويع له بها .

وخرج الضحاك إلى المسجد فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فسبَّه فقام إليه شاب من كلب فضربه بعصا فقام الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا . قيسٌ تدعوا إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد لأنه ابن اختهم[3] .

ونظر مروان بن الحكم في إطباق الناس على مبايعة ابن الزبير وإجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف إلى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام وقال له : إنك شيخ بني عبد مناف فلا تعجل[4] .

وكان عبيد الله بن زياد لما أخرجه أهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية

(١) الامامة والسياسة : ٢١٧/١ .
(٢) لا يبعد أن يكون مروان بن الحكم هو الذي دسَّ السم لمعاوية بن يزيد .
(٣) الكامل لابن الأثير : ١٤٧/٤ .
(٤) مروج الذهب : ٩٤/٣ .

قدم دمشق فبلغه خبر ابن بحدل ونزوله بالجابية[1] وكان الضحاك بن قيس الفهري بدمشق قد بايعه الناس لابن الزبير وتابعوه على أمره ، فقال له ابن زياد قد بويع صاحبك واستقامت له النواحي وأنت هاهنا قد حصرت نفسك بدمشق فاخرج فعسكر ناحية يأتك الناس من كل أوْب فإنك كبير قريش والمنظور إليها منها فخرج الضحاك إلى مرج راهط[2] فعسكر فما هو إلاّ أن خرج حتىٰ دخلها عمرو بن سعيد الأشدق فأغلقها على نفسه وذلك أنه كانت بلغت عمراً حركة الضحاك وكتب إليه بها ابن زياد فدنا من دمشق فاستعد لدخولها واتى ابن زياد مروان وهو بالجابية فقال : إني قد أخرجت الضحاك إلى الصحراء وأدخلتها عمرو بن سعيد[3] .

وروي أن الضحاك دخل دار الإمارة ـ بعد أن وقع ما وقع من الاقتتال في المسجد ـ ولم يخرج من الغد إلى صلاة الفجر وبعث إلى بني أمية فاعتذر إليهم وأنه لا يريد ما يكرهون وأمرهم أن يكتبوا إلى حسان ويكتب معهم ليسير من الأردن إلى الجابية ويسيرون هم من دمشق فيجتمعون بالجابية ويبايعون لرجل من بني أمية فرضوا وكتبوا إلى حسان وسار الضحاك وبنو أمية نحو الجابية فأتاه ثور بن معن السُّلَميُّ فقال : دعوتنا إلىٰ ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تشير إلى هذا الأعرابي من كلب يستخلف ابن أخته خالد بن يزيد ! قال الضحاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تظهر ما كنا نكتم وتدعوا إلى ابن الزبير[4] .

فرجع الضحاك ومن معه من الناس فنزل بمرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية فكان حسان يصلي بهم أربعين يوماً والناس يتشاورون وكان مالك بن هبيرة السَّكوني يهوى خالد بن يزيد

(١) الحابية . بالشام وهي قنسرين بينها وبين حلب ستة فراسخ .
(٢) مرج راهط بغوطة دمشق .
(٣) أنساب البلاذري : ق ٥/١٣١ ـ ١٣٢ .
(٤) الكامل : ٤/١٤٧ .

والحصين بن نمير يميل إلى مروان فقال مالك للحصين : هل نبايع هذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وقد عرفت منزلتنا من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً ؟ ـ يعني خالداً ـ فقال الحصين : لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبي فقال مالك : والله لئن استخلفت مروان ليحسدك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ، إن مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ولكن عليكم بابن اختكم[1] .

وقال عبد الله بن عِضاه الأشعري لحسان بن مالك بن بحدل : أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد وهو حدث السن ، فقال : إنه معدن الملك ومقر السياسة والرئاسة فأتى ابن عضاه خالداً في جماعة من نظرائه من الوجوه فوجدوه نائماً متصبّحاً فقال : يا قوم أتُجْعَل نحورنا أغراضاً للأسنة والسهام بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة وإنما صاحب هذا الأمر المجد المشمِّر الحازم المستيقظ ، ثم أتى مروان بن الحكم فألفاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركوز بفنائه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن فقال ابن عضاه : يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عَم عثمان أمير المؤمنين وشيخ قريش وسِنُّها[2] .

ثم أنهم إجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على أن إمرة دمشق لعمرو وإمرة حمص لخالد بن يزيد[3] وكان ذلك لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين .

فلم بويع بالإمارة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم :

فوالله ما أدري وإني لسائل حليلة مضروب القفا كيف يصنع

(١) الكامل لابن الأثير : ٤/١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٢) أنساب البلاذري : ق ٥/١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٣) الكامل : ٤/١٤٨ .

لحا اللّه قوماً أمَّروا خيط باطلٍ على الناس يعطي ما يشاء ويمنع[1]

وكان مروان يلقب خيط باطل لدقته وطوله شبه الخيط الأبيض الذي يرىٰ في الشمس[2] .

وقيل إنما قال له أخوه عبد الرحمن ذلك حين ولّاه معاوية أمر المدينة ، وقال مالك بن الريب يهجو مروان :

لعمرك ما مروان يقضي أُمورنا ولكنما تقضي لنا بنت جعفر
فياليتها كانت علينا أميرة وليتك يا مروان أمسيت آخر[3]

وسار مروان نحو الضحاك بن قيس الفهري وقد إنحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار إلى الضحاك ومعه أُناس من قُضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوي وكانت معه راية عقدها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأبيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافه ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت الحروب سجالاً وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك بن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل من معه من نزار وأكثرهم من قيس مقتله عظيمة لم ير مثلها قط وفي ذلك يقول مروان بن الحكم :

لمّا رأيت الناس صاروا حربا والمال لا يؤخذ إلا غضبا
دعوت غساناً لهم وكلبا والسكسكيين رجالاً غلبا
والقين تمشي في الحديد نكبا والأعوجيات يثبن وثبا
يحملن سَرْوات ودينا صُلْبا[4]

وقد قضىٰ مروان على الحركة الزبيرية ثم سار في جنوده من الشام إلى

(١) أسد الغابة : ٣٤٨/٤ .
(٢) أنساب البلاذري : ق ٥/١٢٦ .
(٣) الاستيعاب : ١٣٨٨/٣ .
(٤) مروج الذهب : ٩٦/٣ .

مصر فحاصرها وخندق مما يلي المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ، فحصل قتل يسير وتوافقوا على الصلح وانصرف مروان عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز ، ثم عاد إلى الشام فنزل الصميرة على ميلين من طبرية من بلاد الأردن فأحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان في الناس خطيباً ودعاهم إلى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه في ذلك أحد[1] .

مقتل مروان بن الحكم

وفي تاريخ الطبري : لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة أبىٰ أن يستخلف أحداً وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية ـ وكان صغيراً ـ وهو خال أبيه يزيد بن معاوية فبايع لمروان ـ وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد فلما بايع لمروان وبايعه أهل الشام قيل[2] لمروان : تزوج أم خالد ـ وأمه أم خالد ابنة هشام بن عتبة ـ حتىٰ تصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفين فقال : إنه والله م علمتُ لأحمق . تعالى يا ابن الرطبة الأست ـ يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام ـ فرجع إلى أمه فأخبرها فقالت له أمه : لا يعرفن ذلك منك واسكت فإني أكفيكه . فدخل عليها مروان فقال لها : هل قال لك خالد فيَّ شيئاً ؟ فقالت : وخالد يقول فيك شيئاً ! خالد أشد لك إعظاماً من أن يقول فيك شيئاً فصدَّقها ثم مكثت أياماً ثم إن مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتىٰ قتلته[4] .

---

(١) مروج الذهب : ٣/٩٧ .

(٢) وفي الكامل أن عبيد الله بن زياد هو الذي أشار عليه بالزواج من أم خالد : ٤/١٥١ .

(٣) الأست : السّتُّ الكلام القبيح معرب عن سِتاو وهو المكر والحيلة .

(٤) الطبري : ٥/٦١٠ ـ ٦١١ وراجع المعارف /٣٥٤ ، الأخبار الطوال /٢٨٥ ، اليعقوبي : ٢/٢٥٧ .

وفي الإمامة والسياسة : إن مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد ابن يزيد بن معاوية : أردد إليَّ سلاحي ـ وكان أعاره سلاحه حين خرج إلى مصر ـ فأبىٰ عليه مروان فألحَّ عليه ، وكان مروان فاحشاً سبّاباً وقال له : يا ابن الربّوخ[1] ، يا أهل الشام إن أُم هذا ربوخ ، يا ابن الرطبة ، فجاء ابنها إليها قال : هذا ما صنعت بي سبني مروان على رؤوس أهل الشام وقال : هذا ابن الربّوخ ، وكان مروان استخلف حين خرج إلى مصر ابنه عبد الملك وعبد العزيز أنهما يكونان بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالي بعدما قال لخالد بن يزيد ما قال ثم جاء إلى أُم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطوين عليه الشوادك[2] ثم غطّته حتىٰ قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهنَّ يا أمير المؤمنين[3] .

وروي إنها سقته شربة لبن مسموم فقتلته ، وقيل إنها ألقت على وجهه مرفقة حتىٰ أخذ مضجعه بعد العشاء والآخرة وثبت عليه هي وجواريها فغممنه حتىٰ أتين على نفسه ثم صرخن وقالت مات فجأة[4] .

وفي حياة الحيوان : إنها سقته سمّاً حتى أسودَّ لسانه ولم يقدر على الكلام فدخل عليه أولاده فجعل يشير إليها بأصبعه أي إنها قتلتني فبكت وقالت : يا أبا عبد المالك إلى الموت وأنت توصي بي .

لكن الرواية الأُولى هي المشهورة ويمكن الجمع بين الروايتين إنها سقته السم أولاً ووضعت الوسادة على فمه بعدها ، ويؤيد ذلك رواية البدء والتأريخ والاستيعاب التي ستأتي .

وفي البدء والتأريخ : فسقته سماً في الشراب فأبطأ القضاء عليه فلما

---

(١) الربوخ : المرأة التي بغشى عليها عند الجماع .

(٢) الشواذك : الشاذكُونة الفراش وثياب غلاظ مُضرَّبة تعمل باليمن وهي معربة من الفارسية شادكونة .

(٣) الامامة والسياسة : ٢/١٧

(٤) أنساب البلاذري : ق ٥/١٤٥

كان في الليل وضعت وسادة على وجهه وقعدت عليها حتىٰ مات[1] .

وفي الاستيعاب : إنها سمته ثم قامت إليه مع جواريها فغممنه حتىٰ مات[2] .

وأراد عبد الملك قتل أُم خالد فقيل له : يظهر عند الخلق إن امرأة قتلت أباك . فتركها[3] .

وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل ابن احدى وستين سنة وقيل ابن احدى وسبعين وقيل احدى وثمانين وكانت مدة ولايته تسعة أشهر .

١٩

عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية

ويُقال له الأشدقِ للَقْوَةٍ له فأمالت شدقه[4] ، ويسمىٰ أيضاً لطيم الجن ، ولطيم الشيطان .

ويكنىٰ أبا أُمية[5] .

وأُمه أُم البنين بنت الحكم بن أبي العاص وهي أخت مروان وعمة عبد الملك بن مروان[6] .

ومات سعيد بن العاص سنة تسع وخمسين فقال معاوية لابنه عمرو

---

(١) البدء والتاريخ : ٦/٢٠ .

(٢) الاستيعاب : ٣/١٣٨٩ .

(٣) الكامل لابن الأثير : ٤/١٩٢ .

(٤) الشِّدق : جانبُ الفم وجمعه أشداق ، واللقوة داء في الوجه .

(٥) و (٦) أنساب البلاذري : ق ٢ ج ٤/١٣٦ .

الأشـدق وهو صغيـر : إلى مَنْ أوصى بـكِ أبـوك ؟ فقـال : أوصىٰ إليَّ ، ولم يوص بي[1] .

ويُقال إن معاوية دعاه في غلمة من بني أُمية فاستنطقهم فقال عمرو : إنَّ الابتداء مركبٌ صعب ومع اليوم غدٌ ، ثم دعاه فتكلّم بكلام أعجبه ، فقـال إنَّ ابن سعيد لأشدق[2]

وروي إنه استعمل سعيد بن العاص وهو والٍ على المدينة ابنه عمرو بن سعيـد والياً على مكـة فلما قـدم لم يلقه قـريشي ولا أمـوي إلا أن يكـون ابن الحـارث بـنْ النوفـل فلما لقيـه قال لـه : يا حـار ، ما الـذي منـع قـومـك أن يـلقـوني كما لقيتني ؟ قـال : ما منعهم من ذلـك إلا ما استقبلتني بـه والله ما كنيتني ولا أتممت اسمي وإنمـا أنهاك عن التكبـر على أكفـائـك فـإنَّ ذلـك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لـك . قال : والله مـا أسـأت المـوعظة ولا أتهمـك على النصيحة وإن الذي رأيت مني لخُلُق .

فلما دخل مكة قام على المنبـر فحمد الله وأثنىٰ عليـه ثم قال : أمـا بعد معشر أهل مكة فإنا سكناها حقبَة وخرجنا عنها رغبة وكـذلك كنـا إذا رُفِعَتْ لنا لُهْوة[3] بعد لُهْوة أخذنا أسناها ونزلنا أعلاهـا ثم شدخ[4] أمـر بين أمرين فَقَتَلْنـا وقُتِلْنا فوالله ما نزعنا ولا نُزع عنا حتىٰ شرب الدم دماً وأكـل اللحم لحماً وقـرع العـظم عظمـاً فولى رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) برسـالـة الله إيـاه واختياره له ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله ثم ولي عمر ثم أُجيلت قِداح نُـزعن من شُعب[5] حـول نعة ففـاز بحظِّهـا أصلبها وأعتقهـا فكنا بعض قـداحِهـا ثم شدخ أمر بين أمرين فقتلنا وقتلنا فوالله مـا نزعنـا ولا نزع عنـا حتى شرب الـدم

---

(١) أنساب البلاذري . ق ٢ ج ٢٩٦/٢ .

(٢) أنساب البلاذري : ق ٢ ج ١٣٦/٤ .

(٣) اللهوة : العطية .

(٤) شدخ : أي فرّق .

(٥) الشعب : الأغصان .

دماً وأكل اللحم اللحم لحماً وقرع العظم عظماً وعاد الحرام حلالاً وأسكت كل ذي حِسٍّ عن ضرب مهند عَرْكاً وعسفاً[١] عسفاً ووخزاً[٢] ونهْساً[٣] حتى طابوا عن حقنا نفساً والله ما أعطوه عن هوادة ولا رضوا فيه بالقضاء أصبحوا يقولون حَقُّنا غُلبنا عليه فجزينا هذا بهذا وهذا في هذا . يا أهل مكة أنفسكم أنفسكم ، وسفهاءكم سفهاءكم ، فإنَّ معي سوطاً نكالاً وسيفاً وبالاً وكلٌّ مصبوب على أهله ، ثم نزل[٤] .

ولمّا عقد معاوية ليزيد البيعة قام الناس يخطبون فقال لعمرو بن سعيد : قم يا أبا أُمية فقام فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أما بعد فإنَّ يزيد بن معاوية أمل تأملونه وأجل تأمنونه ، إن إستضفتم إلى حلمه وسعكم ، وإن إحتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن إفتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جَذَع[٥] قارِح[٦] ، سُوبق فسبق ، ومُوجِدَ فَمَجُدَ ، وقُورِعَ فقرع ، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس[٧] .

ولما قتل الحسين (عليه السلام) أرسل عبيد الله بن زياد مبشراً إلى المدينة بقتل الحسين إلى عمرو بن سعيد ـ وكان يزيد جعله على المدينة والياً ـ فلقيه رجل من قريش فقال : ما الخبر ؟ فقال : الخبر عند الأمير فقال القرشي : إنا لله وإنا إليه راجعون قتل الحسين ، ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال ، ما وراءك ؟ قال : ما سَرَّ الأمير . قتل الحسين بن علي . فقال : ناد بقتله . فنادى فصاح نساءُ بني هاشم ، وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي بثيابها وهي تقول :

---

(١) العسف : الأخذ على غير الطريق .

(٢) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه ولا يكون نافذاً .

(٣) نهس : نهش فيقال نهشته الحية لسعته .

(٤) العقد الفريد : ١٣٣/٤ .

(٥) الجذع في الأصل الفرس في سنته الثانية .

(٦) القارح الذي كملت اسنانه وذلك إذا إستتم الخامسة ودخل في السادسة .

(٧) العقد الفريد : ١٣٢/٤ .

مـاذا تقـولـون إن قـال النبي لكم ... مـاذا فـعلتـم وأنـتـم آخـرُ الأمَـمِ
بعتـرتي وبـأهلي بعـد مفـتقـدي ... منهم أسارى وقتلى ضُـرِّجـوا بـدمِ
مـا كان هـذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفـوني بسـوءٍ في ذوي رحمي

فلما سمع عمرو أصواتهم ضحك وقال :

عـجَّت نـسـاء بـني زيـاد عـجـة ... كعجيـج نسـوتـنـا غـداة الأرنب

ثم قـال عمرو : نـاعيـة كنـاعيـة عثمـان[1] . وكـان أرسـل الـرأس إلى المدينة .

ثم اعتلىٰ عمرو بن سعيد الأشدق أعواد المنبر وهو يهـز أعطافـه مسروراً بقتل الإمام فقال : أيها الناس إنها لدمة بلدمة ، وصدمة بصدمة كم خطبة بعد خـطبة ، حكمـة بالغـة فما تغني النـذر ، لقد كـان يسبنا ونمـدحه ، ويقـطعنـا ونصله ، كعادتنا وعادته ، ولكن كيف نصنع بمن سلَّ سيفه علينا يريد قتلنـا إلاَّ أن نـدفعه عن أنفسنـا . وقطع عليـه عبد الله بن السـائب خطابـه فقال لـه : لو كـانت فاطمـة حية ورأت رأس الحسين لبكت عليـه . فصـاح بـه : نحن أحق بفاطمة منك ، أبوها عمنا ، وزوجها أخونا ، وأُمها إبنتنـا ، ولو كـانت فاطمـة حية لبكت عينها وما لامت من قتله[2] . ثم أومأ إلى القبـر الشريف وقـال : يا محمد يوم بيوم بدر[3] .

ولمّا قتل الحسين (عليه السلام) خلا الأمر لابن الزبير فثار إليه أصحـابه وقالوا: أظهر بيعتك فإنك لم يبق أحـد إذ هلك الحسين فينازعـك هدا الأمـر، وأخذت له البيعة سراً وهو يظهر أنه عائد بـالبيت، فقال الـوليد بن عتبـة وناس من بني أُمية ليزيد: لو شاء عمرو لأخـذ ابن الزبيـر وسرَّحـه إليك فعـزل عمرو وولى الوليد الحجاز، وأخذ الوليد غلمان عمرو ومـواليه فحبسهم فكلّمـه عمرو

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٣/٤٤٠ ـ ٤٤١ ط دار الكتب العلمية
(٢) حياة الإمام الحسين : ٣/٤١٧ .
(٣) شرح النهج ٤٠ / ٧٢

فأبىٰ أن يخلِّيهم فسار عن المدينة بيلتين وأرسل إلى غلمانه بعدَّتهم من الإبل فكسروا الحبس وساروا إليه فلحقوه عند وصوله الشام فدخل على يزيد وأعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزبير فعذره وعلم صدقه[1] . ثم بعث يزيد عمرو بن سعيد أميراً على المدينة على الوليد ابن عتبة تخوفاً لضعف الوليد فرقى عمرو المنبر حين دخل فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر ابن الزبير وما صنع قال : تعوَّذ بمكة فوالله لنغزونَّه ثم والله لئن دخل مكة لنُحرقنَّها عليه رغم أنف من رغم[2] .

وقد روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : «ليرعفن[3] على منبري جبار من جبابرة بني أُمية حتىٰ يسيل رعافه» وروي أن عمرو بن سعيد رعف على منبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتىٰ سال رعافه . وكان عمر والأشدق يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحرة أيام يزيد لقتال ابن الزبير فنهاه ابن شريح الخزاعي وذكر له الحديث في تحريم مكة فقال : نحن أعلم بذلك منك يا شريح أن الحرام لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بجزية[4] .

وبعد أن ولّى يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد المدينة شكوه إلى يزيد فعزله وولى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان فلما قرب من المدينة تلقوه بذي خُشُب فشكوا إليه عمراً فلما قدم عثمان خطبهم فمنَّاهم ووعدهم ونال من عمرو وقال : ما كان قرشيٌّ ليفعل هذا بقريش . فقال عمرو من تحت المنبر مهلاً يا عثمان فوالله ما أنا بحلو المذاق واني لقَمَنٌ[5] المضَرّة ولقد ضرستني الأُمور وجرّستني الدهور فزعاً مرة وأمناً مرة وإنّ قريشاً لتعلم إني

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٤/١٠٠ .

(٢) تاريخ خليفة : ١/٢٨٣ .

(٣) رعف : الرعف هو السبق والرعاف دم يسبق من الأنف .

(٤) البداية والنهاية : ٨/٣١١ .

(٥) : يقال أنت قمن أن تفعل كذا أي خليق وجدير .

ساكن الليل داهية النهار لا أتتبّع الظلال ولا أقمص[1] حاجتي ولا يستنكرُ شبهي ولا أُدّعى لغير أبي[2] .

وظلّ عثمان بن محمد والياً على المدينة حتىٰ أخرجه أهل المدينة بعد تذمرهم من يزيد ونكث طاعته وإخراج بني أُمية وكبرائهم من المدينة فكتب مروان بن الحكم إلى يزيد كتاباً مع حبيب بن كُرَّة فلما قدم حبيب ما يزيد دفع الكتاب إليه ورجلاه في الماء لِنقْرِس[3] عرض له فقال : يا حبيب كـا كان بنو أُمية بالمدينة ألف رجل فقال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار وقرأ يزيد الكتاب على عمرو بن سعبد الأشدق وعرض عليه أن يصير إلى المدينة فقال : قد كنت ضبطت لك البلد وأحكمت الأُمور وأردت أن ألطف للرجل فآخده في رفق أو اقتله وحده بحيلة فأما الآن فإني لا أحب هِراق دماء قريش فبعث بالكتاب إلى مسلم بن عقبة المرّي[4]» .

وعندما مات معاوية بن يزيد كان عمرو بن سعيد أجدَّ الناس في أمر مروان وأكثرهم معاونة له وإسناداً لأمر عبد الله بن الزبير ، وقد ذكرنا في ترجمة مروان دخوله دمشق حين خروج الضحاك منها فكان مروان بن الحكم يعتمد عليه فوجهه لحرب مصعب ابن الزبير إلى فلسطين فلقيه الأشدق قبل أن يدخلها مصعب فهزم مصعباً واصحابه .

وإزاء جدّ عمر في معاونة مروان كان مروان يَعِده بالحلافة فكان يقول الأشدق : الأمر لي بعد مروان فقد ولّاني العهد . فلما استقام الأمر لمروان بعد أن وجّه عمرو بن سعيد إلى ابن جحدم عامل ابن الزبير على مصر وتم فتحها ، عاد مروان إلى دمشق فقال لحسان بن مالك بن بحدل الكلبي أنى

---

(١) وفي الموفقيات : لا أمص حاجبي أي أنتف حاجبي .

(٢) أنساب البلاذري ق ٤ ج ٢/١٣٨ ، الموفقيات/١٥٢ .

(٣) النقرس : داء معروف ـ بكسر الراء ـ .

(٤) أنساب البلاذري : ق ٢ ج ٣٣/٤ وراجع الكامل . ١١/٤ ، الطبري . ٤٨٣/٥

أريد تولية عهدي عبد الملك وبعده عبد العزيز وإن عمرو بن سعيد يدعي أنه الخليفة بعدي وخالد بن يزيد يدعي مثل ذلك . فقال حسان : أنا أكفيك أمرهما ، وجمع الناس ثم قام فقال : يبلغ أمير المؤمنين ويبلغنا أن رجالاً يتمنون الأماني ويدَّعون الأباطيل ويحدثون أنفسهم بما لم يجعله الله لهم ، وما أولئك بالراشدين ولا المسدَّدين فقوموا أيها الناس فبايعوا لعبد الملك بن أمير المؤمنين ولعبد العزيز من بعده فقام الناس فبايعوا مسارعين غير مثقلين من عند آخرهم حتى لم يبق منهم أحد[1] .

ولمّا تم الأمر لعبد الملك بن مروان بعد وفاة ابيه مروان كانت بين عبد الملك وعمرو بن سعيد محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلباً للملك ، وكان فيما كتب إليه عبد الملك : إنك لتطمع نفسك بالخلافة ولست لها بأهل فكتب إليه عمرو : إستدراج النعم إياك أفادك البغي ورائحة الغدر أورثتك الغفلة زجرت عما وافقت عليه وندبت إلى ما تركت سبيله ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز ، وعن قريب يتبين مَنْ صريع بغي وأسير غفلة[2] .

وقد كان كتب عمرو إلى عبد الملك بهذه الأبيات :

يريد ابن مروان إموراً أظنُها ... ستحمله مني على مركب صعب

أتنقض عهداً كان مروان شدَّه ... وأكَّدَ فيه بالقطيعة والكذب

فقدَّمه قبلي وقد كنت قبله ... ولولا إنقيادي كان كرباً من الكرب

وكان الذي أعطيتُ مروان هفوةً ... عُنيتُ بها رأياً وخطباً من الخطب

فإن تنفروا الأمر الذي كان بيننا ... فنحن جميعاً في السهول وفي الرحب

وإن نُعطها عبد العزيز ظلامةً ... فأولى بها منا ومنه بنو حرب[3]

---

(1) أنساب البلاذري ق ٢ ج ٤/١٣٦ .

(2) مروج الذهب : ٣/١٠٩ .

(3) سيرة أعلام النبلاء . ٣/٤٥٠ .

وفي أنساب البلاذري : كان عمرو أشد الناس في أمر مروان كما تقدم وهو يطمع أن تصل الخلافة إليه فلما مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة بلغه أن مصعب بن الزبير بن العوام يريد الجزيرة متوجهاً من العراق فسار عبد الملك حتىٰ شارف الفرات ومعه عمرو بن سعيد الأشدق فقال له عمرو : إنك تشخص إلى العراق فقد كان أبوك أوعدني أن يوليني الأمر بعده وعلى ذلك قمت بشأنه وحاربت معه فاجعل لي الأمر بعدك ، فلم يجبه عبد الملك بشيء مما يسرّه فانصرف عن عبد الملك وقصد إلى دمشق حتىٰ دخلها وقال : إن مروان كان ولّاني عهده ولذلك قمت بنصره ، وصنعت ما أنتم عالمون به فبايعه عبد الله بن يزيد بن أسد بن كريز وأبو خالد بن عبد الله البَجَلي ثم القسري ثم بايعه وجوه أهل دمشق ومالوا إليه لسخائه وجود كفه ، وألقىٰ على سور دمشق المسوح والخشب والكرابيس والفُرُش المحشُوَّة وتهيأ للحصار واستعد له وبلغ عبد الملك خبره فانكفأ راجعاً يُغِذُّ[1] السيرِ ويجدُّ فيه حتىٰ أتى دمشق ، وقد أغلق عمرو أبوابها وجعل على شرطه عبد الله بن يزيد فحاصره عبد الملك ولم يزلْ يراسله ويمنّيه ويعده ويضمن له أن يولّيه بيت المال والديوان ويجعل له ولاية الأمر بعده مُقدَّما على عبد العزيز وكتب بينه وبينه بما شرطه له كتاباً فخرج عمرو إليه وهو في عسكره وكان نازلاً في قصر بالمعسكر وأصحابه حوله فلما دخل عليه بسطه ووانسه ثم قال : يا أبا أمية إني حلفت أن أجعل في عنقك سلسلة وأوثقك بجامعة ثم لا بأس عليك فأوثق وجعل السلسلة في عنقه فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أخرجني إلى الناس لأقوم فيهم بما تحب وأقول ما تريد ـ وإنما التمس أن يخرجه من عنده فيخلصه أصحابه وكانوا مطيفين بالقصر ـ فقال عبد الملك : هيهات أمكراً في السلسلة أبا أمية . ثم قال عبد الملك لبشر بن مروان : قم فاقتله فأبىٰ ، وقال لعبد العزيز : اقتله فأبىٰ ، فأسمعهما وشتمهما وعجّزها ثم قال لأبي الـزُّعَيْزِعَـة

---

(١) غذّ السير أي أسرع في سيره

البربري مولاه : خذه إليك فاقتله . فجرَّه بالسلسلة فقال : إرفق إرفق . وأصاب فمه الأرض وجذبه فقال : فمي فمي . فقال عبد الملك : اللّهم أخزه فما أحمقه يسأل الرفق ويشكو فمه وهو يُجرُّ للقتل . ثم قال لأبي الزُعَيْزعة : لا أنصرفن من الصلاة إلاَّ وقد كفيتنيه . فقتله أبو الزعيزعة قبل انصرافه ذبحه ذبحاً . فلما انصرف عبد الملك من صلاته أمر برأسه فاحتز ورمي به إلىٰ أصحابه الذين حضروا باب القصر ومعهم يحيىٰ بن سعيد أخوه فشدَّ يحيىٰ على الوليد بن عبد الملك وهو قائم على باب القصر بالسيف فلما رآه أدبر فضرب به أليته فبادر الوليد فدخل وأمر عبد الملك الناس أسودهم وأبيضهم ولم يعرض ليحيىٰ في ذلك الوقت ولا لغيره ودعنا الناس إلى العطاء ، ولحق يحيى بن سعيد بمصعب بن الزبير فصار معه فلما رآه مصعب قال : يا يحيىٰ أفلت العير وانحصَّ الذنب . قال : إنه لَبِهُلْبِه .

وروي أن عبد الملك خرج إلى الصلاة وأمر أبا الزعيزعة أن يقتله قبل انصرافه من الصلاة فلما ابتدأ عبد الملك صلاته ضجَّ أصحاب عمرو فقالوا : أخرجوه إلينا . فوضع عبد الملك يده على أنفه كأنّه قد رعف ثم إنسلَّ[1] فدخل القصر وأمر برأس عمرو فاحتز وألقاه إلى أصحابه فسكتوا[2] .

وفي تاريخ الطبري : وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله ، فقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكِّرك الله والرحم أن تلي أنت قتلي ، وليتول ذلك من هو أبعد رحماً منك ! فألقىٰ عبد العزيز السيف وجلس ، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلّقت الأبواب ورأى الناس عبد الملك حيث خرج وليس عمرو معه فذكروا ذلك ليحيي بن سعيد فأقبل في الناس حتىٰ حلَّ بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو وأناس بعد من أصحابه كثير فجعل من كان معه يصيحون أسْمِعْنَا صوتك يا أبا أمية ! وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث

---

(١) إنسلَّ : يُقال إنسلَّ من بينهم خرج

(٢) أنساب البلاذري : ق ٢ ج ١٣٨/٤ ـ ١٤٠ .

وزهيـر بن الأبرد فكسـروا باب المقصـورة وضربـوا النـاس بـالسيـوف وضـرب عبد لعمرو بن سعيد يُقال له : مصقلة الوليـد بن عبد الملك ضـربه على رأسـه واحتمله إبـراهيم ابن عربي صـاحب الديـوان فـأدخله بيت القـراطيس ودخـل عبد الملك حين صلى فوجد عمراً حياً فقال لعبد العزيز : ما منعـك أن تقتله ! قال : منعني أنه ناشدني الله والرحم فرفقت له . فقال له عبد الملك : أخـزى الله أُمك البواله على عقبيها فإنك لم تشبه غيرهـا ـ وأُم عبد الملك عـائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميـة وكانت أُم عبـد العزيـز ليلى ـ وذلك قول ابن الرُّقَيّات :

ذاك ابن ليـلى عبـد الـعـزيـز ببـا بـلبْـون تـغـدو جـفـانـه رُذُمـا

ثم أن عبد الملك قال : يا غلام إئتني بالحربـة فهزَّهـا ثم طعنه بهـا فلم تَجُـز ، ثم ثنىٰ فلم تَجُز ، فضـرب بيده إلى عضـد عمرو فـوجـد مسَّ الـدرع فضحـك ثم قال : ودارع أيضـاً يا أبـا أُمية ! إن كنت لمعـدًّاً ! يـا غـلام ائتني بالصَّمصامة فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع وجلس على صدرَه فـذبـحه وهـو يقول :

يا عمرو إن لا تـدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقـول الهامـةُ اسقوني

وانتفض عبد الملك رِعدة[1] ـ وكذلك زعموا يصبه إذا قتل ذا قرابـة له ـ فحمـل عبد الملك عن صـدره فوضـع على سريـره فقال : مـا رأيت مثل هـذا قط ، قتله صاحبُ دنيا ، ولا طالب آخره .

ودخل يحيى بـن سعيد ومن معه على بني مروان الـدار فجرحّـوهم ومن كـان معهم من مواليهم فقـاتلوا يحيىٰ وأصحـابه ، وجـاء عبـد الـرحمن بن أُم الحكم الثقفي[2] فدفع إليـه الرأس فـألقاه إلى النـاس ، وقام عبـد العزيـز بن

---

(١) الارتعاد : الاضطراب .

(٢) عبـد الرحمن بن أُم الحكم وهـوَ ابن أخت معـاويـة بن أبي سفيـان وكـان سيء الخلق استعمله معاوية على الكوفة فطرده أهل الكوفة فولاه مصر فخرج إليه معـاوية بن حـديج =

مروان فأخذ المال في البدور فجعل يلقيها إلى الناس فلما نظر الناس إلى الأموال ورأوا الرأس انتهبوا الأموال وتفرقوا[1] .

وقيل إن قتله أول غدر في الإسلام فقال بعضهم :

يا قوم لا تُغلبوا عن رأيكم فلقد	جرَّبتم الغدر من ابناء مروانا
أمسوا وقد قتلوا عمراً وما رشدوا	يدعونَ غدراً بعهد الله كيسانا
ويقتلون الرجال البُزْلَ ضاحية	لكي يُوَلُّوا أُمور الناس وِلْدانا
تلاعبوا بكتاب اللّه فاتخذوا	هواهُمُ في معاصي اللّه قرآنا[2]

وفي الكامل أنه : دخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فلما كان بعد دخول عبد الملك بأربعة أيام أرسل إلى عمرو أن أئتني ـ وقد كان عبد الملك إستشار كُريب بن إبرهة الحميري في قتل عمرو فقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، في مثل هذا هلكت حِمْيَر . فلما أتىٰ الرسول عمراً يدعوه صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو : يا أبا أُمية أنت أحب إليَّ من سمعي ومن بصري وأرى لك أن لا تأتيه . فقال عمرو : لم ؟ قال : لأنَّ تُبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال : إن عظيماً من ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائماً ما إنتهبني ابن الزرقاء ولا إجترأ عليَّ ، أما إني رأيت عثمان البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو ، ثم قال عمرو للرسول : أنا رائح العشية . فلما كان العشاء لبس عمرو درعاً ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حُمَيْد بن بن حريث الكلبي فلما نهض متوجهاً عثر بالبساط فقال له حُميد : والله لو أطعتني لم تأته . وقالت له امرأته الكلبية

= على مرحلتين من مصر فقال له ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في اخواننا من أهل الكوفة .

(١) الطبري : ٦/١٤٤ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٧٤ .

كذلك ، فلم يلتفت ومضى في مائة من مُواليه[1] .

وكان عبد الملك قال لحاجبه : ويحك !! آتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب ؟ قال : نعم ، قال : فافعل ـ وكان عمرو عظيم الكبر لا يرىٰ أن لأحد عليه فضلاً ولا يلتفت وراءه إذا مشى إلى أحد ـ فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فأغلق الحاجب دون أصحابه ومضىٰ عمرو ولا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون ، فعاتبه عبد الملك طويلاً ـ وقد كان وصّىٰ حارسه أبا الزعيزعة بأن يضرب عنقه ـ فكلّمه عبد الملك وأغلظ له القول ، فقال : يا عبد الملك أتستطيل[2] عليَّ كأنك ترى لك عليَّ فضلاً ؟ إن شئتُ والله نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لكَ الحرب . فقال عبد الملك : قد شئت ذلك . فقال : وأنا قد فعلت . فقال عبد الملك : يا أبا الزعيزعة شأنك . فألتفت عمرو إلى أصحابه فلم يرهم في الدار فدنا من عبد الملك فقال : ما يدنيك مني ؟ قال : لتمسني رحمك ـ وكانت أُم عمرو عمة عبد الملك كانت تحت الحكم بن أبي العاصْ ـ فضربه أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك : إرم برأسه إلى أصحابه . فلما رأوا رأسه تفرقوا[3] .

ثم أذن للناس أذناً عاماً فدخلوا عليه وجثة عمرو في ناحية البيت فلما أخذوا مجالسهم تكلّم عبد الملك فقال : أرموا بأبصاركم نحو مصارع أهل المعصية وأجعلوا سلفهم لمن غبر[4] منكم عظة ولا تكونوا اغفالاً من حسن الاعتبار فتنزل بكم جائحة[5] السطوة وتجوس[6] جلالكم بوادر النقمة وتطأ رقابكم بثقلها المعصية فتجعلكم هَمْداً رُفاتاً[7] وتشتمل عليكم بطون الأرض

---

(١) الكامل : ٢٩٨/٤ .

(٢) اِستطال : تطاول ، والتطوّل أي الامتنان ، يُقال : تطول عليه أي إمتنَّ عليه .

(٣) مروج الذهب : ١١٠/٣ .

(٤) غبر : مضى .

(٥) الجائحة : الشدة .

(٦) جاس : يُقال جاسوا خلال الديار أي تخلّلوها .

(٧) الرفات : الحطام .

أمواتاً إياي من قول قائلٍ وسفهِ جاهلٍ ، فإنما بيني وبينكم أن أسمع النَّعْرةَ[1] فأصمِّم تصميم الحسام المطرور وأصولُ صيال[2] الحنِق[3] الموتور ، إنما هي المصافحة والمكافحة[4] بُظبات السيوف ، وأسنَّة الرماح ، والمعاودة لكم بسوء الصَّباح فتاب تائب ، أو هلك خائب ، والتوب مقبول ، والإحسان مبذول . لمن أبصر خطه وعرف رشده فانظروا لأنفسكم وأقبلوا على حظوظكم وليكن أهل الطاعة منكم يداً على ذي الجهل من سفهائكم واستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغد عيشها ونفيس[5] زينتها فانكم من ذلك بين فضيلتين عاجل الخفض والدَّعة وآجل الجزاء والمثوبة . عصمكم الله من الشيطان وفتنة ونزغه[6] وأيدكم بحسن معونته وحفظه . انهضوا رحمكم الله لقبض أعطياتكم غير مقطوعة ولا مكدَّرةٍ عليكم إن شاء الله[7] .

وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان يستشيره ويُصْدِر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر فقال له : ما ترى ما كان من فعلي بعمرو بن سعيد ؟ قال : أمرٌ قد فات دركه . قال : لتقولن . قال : حَزْمٌ لو قتلته وحييت أنت . قال : أو لستُ بحيٍّ ؟ قال : هيهات ! ليس بحيٍّ من أوقف نفسه موقفاً لا يُوثق منه بعهد ولا عقد . قال : كلام لو تقدَّم سماعه فِعلي لأمسكتُ[8] .

وقيل إن عبد الملك لمّا قتل عمرو أمر به فأدرج في بساط تحت السرير وأرسل على قبيصة بن ذؤيب الخزاعي فدخل عليه ، قال : كيف رأيك في

---

(١) النُّعرة : صوت في الخيشوم .
(٢) الصيال : المواثبة .
(٣) الحَنَق : الغيظ ويُقال حَنِق عليه أي إغتاظ .
(٤) كفحه أي استقبله ويقال فلان يكافح الأمور أي يباشرها بنفسه .
(٥) النفيس : الكريم ، يُقال هذا أنفس مالي أي أحبه وأكرمه .
(٦) النزغ : الإفساد والإغراء .
(٧) الأخبار الموفقيات/٥٦١ ـ ٥٦٢ .
(٨) العقد الفريد : ٤/٤٠٩ .

عمرو بن سعيد الأشدق ؟ وأبصر قبيصة رِجْلَ عمرو تحت السرير فقال : أضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جزاك الله خيراً أما علمت أنك لموفق . قال قبيصة : أطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها . ففعل وافترق الناس[1]

وقيل : إن خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم : عجبت كيف أصبت غِرَّة عمرو . فقال عبدُ الملك :

أدنيته[2] مني ليسكن[3] روعُهُ[4] ... فأصول صولةَ حازمٍ مستمكنِ
غضباً ومَحمَيةً لديني إنَّهُ ... ليس المسيءُ سبيلُه كالمحسنِ[5]

ثم إن عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيَّة : إبعثي إليَّ بالصلح الذي كنتُ كتبته لعمرو . فقالت لرسوله : إرجع فاعلمه إني لففتُ ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك به عند ربه[6] .

وروي أنه خرجت أخت الأشدق تندبه لمّا قتل :

أيا عين جودي الدموع على عمرو ... عشيةَ تُبتزُّ الخلافة بالغدرِ
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطلٍ ... وكلكم يبني البيوت على غدرِ
وما كان عمرو غافلاً غير أنه ... أتته المنايا غفلة وهو لا يدري
كأنَّ بني مروان إذ يقتلونه ... خِشاشٌ من الطير اجتمعن على صقرِ
لحىَ اللّه دنيا تعقب النار أهلها ... وتهتك ما بين القرابة من سترِ
ألا يا لقومي للوفاء وللغدر ... وللمغلقين الباب قسراً على عمروِ

---

(١) العقد الفريد : ٤/٤٠٩ .
(٢) في الطبري : دابيته ١٤٨/٦ .
(٣) في تاريخ خليفة : لآمن ٣٣٧/١ .
(٤) في تاريخ خليفة : مكره ٣٣٧/١ .
(٥) الكامل لابن الأثير : ٣٠٣/٤ .
(٦) الطبري : ١٤٦/٦ .

فَـرُحنـا وراح الشـامتـون عشيـةً كـأنَّ على أعناقهم فِلَقُ الصخـرِ[1]

وذكر أن ولد عمـرو بن سعيد دخلو على عبـد الملك بعد الجمـاعة وهم أربعة : أمية وسعيد وإسماعيل ومحمد ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال لهم : إنكم أهـل بيت لم تزالـوا ترون لكم على جميـع قـومكم فضـلاً لم يجعله الله لكم ، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قـديماً في أنفس أوَّليكم على أوَّلينا في الجاهلية . فأقـطع بأمية بن عمرو ـ وكـان أكبرهم ـ فلم يقـدر أن يتكلم ـ وكان أنبلهم وأعقلهم ـ فقـام سعيد بن عمـرو وكـان الأوسط فقـال : يا أميـر المؤمنين ما تنعى علينـا أمراً كـان في الجاهليـة وقـد جـاء الله بالإسلام فهدم ذلك فوعدنا جنة وحذَّرنا ناراً ! وأما الذي كان بينـك وبين عمرو فإن عمراً ابن عمك وأنت أعلم بما صنعت ، وقـد وصل عمـرو إلى الله وكفى بالله حسيباً ، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خيـر لنا من ظهـرها . فـرَّق لهم عبد الملك رقـة شديـدة وقال : إنَّ أبـاكم خيَّـرني بين أن يقتلني أو اقتله فأخترت قتله على قتلي ، وأمـا أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جائزتهم ووصلهم وقرَّبهم[2] .

وقيل : إن الذي كان بين عبد الملك وعمرو شراً قديماً وكـان إبنا سعيـد أمهمـا أُم البنين وكان عبـد الملك ومعاويـة إبني مروان فكـانوا وهم غلمـان لا يزالون يـأتون أُم مـروان بن الحكم الكنانيَّـة يتحدثـون عندهـا فكان ينـطلق مع عبد الملك معاوية وغلام لهم أسود وكانت أُم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ثم تـأتيهم به فتضَـع بين يدي كـل رجل صحف[3] على حـدة وكانت لا تـزال تؤرش بين معاوية بـن مروان ومحمد بن سعيـد فيقتتلون ويتصارمـون الحين لا يكلم بعضهم بعضاً وكانت تقول : إن لم يكن عند هـذين عقل فعنـد هذين .

---

(١) سيرة اعلاء النبلاء : ٣/٤٤٩ ، وراجع أنساب البلاذري : ق ٢ ج ٤/١٤٤ بلفظ آخر ونسبها ليحي بن الحكم وقيل لبشر بن مروان .

(٢) الطبري : ٦/١٤٨ .

(٣) الصحفة : كالقصعة والجمع صحاف .

فكان ذلك دأبهما كلما أتوها حتىٰ آثبتت الشحناء في صدورهم[1] .

٢٠

أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم
بن أبي العاص بن أمية

وهو شقيق عمر بن عبد العزيز ، وكان أسنَّ من أخيه عمر ، أُمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وصف بالفضل ، وقيل أن عمر رضيه للخلافة بعده ، فسقيا السمَّ معاً[2] .

وقد خصَّه كثير[3] عزة بشعره من المديح قوله :

ألا أن نـأتِ سلمىٰ فـأنتَ عميـدُ ولمّـا يُفِـدْ منهـا الـغـداةَ مفيـدُ
ولستَ بِمُمْسٍ ليلةً مـا بقيتَهـا ولا مُصْبِـحٍ إلاَّ صِبـاكَ جـديـدُ
ديـارُ بـأعنـاء السُّريـرِ[4] كـأنَّمـا عَلَيهِنَّ في أكنـاف غيـقـة[5] شِيـدُ
تمـر السُّنـونَ الخـاليـاتُ ولا أرىٰ بصحنِ الشبَّـا[6] أطـلالهـن تَبيـدُ

---

(١) الطبري : ٦/١٤٧ .

(٢) جمهرة أنساب العرب/١٠٥ وانظر شرح النهج : م ٤/ ٦٥٠ .

(٣) كثيِّر عزة شاعر من شعراء الشيعة عرف بعزة وهي بنت جميل بن حفص من كنانة ويسميها كثير المضرية ويكنيها أُم عمرو وكانت امرأة حلوة حميراء قال فيها .

لعزة هاج الشوق فالدمع سافح مغانٍ ورسمٌ قد تقادمَ ما صحُ

وكان كثير ضعيفاً يكتم تشيعه وهذا ما يفسر مدحه للأمويين فنقل أن لكثير صديق يُقال له خندق الأسدي وقد جاءا معاً إلى موسم الحج فقال له خندق بعرفة لو وجدت من يضمن لي عيالى بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد وظلم الناس لهم فقال كثير أنا أضمنهم لك فقام خطيباً فضربوه حتىٰ قتلوه فكفل كثير عياله وقال يرثيه :

يعـز علـيَّ أن نغـدوا جميعـاً وتصبـح ثـاويـاً رهنـاً بـواد
فلو فـوديت من حَـدَث المنـايـا وقيتُـك بـالطَّريف وبـالتـلاد

(٤) السرير : وادٍ من أودية خيبر ، والاعناء جمع عناء جمع وهو الجانب والناحية .

(٥) غيقة · سهل واسع على ساحل البحر يقابل بدراً بين مكة والمدينة .

(٦) التسبا : واد بالأثل من أعراض المدينة .

فغيقةُ فالأكفالُ[1] أكفالُ ظَبْيةٍ[2] تـظَلُّ بها أُدْمُ[3] الظباء تـرُودُ[4]
وخطباءُ[5] تبكي شجْوها فكأنها لها بالتّلاع[6] القاويات[7] فقيدُ
كما استلعبتْ رأدَ[8] الضحىٰ حميريّةٌ[9] ضَرُوبُ بكفّيها الشُراعَ سَمودُ[10]
لياليَ سُعْدى في الشباب الذي مضىٰ ونسوتُها بيض السَّوالفِ[11] غيدُ
يباشرن فأر المسكِ في كلِّ مهجعٍ ويُشرقُ جاديٌّ[12] بهنَّ مَفيدُ[13]
فدع عنك سلمىٰ إذ أتىٰ النأيُ دونها وأنت امرؤ ماض ـ زعمتَ ـ جليدُ
وسلِّ هموم النفس إنّ علاجَها إذا المرء لم يَنْبَلْ[14] بهنَّ شديدُ
بعَيساء[15] في داياتها ودفوفها وحاركها تحت الوليّ نُهودُ[16]
وفي صدرها صبٌّ[17] إذا ما تدافعَتْ وفي شَعْبِ بَينَ المنكبين ؟سنودُ[18]

---

(١) الأكفال : مؤخر الجبل يُقال له كفل .
(٢) ظبية : موضع بين ينبع وغيقة .
(٣) الأدم : وهي الظباء البيض .
(٤) ترود : تذهب وتجيء .
(٥) خطباء : يُقال للأتان التي لها خط أسود على متنها .
(٦) التلاع : الأراضي المرتفعة .
(٧) القاويات : الدراسات .
(٨) رأد الضحىٰ : عند ارتفاعه .
(٩) حميرية : قينة يمانية .
(١٠) سمود : التي تلهي بالغناء .
(١١) السَّوالف : جمع سالفة وهي مقدم من لدن معلق القرط إلى الترقوة والمراد هنا الأعناق فإنها تمدح بالطول والبياض .
(١٢) جادي : الزعفران .
(١٣) مفيد : يقال فادت المرأة الطيب أي دلكته ليذوب .
(١٤) النبل : الرفق .
(١٥) عيساء : ناقة بيضاء .
(١٦) نهود : ارتفاع ؛ والولي جمع ولية وهي البرذغة التي تكون تحت الرحل .
(١٧) الصبّ : الانحدار .
(١٨) سنود : تصعيد وارتفاع .

وتحت مُتُودِ الرَّحْلِ عَنْسٌ جِريزةٌ(1) عَلاةٌ(2) يُباريها سَواهِمُ(3) قُودُ(4)

تراها إذا ما الركبُ أصبح ناهلاً(5) وَرُجِّيَ وِرْدُ الماء وهو بعيدُ

تزيفُ كما زافتْ(6) إلى سَلِفاتها مبُاهيةٌ صيَّ الوشاح مَيودُ(7)

إليك أبا بكرٍ تَخُبّ براكب على الأين(8) فتلاءُ اليدين وخودُ(9)

تجوزُ ربى الأصرام(10) أصرامِ غالبٍ(11) أقول - إذا ما قيل أين تريدُ -

أريدُ أبا بكرٍ ولو حالَ دونَهُ أماعزُ(12) تغتالُ المطيّ وبيدُ(13)

لتعلم إني للمودَّة حافظ وما لليدِ الحُسنىٰ لديَّ كنودُ(14)

لأنك عندي في النَّوالِ وغيرِهِ وفي كل حالٍ ما بقيتَ حميدُ

نآلاء كفّ منك طَلْقٍ بَنانُها ببذْلٍ لكَ إذ في بعضهن جمودُ

وآلاءَ منْ قد حال بيني وبينه عَدِيٌّ(15) وَنَقاً للسّافياتِ(16) طريدُ

فلا تبعدن تحت الضَّريحةِ(17) أعظمٌ رَميمٌ وأثوابٌ هناك جُرودُ(18)

---

(1) جريزة : ناقة نفيسة لا تباع لنفاستها .

(2) علاة : ناقة صلبة شبهت بالسندان لصلابته

(3) سواهم : متغيرة عابسة .

(4) قود . جمع قوداء وهي طويلة العنق .

(5) الناهل : الظاميء .

(6) تزيف : أي تسترخي في مشيتها .

(7) ميود : شديدة التمايل زهواً وليناً .

(8) الأين : التعب .

(9) الوخود : الوخد ضرب من سير الإبل السريع .

(10) الأصرام : جمع صرم وهو الأبيات المجتمعة المنقطعة عن الناس .

(11) غالب : موضع نخل قريب مصر .

(12) أماعز : جمع أمعز وهو المكان الكثير الحصىٰ .

(13) بيد : جمع البيداء وهي الفلاة .

(14) الكنود : كفران النعمة .

(15) العدى : الصفائح التي توضع على القبر .

(16) السافيات : الرياح التي تذرو الرمل .

(17) الضريحة : الضريح وهو القبر .

(18) جرود : جمع جرد وهو الخلق من الثياب .

بمـا قـد أرىٰ عبد العزيـزِ ونجمُـهُ   إذا نلتقي طَلقُ الـطّلوعِ سُعُودُ[1]
لــه مـن بنيــه مـجلسٌ وبنـيـهـمُ   كـرامٌ كـأطـرافِ السيـوف قعـودُ
فمـا لا مـرىء حيّ وإن طـالَ عُمـرهُ   ولا لـلجبـالِ الـراسيـات خُـلودُ
وأنـتِ أبـا بـكـر صـفـيّـيَ بعـدَه   تـحـنّـى عـلى ذي وُدّهِ وتـعـودُ
وأنت امـرءُ أُلهِمْتَ صـدقاً ونـائـلاً   وأورثـك المجدَ التليـدَ[2] جُـدودُ
جدودٌ من الكعْبينِ[3] بيضٌ وجوهها   لهُمْ مـأثُـراتٌ مَجْـدُهنَّ تـليـدُ[4]

وقال يمدحه أيضاً :

أهـاجـك من سُعـدى الغـداةَ طلُولُ   بذي الطَّلح[5] عـاميٌّ[6] بها ومُحيـلُ
ومـا هـاجـه من منـزلٍ لعبتْ بـه   لعـوجـاء[7] مِـرقـالِ العشيّ ذُيـولُ
بمـا قـد تـرىٰ سُعدى بـه وكـأنهـا   طليٌّ[8] راشحٌ للسارحـاتِ خَذولُ[9]
رأيـت وعيـني قـرَّبتـني لـمـا أرىٰ   إلـيهـا وبـعض العـاشقيـن قَتـولُ
عيـوناً جـلاها الكحـلُ أمّا ضميرُهـا   فـعـفٌّ وأمـا ط ْرفـهـا فـجـهـولُ
وركبٍ كـأطرافِ الأسنة عرَّسـوا[10]   قـلائصَ فـي أصـلابـهـنَّ نُـحـولُ
إليـكَ أبـا بكـر تـروحُ وتغتـدي   بـرحـليَ مِـرادةُ الـرواحِ ذمـيـلُ

---

(١) سعود : من السعد أي مشرق نجمه سعود لا نحس فيه .
(٢) التليد : القديم الموروث .
(٣) الكعبين : كعب قريش وكعب خزاعة ، وقيل كعب بن كلاب وكعب بن ربيعة .
(٤) ديوان كثير عزة : ١٩٤ ـ ١٩٨ .
(٥) الطلح : شجر من أعظم العضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده ضمغاً ، وهو موضع بين بدر والمدينة .
(٦) العامي : الذي مضىٰ عليه عام .
(٧) العوجاء : الناقة الضامرة ، المرقال وهي كثيرة الرقل وهي ضرب من العدو .
(٨) الطلى : ولد الظبية ، والراشح الذي بدأ يعتمد على نفسه ، والسارحات أي الظباء السارحة .
(٩) خذول : أيّ يتخلف عنها في سيرها .
(١٠) عرسوا : نزلوا للراحة آخر الليل .

كثيـرٌ عـطاء الفـاعلين مـع الغنىٰ بجـود . . .[1] إن كـاثـروك قليـلُ
وإنـي لأثـري[2] أن أراكم بـغبـطةٍ وإنـي أبـا بكـر بكُـمْ لـجميـلُ
وإن أكُ قَصْـراً في الـرّجـال فـإنني إذا حـلّ أمرٌ سـاحَتي لـطويـلُ[3]

٢١

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

بن أبي العاص بن أمية

ويكنى أبـا حفص ، ولقب خامس الخلفـاء الـراشـدين ، كـانت ولادتـه بحلوان من قـرى مصر وأبـوه أمير عليهـا سنة إحـدى وستين ، وقيـل : ثـلاث وستين[4] .

أمه أم عاصم[5] بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

وكـان بعثه أبـوه إلى المدينـة يتأدب بهـا وكتب إلى صالـح بن كيسان[6]

(١) هكذا بالأصل والمظنون «إذا ما كاثروك» .
(٢) أثري : أي أسر وأفرح .
(٣) ديوان كثير عزة : ٣٣١ .
(٤) تاريخ الخلفاء/١٨٢ .
(٥) قيـل إن أسمهـا ليلى بنت عـاصم وأمهـا عمـارة بنت سفيـان بن عبـد الله بن ربيعـة بن الحـارث بن حبيب بن الحـارث بن مـالـك بن حُـطيط بن جُشم بن ثقيف . وروي أن عمر بن الخطاب مرّ بعجوز تبيع لبناً في سق الليل بمكة فقـال لها : يـا عجوز لا تغشي المسلمين وزوّار بيت الله تعالى ولا تشوبي اللبن بالماء فقـالت نعم يا أميـر المؤمنين ثم مرّ بعد ذلك فقال : يا عجوز ألم أتقدم إليك ألاّ تشـوبي لبنك بـالماء ! فقـال : والله ما فعلت فتكلمت ابنـة لها من داخـل الخباء فقـالت : يا أمـه أغشـاً وكـذبـاً جمعت على نفسك ؟ فسمعها عمر فهمَّ بمعاقبتها فتركها لكلام إبنتها ثم التفت إلى بنيه فقال : أيكم يتزوج هذه فلعل الله يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقـال عاصم ابن عمـر : أنا أتزوجها، فزوجها إياه فولدت أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان فـولدت لـه عمر بن عبد العزيز .
(٦) صالح بن كيسان المدني مؤدب عمر بن عبد العزيز كان من فقهاء المدينة الجامعين بين =

يتعاهده وكان عمر يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم وكان صالح بن كيسان يلزمه الصلاة فأبطأ يوماً عن الصلاة فقال : ما حسبك قال : كانت مرجّلتي تسكّن شعري فقال : بلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة وكتب إلى عبد العزيز بذلك فبعث إليه عبد العزيز رسولاً فلم يكلمه حتى حلق شعره[1] .

ولمّا توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوّجه ابنته فاطمة[2] .

وقد عُرف عمر بن عبد العزيز بالاستقامة والصلاح فعن عبد الله بن المبارك عن رجل أخبره قال : كنت مع خالد بن يزيد بن معاوية في صحن بيت المقدس فلقينا عمر بن عبد العزيز ولا أعرفه ، فأخذ بيد خالد وقال : يا خالد أعلينا عين ؟ قلت: عليكما من الله عين بصيرة وأذن سميعة . قال فاستلّ يده من يد خالد وأرعِدَ ودمعت عيناه ومضىٰ . فقلت لخالد : مَن هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، إن عاش فيُوشك أن يكون إماماً عدلاً[3] .

وتولى عمر بن عبد العزيز سنة سبع وثمانين للهجرة إمارة المدينة ، ولّاه إياها الوليد بن عبد الملك بعد أن عزل عنها هشام بن إسماعيل . فلما قدِمَها عمر نزل دار مروان وجعل الناس يدخلون عليه فيسلمون ، فلما صلّى الظهر

= الفقه والحديث عاش أكثر من مائة سنة .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٩ .

(٢) فاطمة بنت عبد الملك ولدت له إسحاق ويعقوب فلما توفي عمر بن عبد العزيز تزوجت سليمان الأعور بن داود بن مروان فقال الناس : هذا الخلف الأعور . وأمها أُمُّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وكان عمر بن أبي ربيعة يقول في فاطمة :

ضاق الغداة بحاجتي صدري	ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي عُلِّقتُها	عرضاً فيالحوادث الدهر
ممكورة ردع العبير بها	جَمُّ العظام لطيفة الخصر
وكأنَّ فاهًا عند رقدتها	تجري عليه سُلافة الخمر

(٣) العقد الفريد : ٤/٤٣٤ ، حلية الأولياء : ٥/٢٥٦ .

دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة : عروة بن الزبير ، وأبا بكر بن سليمان ابن أبي خَيْثمة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ، فدخلوا عليه فقال لهم : إنما دعوتكم لأمرٍ تؤجرون وتكونون فيه أعواناً على الحق . لا أُريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي مَنْ حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عاملٍ لي ظلامة فاحرِّج الله على من بلغه ذلك إلا بلّغنى . فخرجوا يجزونه خيراً وافترقوا[1] .

وفي ولاية عمر بن عبد العزيز كان خُبَيْب بن عبد الله بن الزبير قد حدَّث عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً إتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا . فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يضربه فضربه عمر مائة سوط وبرَّد له ماء في جرَّة ثم صبَّها عليه في غداة باردة فكزَّ[2] فمات فيها[3] .

وروي أنهم نقلوه إلىٰ دار عمر بن مصعب بن الزبير ببقيع الزبير واجتمعوا عنده حتىٰ مات فبينما هم جلوس إذ جاءهم الماجشون يستأذن عليهم وخبيب مسجىٰ بثوبه وكان الماجشون يكون مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة فقال عبد الله بن عروة : إئذنوا له فلما دخل ، قال : كأنَّ صاحبك في مرية من موته إكشفوا عنه فكشفوا عنه فلما رآه الماجشون انصرف . قال الماجشون فانتهيت إلى دار مروان فقرعت الباب ودخلت فوجدت عمر كالمرأة الماخض قائماً وقاعداً فقال لي : ما وراءك . فقلت : مات الرجل . فسقط إلى الأرض فزعاً ثم رفع رأسه يسترجع فلم يزل يعرف فيه حتىٰ مات واستعفىٰ من المدينة وامتنع من الولاية وكان يُقال له أنك قد

(١) الكامل لابن الاثير : ٥٢٦/٤ ، تاريخ الطبري : ٤٢٨/٦ .

(٢) كز الرجل فهو مكزوز أصابه داء الكزاز وهو يبس وانقباض من البرد .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/٣٤ .

صنعت كذا فأبشر . فيقول : بِخُبَيّب[1] ، وقيل : إن الوليد عزله سنة ثلاث وتسعين وكان سبب ذلك أنَّ عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهلَ العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى الوليد أن مَنْ عندي من المرّاق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة وإن ذلك وهنٌ . فكتب إليه الوليد يستشيره فيمن يولّيه المدينةَ ومكة فأشار عليه بخالد بن عبد الله وعثمان بن حيان فولى خالداً مكة وعثمان المدينة وعزل عمراً عنهما[2] .

ونقل أنه أتى الوليد بن عبد الملك برجلٍ من الخوارج وعنده عمر بن عبد العزيز وخالد بن الريان فقال له الوليد : ما تقول في أبي بكر ؟ فقال : صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وثاني إثنين رحمة الله تعالى وغفر له . قال : فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ قال : هو الفارق رحمه الله تعالى وغفر له . قال : فما تقول في عثمان بن عفان ؟ قال : كان سنياتٌ من خلافته ملازماً للعدل . قال : فما تقول في مروان بن الحكم ؟ قال : لعن الله ذاك . قال : فما تقول في عبد الملك ؟ قال : ذاك ابن ذاك ، لعن الله ذاك . قال : فما تقول فيّ ؟ قال : ابن ذينك وأنت شرّ الثلاثة . فقال الوليد : يا عمر ما تقول فيما تسمع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما أحد أعلم بهذا منك ، فألحّ عليه والله لتقولن . فقال : أما إذا أبيت إلا أن أقول فسبَّ أباه كما سبَّ أباك «وإن تعفوا أقرب للتقوى» فقال : ليس إلاّ هذا ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين إلاّ أن تداخلك جبرية فأمّا في الحق فليس إلا هذا . فالتفت إلى خالد بن الريان[3] وهو قائم على رأسه ثم قام وهو غضبان . فقال خالد : والله يا عمر لقد نظر إليّ أمير المؤمنين نظرة كنت أظن أنه يامرني بضرب عنقك . قال : لو أمرك أكُنْتَ تفعل ؟ فقال : أي والله ، قال : أما أنه يكون شراً لكما وخيراً

(١) سيرة عمر لابن الجوزي /٣٥ .
(٢) الكامل لابن الأثير : ٥٧٧/٤ .
(٣) خالد بن الرّيان المحاربي مولى لبني أمية كان أبوه قد ولي الحرس لعبد الملك بن مروان وولي هو الحرس لعبد الملك والوليد وسليمان .

لي . ثم سكت عمرٌ عنه وبقي ذلك في قلبه .

ولمّا قام الوليد من مجلسه دَخل على زوجة أُم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر فقال لها : أخوكِ حروري والله لاقتلنه ، فمكث عمرُ أياماً في منزله لا يحضر الباب ولا يلتمس المعذرة فأتاه رسول الوليد وقت القائلة فدعاه فلما دخل باب القصر عدل به إلى بيت فأُدخِلَ فيه وطين عليه الباب . فرجع صاحب دابته إلى أهله فأخبرهم فأخبروا أخته فبحثت عن خبره فعلمته فدخلت على الوليد وناشدته الرحم وقبّلت يده فقال : قد وهبته لك إن أدركته حيّاً . ففتحوا عنه الباب فوجدوه قد إنثنىٰ عنقه فحملوه إلى منزله وعالجوه .

فلما توفي الوليد وهلك سليمان بعده ـ تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فجاء خالد بن الريان في اليوم الذي استخلف فيه عمر متقلداً سيفه يريد الوقوف على رأسه فقال عمر : يا خالد انطلق بسيفك هذا فضعه في بيتك واقعد فيه لا حاجة لنا فيه ، أنت رجل إذا أُمِرت بشيء فعلته لا تنظر لدينك . فلما ولىّ خالد ذاهباً نظر إلى قفاه فقال : اللهم يا رب إني وضعته لك فلا ترفعه أبداً فما لبث إلاّ جمعة حتىٰ ضربه الفالج فقتله[1] .

وقد بويع لعمر بعهدٍ من سليمان بن عبد الملك في صفر سنة تسع وتسعين فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر[2] .

وإنما عهد سليمان لعمر لمعروف أسداه له وذلك إن الوليد أراد أن يبايع لابنه فأراد عمر بن عبد العزيز على ذلك فقال : لسليمان بيعة في اعناقنا فأخذه الوليد وطيَّن عليه ثم فتح عينه بعد ثلاث فأدركوه وقد مالت عنقه ، وقيل أنه خنق بمنديل حتىٰ صاحت أخته أُم البنين . فشكر سليمان لعمر ذلك[3] .

---

(١) سمط النجوم : ٣/١٩٦ .
(٢) تاريخ الخلفاء/١٨٤ .
(٣) تاريخ الإسلام : ٤/١٤٦ .

فلما بويع عمر دخل عليه بلال ابن أبي بردة فهنأه وقال : من كانت الخلافة شرفته فقد شرَّفتها ، ومن كانت زانته فقد زنتها وأنت كما قال مالك بن السماء :

وتزيدين أطيب الطيب طيباً إن تمسسه أين مثلك أينا ؟
وإذا الدرُّ زانَ حسنَ وجوهٍ كان للدرّ حسنُ وجهك زيْنا[1]

وكان أول عمله أن كتب بعزل أُسامة بن زيد التنوخي وكان على خراج مصر وأمر به أن يحبس في كل حدٍّ سنة ويقيد ويحلّ عنه القيد عند كل صلاة ثم يردّ في القيد وكان غاشماً ظلوماً متعدياً في العقوبات بغير ما أنزل الله عزّ وجلّ يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها القطّاع ويطرحهم للتماسيح ، فحبس بمصر سنة ثم نقل إلى أرض فلسطين فحبس بها سنة ثم مات عمر وولي يزيد بن عبد الملك فردَّ أُسامة على مصر[2] .

وكتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن أفريقيا وكان يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جلَّ أو صغُر من السيرة بالجور والمخالفة للحق[3] .

وكتب عمر إلى أحد عماله : أما بعد فإنّ المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان وجعلهم (الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً فأُولئك لعمري ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين وإن المسلمين كانوا فيما مضىٰ إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير فكانت لهم في ذلك مدة فقد قضاها الله بأمير المؤمنين فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً فإن محق أعمالهم محق أديانهم فإن أولى بهم إنزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله

---

(١) تاريخ الخلفاء/١٨٤ .
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه .

بهـا من الذل والصغـار فافعـل ذلك واكتب إليَّ كيف فعلت وانـظر فـلا يـركبن نصراني على سرج وليركبوا بـالأكف ولا تركبن امـرأة من نسائهم راحلة وليكن مـركبها على أكـاف ولا يفحجوا على الـدواب وليـدخلوا أرجلهم من جـانب واحـد وتقدم في ذلـك إلى عمالـك حيث كانـوا واكتب إليهم كتـابـاً في ذلـك بالتشديد واكفنيه ولا قوة إلا بالله[1] .

ولّما تولى عمرٌ الخلافـة بدأ بـأهل بيتـه فأخـذ أموالهم وردهـا إلى بيت المـال ، وكان شـديداً على بني أُميـة فذكـر أنه قـال لبني مروان : أدّوا مـا في أيديكم من خقوق الناس ولا تلجئوني إلى ما أكره فـأحملكم على ما تكـرهون فلم يجبه أحد منهم ، قال : أجيبوني ، فقـال رجلٍ منهـم : والله لا نخـرج من أموالنا التي صارت إلينا من آباءنا فنفقر أبنائنا ونكفُـر آباءنـا حتىٰ تُزايـل رؤسنا أجسادنا . فقال عمر : أما والله لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت بحدودكم عـاجلاً ولكنني أخـاف الفتنة ، ولئن أبقـاني الله لأردن إلى كل ذي حقٍ حقه إن شاء الله .

وكـان عمـر إذا نـظر إلى بعض بني أُميـة قـال : أرى رقـابـاً ستُـردّ إلى أربابها[2] .

وكان ابنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيـز عونـاً لأبيه فقـال لأبيه بعـد توليه الخـلافة : يـا أبت مالـك لا تنفذ الأُمـور ، فوالله مـا أبالي لـو أن القدور غلت بي وبك في الحق . فقال له عمر : لا تعمل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القـرآن مرتين وحـرّمها في الثـالثة وأنـا أخاف أن أحمـل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذلـك فتنة[3] ، ونقـل أنه أتىٰ عبـد الملك أباه عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة فقال : ما تريد أن تصنع يـا أبت ؟ قال : أي بني أقيـل . قال : تقيـل ! ولا ترد المـظالم . قـال : أي بني إني سهـرتُ

---

(١) العقد الفريد لعبد ربه الأندلسي : ٤/٤٣٧ .

(٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص ١٢٨ .

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٨ .

البارحة في أمر عمِّك سليمان ، فإذا صليت الظهر رددتُ المظالم . فقال : يا أمير المؤمنين من أين لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فقال : أُدن مني فقبله بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من ظهري مَنْ يعينني على ديني [١] .

وقيل : كان للخليفة ثلاثمائة حرسي وثلاثمائة شرطي فقال عمر للحرس : إن لي عنكم بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً ، مَنْ أقام منكم فله عشرة دنانير ومَنْ شاء فليلحق بأهله [٢] . وعرف عن عمر بن عبد العزيز زهده بالخلافة وخشيته ومخافته فإن بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويبكي فنسمع نحيبه بالبكاء وهو يقول : أَبَعْدَ الثلاثة الذين واريتهم بيدي : عبد الملك ، والوليد ، وسليمان ! [٣] .

ولذلك حرص عمر على إحقاق الحق وردّ المظالم ، فما أن تولى الخلافة حتى أمر مناديه أن ينادي ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها فتقدم إليه ذمي من أهل حمص فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال وما ذاك ؟ قال : إن العباس بن الوليد اغتصبني أرضي والعباس جالس فقال عمر : وما تقول يا عباس ؟ قال : إن أمير المؤمنين الوليد أقطعني إياها ، وهذا كتابه . فقال عمر : ما تقول يا ذمي . قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى ، فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد أُردد إليه أرضه يا عباس فردّها إليه [٤] .

وقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أعْدِني [٥] على هذا ، وأشار إلى رجل . قال : فيم ؟ قال : أخذ مالي وضرب ظهري . فدعا به عمر ، فقال : ما يقول هذا ؟ قال : صدق ، إنه كتب إليَّ الوليد بن عبد الملك وطاعتكم

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ج١ ص ٥٨ .
(٢) تأريخ الخلفاء ص ١٩٠ .
(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٣ .
(٤) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٩ .
(٥) أعْدِني : انصرني .

فريضة . قال : كذبت لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله . وأمر بالأرض فرُدّت ألى صاحبها[1] .

ورُوي أن ردّ عمر بن عبد العزيز الأرض على الذمي وأخذها من العباس بن الوليد قد أساء بعض وجوه بني أُمية فإنه لمّا بلغ عمر بن الوليد ردّ الضيعة على الذمي كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشيناً لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً ولن تترك على هذا الحال والسلام . فلما قرأ كتابه كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد ، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد فقد بلغني كتابك أما أول شأنك يا ابن الوليد فأمك بنانة أمة السكون كانت تطوف في سوق حمص وتدخل في حوانيتها ثم الله أعلم بها ثم اشتراها ذبيان من بيت مال المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المولود ، ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً تزعم إني من الظالمين إذ حرمتك وأهل بيتك مال الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من إستعملك صنبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له في ذلك نية إلا حب الولد لولده فويل لأبيك ما أكثر خصماءه يوم القيامة ، وكيف ينجو أبوك من خصمائه وأن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج يسفك الدم ويأخذ المال الحرام ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قُرّة[2] إعرابياً جافياً على مصر وأذن له في المعازف

---

(١) العقد الفريد . ٤٣٢/٤ .

(٢) قرّة بن شريك بن مرثد هرام العنسي القنسريني ولاّه الوليد بن عبد الملك على مصر وكان قرة سيء التدبير خبيثاً غشوماً فاسقاً . وكا يقول عمر بن عبد العزيز : الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حيان المريّ بالحجاز وقرّة بمصر إمتلأت الأرض والله جوراً

- قيل إن قرّة والحجاج ماتا بشهر واحد وقيل بل عاش بعد الحجاج ستة أشهر .

واللهو والشرب ، وإن أظلم مني واترك لعهد الله من جعل لغالية البربرية في خمس العرب نصيباً فرويداً يا أبن بنانة فلو التقت حلقتا البطان وردّ الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم في الباطل ، ومن وراء ذلك ما أرجو أن أكون رأيته من بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامىٰ والمساكين والأرامل فإن لكلٍ فيك حقاً والسلام على من اتبع الهدى ولا ينال سلام الله القوم الظالمين[1] .

ثم أوصىٰ ولاته وعمّاله بالعدل فذكر أنه كتب بعض عمّال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا قد خربت ، فإن رأي أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نَرُمّها به فعل . فكتب إليه عمر : إذا قرأت كتابي هذا فحصّنها بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم فإنه مرمّتها والسلام[2] .

وكتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فإن أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك .

فكتب إليه عمر : أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ، فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام[3] .

وقد ضجر وجوه بني أُمية من سياسة عمر بن عبد العزيز وعدله ومجافاته لهم وأخذوا يظهرون ذلك فروي أنه دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا فمنعتناها ، ولي عيالٌ وضيعة أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي لما يصلح عيالي ؟ فقال : أحبكم من كفانا مؤنته ، ثم قال له : أكثر ذكر

---

(١) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٩ ، سمط النجوم العوالي ج ٣ ص ١٩٨ ، شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٥/٧٤ .
(٢) تأريخ الخلفاء ص ١٨٦ .
(٣) تأريخ الخلفاء ص ١٩٤ .

الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسّعه عليك وإن كنت في سعة من العيش ضيّقه عليك[1] .

وروي أنَّ بني أُمية فزعت إلى فاطمة بنت مروان عمته فأرسلت إليه أنه قد دعاني أمر لا بد من لقائك فيه ، فأتته ليلاً فأنزلها من دابتها فلما أخذت مجلسها قال : يا عمة أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فتكلمي ، فقالت : تكلّم يا أمير المؤمنين فقال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رحمة لم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه فترك لهم نهراً شِربهم فيه سواء ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فترك النهر على حاله ثم ولي عمر رضي الله عنه فعمل على أمر صاحبه فلما ولي عثمان رضي الله عنه اشتق من ذلك النهر نهراً ثم ولي معاوية فشقَّ منه الأنهار ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتىٰ أفضىٰ الأمر إليَّ وقد يبس ذلك النهر الأعظم ولن يروي أصحاب النهر حتىٰ يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه فقالت له : لقد أردتُ كلامك ومذاكرتك فلستُ بذاكرةٍ شيئاً أبداً ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه[2] .

وقيل : إنهم شكوه إلى عمته أُم عمر[3] فدخلت عليه فقالت : إن قرابتك شكوك ويزعمون ويذكرون أنك أخذت منهم خير غيرك قال : ما منعتهم حقاً أو شيئاً كان لهم وما أخذت منهم حقاً أو شيئاً كان لهم . فقالت : إني رأيتهم يتكلمون وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً . فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شرَّه ، فدعا بدينار وجَنْب وجمرة فألقىٰ ذلك الدينار في النار وجعل ينفخ الدينار حتىٰ إذا إحْمَرَّ تناوله بشيء فألقاه على الجَنْب فنش وقترَّ وقال : أي عمة أما تأوين لابن أخيك من مثل

---

(١) تأريخ الخلفاء ص ١٨٦ .

(٢) مختار الأغاني ٥/٢٥ ـ ٢٦ .

(٣) أم عمرو بنت مروان بن الحكم وأُمها زينب بنت عمر ابن أبي سلمة تزوجها سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان

هذا ؟ فقامت وخرجت إلى قرابته فقالت : تزوجون آل عمر فإذا نزع الشبه جزعتم ! اصبروا له[1] .

وعبّر عمر بن عبد العزيز أكثر من مرّة لوجوه بني أُمية ورجالهم عن نيته في إبعادهم عن الحكم وأنهم مع المسلمين سواء فنقل أنه كان جالساً وعنده أشراف بني أُمية فقال : أتحبون أن أولّي كل رجل منكم جنداً ؟ فقال رجل منهم : لِمَ تعرض علينا ما لا تفعله ؟ قال : أترون بساطي هذا ؟ إني لأعلم إنه يصير إلى بلى وفناء وإني أكره أن تدنّسوه بأرجلكم فكيف أولّيكم أعراض المسلمين وأبْشارهم[2] ؟ هيهات لكم هيهات ! فقالوا له : أما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ قال : ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا إلّا سواء ، إلا رجلاً من المسلمين حبسه عني طول شقته[3] .

وتعتبر خلافة عمر بن عبد العزيز انقلاباً كبيراً في سياسة الأمويين تجاه أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فصرف عمال مَن كان قبله من بني أُمية واستعمل اصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن علي على المنابر وجعل مكانه «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم» وقيل : بل جعل مكان ذلك «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» وقيل : بل جعلهما جميعاً فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية[4] .

وقد جمع عمر حين أُستخلِفَ بني مروان فقال : إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كانت له فدك ينفق منها ويعول منها على صغير بني هاشم

---

(١) تأريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء/٥٤٢ .

(٢) البشرة اعلى الوجه والجسد من الإنسان وفي الحديث : لم أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم .

(٣) تأريخ الخلفاء ص ١٨٩ .

(٤) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ١٩٣ .

ويزوج منها أيمهم وإن فاطمة سألته أن يجعلهـا لها فـأبىٰ فكانت كـذلك حياة أبي بكر ثم عمر ثم أقطعها مروان ثم صارت لعمـر بن عبد العـزيز فـرأيت أمراً منعـه رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم) فـاطمـة ليس لي بحق وإني أشهدكم إني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[1] .

وعمـر بن عبـد العـزيـز أول من أظهـر كتب علي بن أبي طـالب (عليـه السـلام) من خـزائن بني أمية وأنهـا لعلي وكـان علي (عليـه السـلام) كتب لمحمـد بن أبي بكر كتـاباً ينـظر فيـه ويتعلم منـه فلمـا ظهـر عليـه وقتـل أخـذ عمرو بن العاص كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان وكـان معاويـة ينظر في هذا الكتاب[2] ويعجبه فقال الوليد بن عقبة وهو عند معـاوية لمـا رأى إعجاب معاوية به : مر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال له معاوية : مه ، يا ابن أبي مُعيط إنه لا رأي لك ، فقال له الوليد : إنه لا رأي لك ، أفمن الـرأي أن يعلم النـاس أن أحاديث أبي تـراب عنـدك ؟ تتعلم منهـا وتقضي بقضـائـه ؟ ! فعلام تقاتله ؟ ! فقال معاويـة : ويحك أتـأمرني أن أحـرق علماً مثـل هذا ؟ ! والله ما سمعت بعلمٍ أجمع منـه ولا أحكم ولا أوضح فقـال الوليـد : إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقـاتله ؟ فقال معـاوية : لـولا أن أبا تـراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه ، ثم سكت هنيئة ثم نظر إلى جلسائه فقال : إنا لا نقـول : إن هذه من كتب علي بن أبي طـالب ولكنّا نقـول : إن هـذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمدٍ فنحن نقضي بها ونفتي .

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتىٰ ولّي عمر بن عبـد العزيـز فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب (عليه السلام)[3] .

---

(١) تأريخ الخلفاء ص ١٨٥ .

(٢) كتـاب علي (عليه السـلام) لمحمد بن أبي بكـر حين ولّاه إمـارة مصـر ويـرىٰ ابن أبي الحديد أن الأليق كونه ـ الكتاب ـ لمالك الأشتر المعروف بعهد الإمام لمالك الأشتر .

(٣) الغـارات ، لابن هـلال الثقفي : ص ١٦٠ ، ص ١٦١ تحقيق السيـد عبـد الـزهـراء الحسيني الخطيب .

أما علاقـة عمر بن عبـد العزيـز مع الـطالبيين وسيرتـه معهم فهي متميزة وخاصة مع شيخ الـطالبيين وزعيمهم الإمام البـاقر (عليـه السلام) فمـا إن ولي عمر الخلافـة كرّم الإمـام أبا جعفـر (عليه السـلام) وقد أرسـل خلفه فنـون بن عبـد الله بن عتبة بن مسعـود وكان من عبّـاد أهل الكـوفة فـاستجاب لـه الإمام (عليـه السلام) وسـافر إلى دمشق فـاستقبله عمر استقبـالاً رائعـاً واحتفىٰ بـه ، وجـرت بينهما أحـاديث ، وبقي الإمام أيـامـاً في ضيـافتـه ، ولمـا أراد الإمـام الإنصـراف إلى يثرب خفّ[1] إلى تـوديعـه فجـاء إلى البـلاط الأمـوي وعـرف الحاجب بأمره فأخبر عمر بذلك فخرج رسوله فنادى أين هو أبو جعفـر ليدخـل فأشفق الإمام أن يدخل خشية أن لا يكون هو فقفل الحـاجب إلى عمر واخبـره بعدم حضور الإمام فقال لـه : كيف قلت ؟ قال : قلت أين أبـو جعفر ؟ فقـال له : أخرج وقـل أين محمد بن علي ؟ ففعـل ذلك ، فقـام الإمام ودخـل عليه وحدثه ثم قال له : إني أريد الوداع ، فقال له عمر : أوصني .

قال (عليه السلام) : «أوصيك بتقـوى الله ، وأن تتخذ صغيـر المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً وكبيرهم أباً ، فأرحم ولدك ، وصل أخـاك ، وبرّ أبـاك ، وإذا صنعت معروفاً فربّه»[2] وبهرعمر من وصية الإمـام وراح يقول بـإعجاب : «جمعت والله لنا ، ما إن أخـذنا بـه وأعاننـا الله عليه استقـام لنا الخيـر إن شاء الله» .

وخرج الإمام من عنده ، ولمّا أراد الرحيل بادره رسول عمـر فقال لـه : إن عمـر يريـد أن يأتيـك ، فانتـظره الإمام حتىٰ أقبـل فجلس بين يدي الإمـام مبالغة في تكريمه وتعظيمه ثم انصرف عنه[3] .

وأراد عمر بن عبد العزيز أن يختبر الإمام الباقر (عليه السلام) فكتب إليه فأجابه الإمام برسالة فيها مـوعظة ونصيحـة له فقـال عمر : أخـرجوا كتـابه إلى

---

(١) خفّ : الخفة ضد الثقل وهنا السرعة .

(٢) حياة الإمام الباقر : ١/٢٨٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٢/٥٢ .

سليمان فأخرج له فإذا فيه تقريظ ومدح لـه فأنفـذه إلى عامله على يثـرب وأمره أن يعرضه عليه مع كتـابه إلى عمـر ويسجل مـا يقولـه الإمام (عليـه السلام) : وعرضه العامل على الإمام فقال (عليه السلام) : إن سليمـان كان جبـاراً كتبت إليه ما يكتب إلى الجبـارين وإن صاحبـك أظهر أمـراً وكتبتِ إليه بمـا شاكله ، وكتب العامل هذه الكلمات إلى عمـر فلما قـرأها أبـدى إعجابـه بالإمـام وراح يقول : «إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل»[1].

وكـان الإمام البـاقر يقـول لسائـل سألـه عن عمر بن عبـد العزيـز : «أما علمت أن لكل قوم نجيبة وإنَّ نجيب بني أُمية عمـر بن عبد العـزيز وإنـه يبعث يوم القيامة أمة»[2] .

وروي أنـه دخل عبـد الله بن حسن[3] على عمـر بن عبـد العـزيـز وهـو حديث السن وله وَفْرة فرفع مجلسه وأقبـل عليه وقضىٰ جـوائجه ثم أخـذ عُكنةً من عُكَنِه[4] فغمزها حتىٰ أوجعه وقال له : أذكرها عندك للشفاعة . فلما خـرج لامـه أهله وقالـوا : فعلت هذا بغـلام حديث السن ! فقـال : إن الثقة حـدثني حتىٰ كـأني أسمعه من في رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) قالَ : إنمـا فاطمة بضعة مني يسرُّني ما يسرّها[5]» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرّهـا ما فعلت بإبنها . قالوا : فما معنىٰ غمزك بطنه وقولك ما قلته ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلاّ وله شفاعة فرجوت أن أكون في شفاعة هذا[6] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) حلية الأولياء : ٥/٢٥٤ ، الوافي بالوفيات . ٢٢/٥٠٨ .

(٣) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهـا السلام ، أُمـه فاطمـة بنت الحسين بن علي (عليـه السـلام) ، قتله المنصـور مـع جمـاعـة من بني الحسـن (عليـه السلام) وقد حبسه المنصور وأهل بيته بسبب ابنه محمد بن عبد الله .

(٤) العكن والإعكان الإطواء في البطن من السِّمن .

(٥) حـديث مشهور يتفق عليـه جمهور المسلمين مضـافاً إلى عشـرات الأحاديث في فضـل فاطمة الزهراء عليها السلام .

(٦) الأغاني : ٩/٢٦٣ ، مقاتل الطالبيين/١٦٩ .

وعن يـزيـد بن عيسىٰ بن مـورق قـال : كـنت بـالـشـام زمن ولـي عمر بن عبد العزيز وكان بخُناصِرة[1] وكان يعطي الغربـاء مائتي درهم. قـال: فجئته فأجده متكئاً على أزار وكسـاء من صوف . فقـال لي : ممن أنت ؟ قلت من أهـل الحجاز قـال : من أيِّهم ؟ قلت : من أهل المـدينة ، قـال : أيهم ؟ قلت : من قـريش ، قال : من أي قـريش ؟ قلت : من بني هاشم ، قـال من أي بني هـاشم ؟ قلت : مولى علي قـال : من علي ؟ فسكتُّ ، قـال : من ؟ فقلت : ابن أبي طـالب . فجلس وطـرح الكسـاء ثم وضـع يـده على صـدره وقال : وأنا والله مولى علي ، ثم قال : أشْهد على عدد من أدرك النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «من كنت مولاه فعلي مولاه» . أين مزاحم ؟ كم تعطي مثله ؟ قـال : مائتي درهم ؟ قـال : إعـطه خمسين دينـاراً لـولائـه من علي . ثم قـال : أفي فـرض أنت ؟ قلت : لا ، قال : وافرض له ، ثم قال : الحق بلادك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرك[2] .

وفي الوافي بالـوفيات : إن رزيق القـرشي المدني مـولى علي وفد على عمر بن عبد العـزيز وكـان قد حفظ القـرآن والفرائض فقـال أنا رجـل من أهل المـدينة وحفـظت كذا وكـذا وليس لي ديوان فقـال له : من أي النـاس أنت ؟ قال : من موالي بني هاشم . قال : مـولى من ؟ قال : رجـل من المسلمين . فقـال له : أسـألك من أنت وتكتمني فقـال : أنا مـولى علي بن أبي طـالب . فبكىٰ عمـر حتىٰ وقـع دمعـه على الأرض وقـال : أنـا مـولى علي ، إن النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) قـال : من كنت مـولاه فعلي مـولاه . ثم أمـر لـه بجائزة وقيل إن هذا المولى كان عمر بن المورق وأعـطي خمسين ديناراً لـولاء علي وكان عطاء غيره مائة أو مأتين[3] .

---

(١) خناصرة : من أعمال حلب .

(٢) الأغاني : ٩/٢٦٤ .

(٣) الوافي بالوفيات : ١٤/١١٥ . سيرة عمر لابن الجوزي /١٦

ورُوِيَ أنه بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه ، دخل حاجبه ومعه امرأةٌ أدْماء[1] طويلة حسنة الجسم والقامة ، ورجلان متعلّقان بها ، ومعهم كتاب من ميمون بن مِهران[2] إلى عمر ، فدفعوا إليه الكتاب ففضّه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، من ميمون بن مهران ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فإنه وَرَدَ علينا أمرٌ ضاقت به الصدور ، وعجزت عنه الأوساع[3] ، وهربنا بأنفسنا عنه ، ووكلناه إلى عالمه ، لقول الله عزّ وألّ : «ولو رَدُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لَعَلِمه الذين يستنبطونه منهم» ، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها ، وأن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) خيرُ هذه الأُمة وأولاها برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأنه يزعم أن ابنته طلقتْ منه ، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صِهْراً ، وهو يعلم أنها حرامٌ عليه كأمِّه . وإنَّ الزوج يقول له : كذبت وأثمت ، لقد بَرّ[4] قسمي ، وصدقت مقالتي وإنها امرأتي على رغم أنفكَ، وغيظ قلبك . فاجتمعوا إليَّ يختصمون في ذلك فسألت الرجلَ عن يمينه ، فقال : نعم قد كان ذلك ، وقد حلفت بطلاقها أنّ عليّاً خير هذه الأُمة وأولاها برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، عرفه مَن عرفه ، وأنكره من أنكره ، فليغضب من غضب ، وليرض من رضي ، وتسامع الناس بذلك ، فاجتمعوا له ، وإن كانت الألسنُ مجتمعة فالقلوب شتىٰ ، وقد علمتَ يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، وتسرُّعهم إلى ما فيه الفتنة فاحجمنا عن

---

(١) الآدَمُ من الناس الأسمر .

(٢) ميمون بن مهران الرَّقي ، فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة بالكوفة واعتقته فنشأ فيها ثم استوطن الرقة من بلاد الجزيرة الفراتية فكان عالم الجزيرة وسيدها فاستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها ، وكان على مقدمة الجند الشامي مع معاوية بن هشام بن عبد الملك لمّا عبر البحر غازياً إلى قبرس سنة ١٠٨ هـ

(٣) الوسع : الجدة والطاقة .

(٤) برَّ : صدق

الحكم لتحكم بما أراك الله ، وأنهما تعلّقا بها ، وأقسم أبوها ألا يدعها معـه ، وأقسم زوجها ألا يفارقها ولو ضـربت عنقه إلا أن يحكم عليه بذلـك حاكم لا يستطيع مخالفته ، والامتناع منه ، فرفعناهم إليـك يا أميـر المؤمنين أحسنَ الله توفيقك وأرشدك !

وكتب في أسفل الكتاب :

إذا مـا المشكـلات وردْن يـومـاً ... فحـارتْ في تـأمُّـلهـا الـعيـونُ
وضـاق القـومُ ذرعـاً عن نبـاهـا ... فـأنـت لـهـا أبـا حفصٍ أميـنُ
لأنـك قـد حـويتَ العـلمُ طـرّاً ... وأحكمـكَ التـجـاربُ والشـؤونُ
وخلّفـكَ الإلـه على الـرّعـايـا ... فحـظّك فيـهـم الحظُّ الثمـينُ

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أُميّة وأفخاذ قـريش ، ثم قال لأبي المـرأة : ما تقـول أيها الشيـخ ؟ قال : يـا أمير المؤمنين ، هـذا الـرجـل زوّجتُه ابنتي ، وجهزّتها إليه بأحسن ما يجهّز به مِثلُها ، حتىٰ إذا أمّلت خيرَه ، ورجوتُ صرحَه ، حلف بطلاقها كاذباً ، ثمّ أراد الإقامة معها ، فقال له عمر : يا شيخ لعله لم يُطلّق امرأته ، فكيف حَلَف ؟ قال الشيخ : سبحان الله ! الذي حلف عليه لأَبْيَنُ حِنثاً ، وأوضح كذباً من أن يختلجَ[1] في صدري منه شكٌ ، مع سنّي وعلمي لأنه زعم أن علياً خيرٌ هـذه الأُمة وإلا فـأمرأتـه طالق ثـلاثاً ، فقـال للزوج : ما تقـول ؟ أهكذا حَلَفتَ ؟ قـال : نعم ، فقيل : إنـه لما قـال نعم ، كاد المجلس يرتجُّ بأهله ، وبنو أُمية ينظرون إليه شزراً[2] ، إلا أنهم لم ينطقوا بشيء كلٌّ ينظرُ إلى وجه عمر .

فأكبَّ[3] مَليّاً ينكت[4] الأرض بيده والقومُ صـامتون ينـظرون ما يقـولهُ ، ثم رفع رأسه وقال :

(١) تخالج في صدري أي شككت .
(٢) الشزر : نظر الغضبان بمؤخر عينه .
(٣) أكبَّ أي أطرق .
(٤) ينكت : يضرب .

إذا وَليَ الحكومة بين قومٍ أصابَ الحقّ والتمسَ السَّدادا
وما خيرُ الإمامِ إذا تعدَّى خلافَ الحقِّ واجتنبَ الرُّشادا

ثم قال للقوم : ما تقولون في يمين هذا الرجل ؟ فسكتوا ، فقال : سبحان الله ! قولوا .

فقال رجلٌ من بني أُمية : هذا حُكم في فرجٍ ، ولسنا نجترىءُ على القول فيه ، وأنت عالم بالقول ، مؤتمن لهم وعليهم ، قل ما عندك ، فإن القول ما لم يكن يُحِقُّ باطلاً ويُبطل حقاً جائزٌ عليّ في مجلسي .

قال : لا أقول شيئاً . فالتفت إلى رجل من بني هاشمٍ من ولد عقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيليّ ؟ فاغتنمها فقال : يا أمير المؤمنين إن جعلتَ قولي حكماً ، أو حكمي جاشزاً قلتُ ، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي ، وأبقىٰ للمودة . قال : قل وقولك حكم وحكمك ماض .

فلما سمع ذلك بنو أُمية قالوا : ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لُحَمتِك وأُولي رحمك ! فقال عمر : اسكتوا أعجزاً ولؤماً ! عرضتُ ذلك عليكم آنفاً فما أنتدبتم له . قالوا : لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقلي ، ولا حكّمتنا كما حكّمته ، فقال عمر . إن كان أصاب وأخطأتم ، وحزم وعجزتم ، وأبصر وعميتم ، فما ذنب عمر ، لا أبا لكم ! أتدرون ما مثلكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : ليكن العقيلي يدري ، ثم قال · ما تقول يا رجل ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كما قال الأول :

دُعيتم إلى أمرٍ فلما عجزتمُ تناوله من لا يُداخله عَجْزُ
فلما رأيتم ذاك أُبدت نفوسكم نِداماً وهل يغني من الحذر الحرْزُ !

فقال عمر : أحسنت وأصبت ، فقل ما سألتك عنه . قال : يا أمير المؤمنين ، برّ قسَمُه ولم تطلق امرأته ، قال : وأنّى علمتَ ذاك ؟ قال : نشدتُك الله يا أمير المؤمنين ، ألم تعلمْ أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله

وسلّم) قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائدٌ لها : يا بُنيّه ، ما عِلّتك ؟ قالت : الوعَك[1] يا أبتاه ـ وكان علي غائباً في بعض حوائج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ـ فقال لها أتشتهين شيئاً ؟ قالت : نعم أشتهي عنباً ، وأنا أعلم أنه عزيز[2] ، وليس وقت عنب ، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : إن الله قادرٌ على أن يجيئنا به ، ثم قال : اللهم ائتنا به مع أفضل أُمتي عندك منزلةً .

فطرق علي الباب ، ودخل ومعه مِكتَل[3] قد القىٰ عليه طرف ردائه ، فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : ما هذا يا علي ؟ قال : عنب التمستُه لفاطمة (عليها السلام) ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، اللّهم كما سررْتني بأن خصصت علياً بدعوتي فأجعل فيه شفاء بُنَيَّتي ، ثم قال : كلي على اسم الله يا بُنية ، فأكلت ، وما خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتىٰ استقلّت وبرأت فقال عمر : صدقتَ وبَرَرْتَ ، أشهد لقد سمعتُه ووعيتُه ، يا رجل ، خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه .

ثم قال : يا بني عبد مناف ، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا ، ولا بنا عمىٰ في ديننا ولكنّا كما قال الأول :

تصيَّدت الدنيا رجالاً بفخِّها[4]	فلم يُدرِكوا خيراً بل استقبحوا الشرّا
وأعماهم حبُّ الغِنىٰ وأصمَّهُمْ	فلم يُدركوا إلاّ الخسارة والوزرا

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران :

عليك سلامٌ ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلا هو ، أما بعد ، فإني قد فهمت كتابك ، وورد الرجلان والمرأة ، وقد صدق الله يمين الزوج ، وأبرّ

---

(١) الوَعْك : مَغْثُ الحُمّىٰ وقد وعكته الحمىٰ فهو موعوك .
(٢) عزيز : نادر .
(٣) المِكتل : شبه الزّنبيل يسع خمسة عشر صاعاً .
(٤) الفخّ : المصْيَدة .

قسمه ، وأثبته على نِكاحه ، فاستيقنْ ذلك ، واعمل عليه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[1]

وروى أنه (رض) صعد المنبر ذات يوم بمكة فقال : أيها الناس من كانت له ظلامة فليتقدم فتقدم علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه فقال : إن لي ظلامة عندك فقال : وما ظلامتك ؟ فقال : مقامك هذا الذي أنت فيه . فقال : إني لأعلم ذلك ولكن لو علمت إن الناس يتركونه لك والله لتركته[2] .

وكان سبب محبته علياً أنه قال : كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك - يعني سب علي - فأتيته يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ من صلاته التفت إليَّ فقال لي : متىٰ علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟ قلت لم أسمع ذلك ، قال : فما الذي بلغني عنك في علي ؟ فقلت معذرة إلى الله وإليك ! وتركت ما كنت عليه .

وكان أبي إذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج فقلت : يا أبه أنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر علي عرفتُ منك تقصيراً ؟ قال : أوفطنت لذلك ؟ قلت : نعم . قال : يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرّقوا عنا إلى أولاده[3] .

ويقول في ذلك كثير عزّة :

وليت فلم تشتم علياً ولم تُخِفْ ... برياً ولم تقبل إشارة مجرم
وأظهرت نور الحق فاشتد نورُه ... على كل لبسٍ بارقِ الحق مظلم
وعاقبت[4] فيما تقدمْتَ قبله ... وأعرضت عمّا كان قبل التقدم
وصدَّقْتَ بالفعل المقال مع الذي ... أتيت فأمسىٰ راضياً كل مسلم

---

(1) شرح نهج البلاغة : م ٨٨٢/٥ - ٨٨٥ .
(2) سمط النجوم : ٢٠٤/٣ .
(3) الكامل لابن الأثير : ٤٢/٥ .
(4) عاقبت . جعلته عاقباً وتالياً .

تكلمت بالحق المبين وإنما تبيَّن آياتُ الهدى بالتكلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه[1] من الأود[2] البادي ثقاف[3] المقوّم [4]

وقد قيل إن رجلاً قال في مجلس عمر بن عبد العزيز عن يزيد بن معاوية أمير المؤمنين ، فقال له عمر بن عبد العزيز : تقول أمير المؤمنين ! وأمر به: فضرب عشرين سوطاً تعزيراً له[5] .

ولم تطل مدة خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت بنو أُمية قد تبرمت بعمر لكونه شدّد عليهم وانتزع كثيراً مما في أيديهم مما غصبوه ، وكان قد أهمل التحرز فدسوا له غلاماً سقاه السم . ثم دعا الغلام وقال : ويحك ما حملك على أن تسقيني السم ؟ قال : ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق . قال عمر : هاتها ، فالقاها في بيت مال المسلمين ، وقال : إذهب حيث لا يراك أحد[6] .

ونقل أنه لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبي وأُمي مَنْ خلفتّهم بعدي فقراء ! فقال له مسلمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين فعقّب فِعلكَ وأغنِهم ، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعه الوالي بعدك فنظر إليه مغضب متعجب فقال : يا مسلمة منعتهم إياه في حياتي واسقى به بعد وفاتي ! إن ولدي بين رجلين إما مطيع لله ، فالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه ، أو عاصٍ له فما كنت لأُعينه على معصيته . يا مسلمة إني حضرت أباك لما دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضىٰ إلى أمرٍ من أمر الله راعني وهالني فعاهدت الله ألّا أعمل بمثل عمله

---

(١) الزيغ : الجور عن الحق .
(٢) الأود : الأعوجاج .
(٣) الثقاف : الحديدة يقوم بها المعوج .
(٤) ديوان كثير عزة ٣٣٤ .
(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٦٣/١ لجمال الدين الاتابكي .
(٦) سمط النجوم العوالي ٢٠٢/٣ .

أن وليتُ وقد إجتهدت في ذلك طول حياتي وأرجو أن أُفضي إلى عفوٍ من الله وغفران[1] .

وقد توفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من أعمال حمص لعشر بقين وقيل لخمسٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذٍ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر[2] .

ورثاه الفرزدق :

أقول لمّا بعىٰ الناعون لي عمراً … لقد نعيتم قوام الحق والدين

قد غيَّب الرامسون اليوم إذ رمسوا … بدير سمعان قسطاس الموازين

لم يُلهِهِ عمَرهُ عينٌ يفجِّرُها … ولا النخيل ولا ركض البراذين[3] [4]

وقال كثير عزة يرثيه :

بكت عمر الخيرات عيني بعبرةٍ … عليها إثر أخرى تستهل[5] شؤونها[6]

تذكرتُ أياماً خلت ولياليا … بها الأمن فيها العدل كانت تكونها

فإنْ تصبح الدنيا تغيَّر صفوها … فحالت وأمست وهي غثٌّ[7] سمينها

فقد غَنَيتْ[8] إذ كنت فيها رخيَّةً … ولكنها قِدماً كثيرٌ فنونها[9]

فلو كان ذاق الموتَ غيرك لمْ تجد … سخياً بها ـ ما عشت فيها ـ يمونها

فمن لليتامىٰ والمساكين بعده … وأرملة باتت شديداً أنينها

وليس بها سقم سوى الجوع لم تجد … على جوعها من بعدها من يعينها

(1) الأغاني ٩/٢٦٥ .

(2) تاريخ الخلفاء /١٩٧ .

(3) البرذون · الدابة .

(4) مروج الدهب : ٣/٢٠٥ .

(5) تستهل : تبكي .

(6) الشؤون : مجاري الدموع .

(7) أصبح السمين غثاً : أصبح الجيد رديئاً .

(8) عنيت : أقامت وظلت

(9) فنوبها : أحوالها وصروبها .

وكنتَ لهـا غيثـاً مـريعـاً[1] ومـرتعـاً كما في غمار البحر أمرع[2] نونها[3](4)

وللشريف الرضي[5] في عمر بن عبد العزيز قوله :

يـا ابن عبـد العـزيـز لـو بكت العـ ـيـن فتـى مـن أمـيـة لـبكـيـتـك
غيـر أنـي أقـول إنـك قـد طبـ ـتَ وإن لم يـطب ولم يـزك بيتـك
أنـت نـزَّهتـنـا عن السب والقـذ فِ[6] فلو أمكن الجـزاء جـزيتـكْ
ولـو أنـي رأيـت قـبـرك لاسـت حييـتُ من أن أرى ومـا حييـتـك
وقـليـل أن لـو بـذلـت دمـاء الـ ـبـدن حـزنـاً على الـذرى وسقيتك
ديـر سـمـعـان لا أغـبـك غـاد خيـر ميت من آل مـروان ميتـك
أنت بـالـذكـر بيـن عيني وقـلبي إن تـدانيت منـك أوقـد نـأيتـك[7]
وعـجـيـبٌ إنـي قـليـت بـنـي مـر وان طـراً وإنـنـي مـا قـليتـك[8]
وإذا حـرَّك الـحـشـا خـاطـر منـ ـك تـوهـمت إنـنـي قـد رأيتـك
قـرب العـدل منـك لمـا نـأى الجـو ر بهـم فـاجتـويتهم[9] واجتبـيتـك
فـلو أنـي مـلكـت دفـعـاً لـمـا نـا بك من طـارق الـردى لفـديتـك[10]

---

(١) المريع : الخصب الناجع .

(٢) شبع وأخصب .

(٣) النون : السمك .

(٤) ديوان كثير ص ١٧٨ .

(٥) الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي من أجلاء فقهاء الامامية ، أعلم زمانه في الشعر والأدب وهو الذي جمع نهج البلاغة من خطب وكلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وله من المصنفات الجليلية في التفسير والعقائد والأدب والحديث وله ديوان شعر وقد قيل فيه وفي أخيه المرتضى : الشريف الرضي أشعر الفقهاء والمرتضىٰ أفقه الشعراء .

(٦) القذف : الرمي ويقصد التنزيه عن رميهم بالباطل .

(٧) نأى : بعد .

(٨) قليتك : قلاه أبغضه .

(٩) يُقال اجتويت البلد إذ كرهت المقام به .

(١٠) ديوان الشريف الرضي : ١/١٦٩ .

٢٢

عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية

أُمه ابنة عمر بن عثمان بن عفان ، وكان يعرف بالعَرْجي[١] ، وإنما لقب العَرْجي لأنه كان يسكن عرج[٢] الطائف وقيل بل سمي بذلك لماءٍ كان له ومال عليه بالعرج ، وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منها ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة[٣] في ذلك وتشبَّه به فأجاد ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه[٤] .

وحُدِّث أن عمر بن أبي ربيعة لمّا مات في الشام ونعي بكت عليه مولَّدة من مولَّدات مكة كانت لبعض بني مروان وجعلت توجع له وتفجع عليه وقالت : مَنْ لأباطح مكة بعده وكان يصف حسنها وملاحة نسائها ، فقيل لها : إنه حدث فتىً من ولد عثمان بن عفان يسكن عرج الطائف شاعر يذهب مذهبه . فقالت : الحمد لله الذي جعل له خلفاء ، سرَّيْتم والله عني[٥] .

---

(١) أنساب البلاذري : ق ١١٢/٥ .

(٢) عرج الطائف : قرية في وادٍ من نواحي الطائف وهي أول تهامة بينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً .

(٣) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أرق شعراء عصره من طبقة الفرزدق وجرير ولم يكن في قريش أشعر منه ، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب فسمي باسمه وكان يفد على عبد الملك فيكرمه ويقربه ، ورفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاجّ ويشبب بهن فنفاه إلى دهلك ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به فمات فيها غرقاً .

(٤) الأغاني : ٣٨٥/١ .

(٥) أنساب البلاذري : ق ١١٤/٥ .

وفي الأغاني : أنها كانت تقول : مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونُزَهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ووصف ما فيهن ! فقيل لها : خَفِّضي عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه فقالت : انشدوني من شعره فأنشدوها فمسحت عينها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يضيِّع حرَمَه[1] .

ويُقال : إنّ العرجي بعث إلى امرأة فأتته على حمار ومعها جارية على أتان[2] فوثب الحمار على الأتان وغلامه على جاريتها وقام فباضعها فقال : هذا يوم قد غاب عُذّالُهُ[3] .

وقال العرجي في امرأة من بني حبيب يُقال لها : عاتكة وكانت زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي :

يا دار عاتكةَ التي بالأزهر | أو فوقه بقفا الكثيب الأحمرِ
لم ألق أهلكِ بعدَ عامَ لقيتُهم | يا ليت أن لقاءهم لم يُقدَّرِ
بفناء بيتك وابن مشعَبَ حاضرٌ | في سامرٍ[4] عطرٍ وليلٍ مقمرِ
مستشعرين[5] ملاحِفاً هرويةً | بالزَّعفران صباغها والعصفرِ
فتلازما عند الفراق صبابةً | أخْذَ الغريم بفضل ثوب المعسرِ[7]

وكان يتعرض لأم الأوقص وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي فمرَّ يوماً ببطن النقيع فنظر إليها وكانت متى رأته رمت بنفسها إلى الأرض وتسترت منه وهي امرأة من بني تميم فبصر بها في نسوة جالسة يتحدثن فأحب أن

---

(١) الأغاني : ١/٣٨٧ .
(٢) الاتان : الحمارة .
(٣) العذال : الملامة .
(٤) سامر : مجلس السمّار .
(٥) مستشعرين : لابسين .
(٦) الملاحف : كل ما التحف به .
(٧) الأغاني : ١/٣٩٣ .

يتأملها من قرب. فلقي إعرابياً من بني نصر ومعه وطْبا لبن فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه وأقبل على النسوة فصحن به : يا أعرابي أمعك لبن ؟ قال : نعم . ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص وتواثب من معها إلى الوطبين وجلس العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض فقالت امرأة منهن : أي شيء تطلب في الأرض يا اعرابي ؟ قال : قلبي ! فلما سمعته التميمية نظرت إليه وكان اشقر ازرقَ جميل الوجه فقالت : العرجي بن عمرو ورب الكعبة وسترها نساؤها ! وقلن : لا حاجة لنا في لبنك فمضى منصرفاً وقال :

أقول لصاحبيَّ ومثل ما بي ... شكاةُ المرء ذي الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلهما إذا ما ... تأوَّبه مؤرِّقةُ الهموم
لَحيني والبلاء لقيت ظهراً ... بأعلى النَّقع أخت بني تميم
فلما أن رأت عيناي منها ... أسيلَ[1] الخدِّ في خلقٍ عميم
وعينَيْ جؤذر حزقٍ وثغراً ... كلون الأقحوان[2] وجيدِ ريم
حنا أترابها دوني عليها ... حُنوُّ العائدات إلى السقيم[3]

ويُقال : إن مولاةٍ لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العبْليّ وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن في شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول : لَشدَّ ما أجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره ! ولعمري ما لقي أحداً فيه خير ، ولئن لقيتُهُ لأسودنَّ وجهه ! فبلغه ذلك عنها - وكان العبلي نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يُقال له : الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكة والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف - فبلغ العرجي أنه خرج إلى مكة فأتى قصره فأطاف به فخرجت إليه كلابة وكان خلَّفها في أهله فصاحت به : إليك ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنوا من القصر فاستسقاها ماءً

---

(١) أسيل الخد أي لين الخد طويله .

(٢) الأقحوان : البابونج وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض وسطه أصفر .

(٣) الوافي بالوفيات : ١٧/٣٨٤ .

فأبت أن تسقيه وقالت : لا يوجدَ والله أثَرُك عنـدي أبداً فيلصق بي منـك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ! وقال :

حـور بَـعَثْـنَ رسـولاً في مُـلاطفـةٍ ... ثقفـاً إذا غَفَـل النَّسَّـاءةُ الـوَهِمُ[1]

إلـيَّ أن إيتـنِـا هـدْأً[2] إذا غـفـلتْ ... أحـراسُنَـا وافتضحـنـا إن همُ عَلِمـوا

فجئتُ أمشي على هــولٍ أُجَشَّمُــه ... تَجَشُّمُ المرء هـولاً في الهـوى كَـرَمُ

إذا تـخـوَّفت مـن شيء أقــولُ لــه ... قـد جفَّ فـامِض بشيءٍ قُـدِّر القلمُ

أمشي كمـا حَـرّكت ريـحٌ يمـانيـةٌ ... غصناً من البـانِ رطباً طلَّه الـدِّيَمُ[3]

في حُلّةٍ من طراز السُّوس[4] مُشَربةٍ ... تعفـو بُهـدّابهـا مـا أثَّـرتْ قـدمُ

خلّت سبيلي كمـا خَلَّيـتُ ذا عُـذرٍ ... إذا رأتـه عِنـاق الخيـل ينـتـجـم

وهنّ في مجلسٍ خـالٍ ولـيس لــه ... عـين عـليهـن أخشـاهـا ولا نـدم

حتىٰ جلست إزاء البـاب مكـتـتمـاً ... وطـالبُ الحـاج تحت الليـل مكتتم

أبْـدَينَ لي أعينـاً نُجْـلاً كمـا نظرت ... أُدْمٌ هِـجـانٌ مُـصـعَـبٌ قـطِمُ[5]

قـالت كـلابـة من هـذا فقلت لهـا ... أنـا الـذي أنت من أعـدائه زعمـوا

أنـا امـرؤ جـدّ بي حبٌ فـأحـرضني ... حتىٰ بَلِيتُ وحتىٰ شفَّني السَّـقَمُ

لا تـكلينـي إلـى قــومٍ لــو أنّـهُـمُ ... من بغضنا أطعموا لحمي إذا طعمـوا

وأنعمي نعمــة تُجـزَيْ بـأحسنهـا ... فـطالمـا مسَّـني مـن أهلك النعـمُ

سَتْـرُ المحبين في الـدنيـا لعلهـمُ ... أن يُحـدثـوا تـوبـةً فيهـا إذا أثمـوا

هـذي يمينيَ رهنٌ بـالـوفـاء لكم ... فارضىْ بها ولأنف الكاشح الرَّغَمُ[6]

---

(١) الثقف : الحـاذق الفهم ، النساءة : صيغـة مبـالغة في النـاسي ، الـوهم : كثير الوهم .

(٢) الهدء : الثلث الأول من الليل .

(٣) الديم : المطر .

(٤) السوس : بلدة بخوزستان يُقال لها اليوم شوش دانيال نسبة إلى النبي دانيال لوجود قبره فيها .

(٥) المصعب : الفحل والقطم المشتهي للضراب .

(٦) الرَّغم : أي الذال والرغام هو التراب واطلق على الذليل فيقولون مُرِّغ انفه بالتراب .

قــالت رضيت ولكن جئت في قمرٍ — هــلاَّ تلبَّثتَ حتىٰ تـدخُـلَ الـظُّلمُ

فبتُّ أُسْقى بـأكـواسٍ أُعَـلُّ بهـا — من بـاردٍ طابَ منهـا الـطعم والنَّسَمُ

حتىٰ بـدا ساطـعٌ للفجـر نَحْسَبُـه — سَنَـا حـريقٍ بليـلٍ حين يضـطرم

كغُرَّة الفرس المنسوب[1] قدحُسِرَتْ[2] — عنـه الجـلالُ[3] تـلالا وهـو يلتجم

ودَّعـتـهـنّ ولا شـيءٌ يـراجـعـنـي — إلا الـبنـانُ وإلا الأعـيـنُ الـسُّجُـمُ

إذا أرَدْنَ كـلامي عنـده اعتـرضت — من دونـه عبـراتٌ فـانثنىٰ الكـلم

تكـاد إذ رُمْنَ نهضـاً للقيـام معي — أعجـازهنّ من الأنصـاف تنقـصم

فسمـع ابن القاسم العبليّ بـالشعر يُغنىٰ بـه ، وكان العـرجي قد أعـطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يُغنُّوا فيـه فصنعوا في أبيـاتٍ منه عـدّة ألحانٍ ، وقـال : والله لا أجد لهـذه الأمة شيئاً أبلغ من إيقاعهـا تحت التُّهمَة عنـد ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله .

فلما سمع العبلي بالشعر يغنى به أخرج كلاّبة واتَّهمها ثم أرسل بهـا بعد زمان على بعير بين غِرارتَيْ بَعْرٍ ، فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجي كذب فيما قال ، فحلفت سبعين يميناً فـرضي عنها وردّهـا فكان بعـد ذلك إذا سمع قول العرجي :

فطالما مسَّني من أهلك النعم

قال : كذب والله ما مسَّه ذلك قط[4] .

وقد حبسه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليـد بن المغيرة المخـزومي وهو والي المـدينة من قبـل هشام بن عبـد الملك ، وكان العـرجي هجا إبراهيم هذا فقال وقد حج بالناس :

---

(١) المنسوب : الأصيل الكريم .

(٢) حسر : أي كشف

(٣) الجلال : ما تصاب به الدابة وهو الجلّ الذي تُلبسه الدابة .

(٤) الأغاني : ١/٣٨٧ ـ ٣٩١ .

كـأنّ الـعـام لـيس بـعـام حـج تـغـيـرت الـمـواسـم والـشـكـولُ
وقـد بـعـثـوا إلـى جَـيْـدا رسـولاً لِيُخبـرهـا فـلا رجـع الـرسـولُ

وجيداء أم إبراهيم بعث إليها رسولاً بسلامته. وقيل حبسه إسماعيل بن هشام بن إسماعيل[1] . بل قيل : إنَّ الذي حبسه محمد بن هشام أخو إبراهيم الذي كان والياً لهشام على المدينة وكان سبب حبسه أنه كان قد لاحى[2] مولىً لأبيه فأمضّه[3] العرجي فأجابه المولى بمثل ما قاله فأمهله حتىٰ إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأوثقه كتافاً ثم أمر عبيده أن ينكحوا زوجته بين يديه ثم قتله وأحرقه بالنار فاستعدت المرأة على العرجي إلى محمد بن هشام وكان والياً على مكة في خلافة هشام وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجواً كثيراً لمّا ولّاه هشام الحج وتشبّب[4] بأُمه وامرأته فأمضّ ذلك محمداً ولم يزل يطلب عثراته حتىٰ وجدها فلما وجد هذه الحجة عليه أخذه وأخذ معه الحصّين الحميري وجلدهما وصبَّ على رؤوسهما الزيت وأقامهما في الحناطين بمكة فقال العرجي أبياتاً منها :

وكـم من كـاعـبٍ[5] حـوراء بكـرٍ ألـوف الستـر واضـحـة التـراقـي
بكت جـزعـاً وقـد سُمرتْ كبـولي وجـامـعـةُ يـشـدّ بـهـا خـنـاقـي

ثم حبسه بعد الجلد وأقسم لا يخرج من حبسه ما دام له سلطان فمكث في حبسه تسع سنين حتىٰ مات فيه[6] .

ويقول في حبسه :

كـأنـي لـم أكـن فـيـهـم وسـيـطاً ولـم تـك نسبتي في آل عـمـرو

(١) أنساب البلاذري : ق ٥/١١٣ .
(٢) لاحى : نازع .
(٣) أمضّه : أوجعه أي أوجعه بالكلام .
(١) التشبب بالشيء التعلق به .
(٥) الكاعب من كعبت الجارية إذا بدا ثديها للنهود والظهور .
(٦) الوافي بالوفيات : ١٧/٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

أضــاعــوني وأي فتىً أضــاعــوا ... لــيــوم كــريــهــةٍ وســداد ثــغــرِ
فصبــراً عــنــد معتــرك المــنــايــا ... وقــد شُــرعــت أسنّتهــا بــنحــري
أُجَــرَّر في الجــوامــع كــلَّ يــومٍ ... فيــا لــلّه مــظلمتــي وصبــري[1]

وهو القائل في حبسه :

يا ليت شعري وليت الطير يخبرني ... هــل أدخُــلُ القبــةَ الحمــراءَ من أُدُمِ
أسلَمَتني أُســرتي طُــراً وحــاشيــتي ... حتىٰ كــأنــي من عــادٍ ومــن إرَمِ[2]

فلمـا ولي الخلافـة الوليـد بن يزيـد قبض على محمد بن هشـام وأخيـه إبراهيم وأشخصهما إلى الشام ودعا بـالسياط فقـال محمد : أسـألك القـرابة ! فقـال الوليـد : وأي قـرابـة بيني وبينـك ؟ هـل أنت إلا من أشجـع ؟ فقـال : فأسألك بصهر عبد الملك ! قال لـه : لم تحفظه ! قـال : يا أميـر المؤمنين قد نهىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يضرب قـرشي بالسيـاط إلاّ في حـدٍّ . قال : ففي حـدٍّ أضربـك وقَوَد ، أنت أول من سَنَّ ذلـك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمـان فما رعيت حق جـده ولا نسبه بهشـام وأنا ولي ثأره . اضرب يا غلام ! فضربهما ضربـاً مبرِّحـاً ، وأُثقلا بـالحديـد ، ووجِّها إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعـذيبهما حتىٰ يتلفـا ، فعذبهما عذاباً شديداً وأخذ منهما مالاً عظيماً وماتا تحت العذاب[3] .

٢٣

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

ويكنىٰ أبـا العبـاس . وأُمــه أُم الحجـاج بنت محمــد بن يــوسف بن

(١) الوافي بالوفيات : ١٧/٣٨٥ ، المعارف/٢٠٠ .
(٢) أنساب البلادري : ق ٥/١١٣ .
(٣) الأغاني : ١/٤١٥ ، الوافي بالوفيات : ١٧/٣٨٧ .

الحكم بن أبي عقيل الثقفي وهي بنت أخي الحجاج وفيه يقول أبو نخيلة :

بين أبي العاص وبين الحجاجْ   يا لكما نورا سراجٍ وهّاجْ
عليه بعد عمه عُقد التّاجْ[1]

وكانت ولادته سنة تسعين[2] .

وقد روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : ولد لأخي أُم سلمة غلام فسمّوه الوليد ، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : قد جعلتم تسمّون بأسماء فراعنتكم ، إنه سيكون في هذه الأُمة رجل يُقال له الوليد هو أضرٌّ على أُمتي من فرعون على قومه»[3] .

وكان الناس يقولون أنه الوليد بن عبد الملك فلما ولي الوليد بن يزيد الخلافة قالوا : إنه المعنى بقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لاشتهار فسقه وتهتكه وانتهاكه لحرم الله واعلانه الفجور والمجون . ونقل أنه لما قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصبه على رمح فنظر إليه أخوه سلمان بن يزيد ، فقال : بُعداً له ، أشهد أنه كان شروباً للخمر ، ماجناً فاسقاً ، ولقد راودني على نفسي[4] .

ولقد أكثر الوليد من شرب الخمر ومنادمة الغلمان ومعاشرة النساء والتعرض لهن وكان يقول : وددتُ أن كل كأسٍ تشرب من الخمر بدينار وإن كل حر[5] في جبهة أسد فلا يشرب إلا سخيّ ولا ينكح الاشجاع[6] .

وذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان اجتمعوا عند هشام فذكروا الوليد بن يزيد وعابوه وذمّوه وكان هشام يبغضه ودخل الوليد فقال له

---

(١) الأغاني ٧ : ١ .

(٢) تاريخ الخلفاء : ٢٠١ .

(٣) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ بن كثير ، ٦ : ٢٤١ .

(٤) تأريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٠١ .

(٥) الحر : الفرج وأصله الحرح .

(٦) الأغانى ٧ : ٦١

العباس : يا وليد كيف حبّك للروميّات فإن أباك كان مشغوفاً بهن ؟ قال : كيف لا يكون وهنَّ يلدن مثلك ؟ قال : ألا تسكت يا ابن البظراء[1] ؟ قال : حسبك أيها المفتخر علينا بختان أُمه . وقال له هشام : ما شرابك يا وليد ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين . وقام فخرج فقال هشام : هذا الذي زعمتموه أحمق[2] .

وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد[3] وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب فلعنهم وقال : ليعيبون عليَّ ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال هذا الشعر وأمر عمر الوادي أن يغني فيه . .

ولقد قضيتُ ـ وإن تجلّل لِمّتي	شيبٌ ـ على رغم العِدا لذّاتي
من كاعبات كالدّمىٰ ومناصِفٍ	ومراكبٍ للصيد والنّشوات
في فتيةٍ تأبىٰ الهوانَ وجوههمُ	شُمٌّ الأنوف جحاجح سادات
إن يطلبوا بِتراتِهم يُعطوا بها	أو يُطلبوا لا يُدْركوا بتِرات[4]

وكان الوليد بن يزيد شغوفاً بالنساء ويكثر من معاشرتهم ، والمتهتكاتُ على علم به ، فنقل أنه بات عند إمرأة وعدته المبيت فقال حين انصرف :

قامت إليَّ بتقبيلٍ تعانقني	ريَّا العظام كأن المسك في فيها
ادخل فديتك لا يشعر بنا أحدٌ	نفسي لنفسك من داءٍ تُفَدّيها
بتنا كذلك لا نومٌ على سُرُرٍ	من شدةِ الوجد تدنيني وأُدنيها
حتىٰ إذا ما بدىٰ الخيطان قلتُ لها	حان الفِراقُ فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحدٌ	واللّه عني بحسن الفعل يجزيها[5]

ولم يقتصر الوليد على مطاردة المتهتكات والمومسات ممن تليق بشأنه

---

(1) البظراء : البظر ما بين الاسكتين من المرأة ، والبظراء أي بينة البظر وطويلة البظر .
(2) العقد الفريد : ٤/ ٤٥٠ .
(3) العباس بن الوليد بن عبد الملك .
(4) الأغاني ٧ : ١٢ .
(5) ن ، م : ٧ : ٤٨ .

فقـد تشبب بذوات البعـول فيقال إنـه نظر إلى أُم حبيب بنت عبـد الـرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف وقد مـرّوا بين يديهـا بالشمـع ليلاً فلمـا رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً فأنشأ يقول :

إنـمـا هـاج لـقـلـبـي شـجْـوَه بعـد الـمشيـب
نـظرةٌ قـد وَقَـرَتْ في الـ . . قـلب مـن أُم حـبـيـب
فـإذا مـا ذقـتُ فـاهـا ذقتُ عـذبـاً ذا غـروبٍ[1]
خـالط الـراح بـمـسـكٍ خـالصٍ غيـر مشـوب[2]

ونقـل أن الوليـد بن يزيـد رأى نصرانيـة اسمها سفـرى فجنّ بها وجعـل يراسلها وتأبىٰ عليه وقد قرب عيد النَصارى فبلغه أنها تخرج إلى بستان يـدخله النساء فَصانع الوليد صاحب البستان ، وتقشف الوليد وتنكر ، ودخلت سفـرى فجعلت تمشي حتىٰ انتهت إليه فقالت لصاحب البستان : من هـذا ؟ قـال : رجل مصاب فأخذت تمازحه وتضاحكه ، ثم قيل لها تدرين من ذاك الرجـل ؟ قالت : لا فقيل لهـا هو الـوليد فجنت بـه بعد ذلـك فكانت عليـه أحرص منـه عليها فقال :

أضـحى فـؤادك يـا وليـد عـميـدا صبّـاً قـديمـاً للحسـانِ صـيـودا
من حبِّ واضحـة العـوارض طفلة بـرزت لنـا نحـو الكنيسـة عيـدا
مـا زلـت أرمقـهـا بـعـيـنـي وامـقٍ حتىٰ بـصـرت بهـا تـقبِّـل عـودا
عـود الصليب فـويح نفسي من رأى مـنـكـم صـليبـاً مثله مـعـبـودا
فـسـألتُ ربـي أن أكـون مكـانـه وأكـون في لهب الجحيم وقـودا[3]

وقـد طلّق الـوليـد زوجتـه سعـدة بنت سعيـد بن خـالـد بن عمـرو بن عثمـان بن عفان وتعشق أختهـا سلمىٰ وطلب من أبيها تـزويجها إيـاه فرفض ،

(٤) غروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله .
(٢) الأغاني : ٧ : ٥٥ .
(٣) تاريخ الإسلام : ١٧٥/٥ .

وخرج الوليد بن يزيد فرْتنىٰ[1] لعله يراها فلقيه زيّات معه حمار عليه زيت ، فقال له : هل لكَ أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيّات ذلك ، وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً حتىٰ دخل قصر سعيد فنادى : من يشتري الزيت ، فاطّلع بعض الجواري فرأينه فدخلن إلى سلمىٰ وقُلن : إن بالباب زيّاتاً أشبه الناس بالوليد فاخرجي فانظري إليه فخرجت فرأته ورْآها ، فرجعت القهقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآني ! فقلن لا حاجة بنا إلى زيتك فانصرف وقال :

أنني أبصرت شيخاً حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخٍ من عباءٍ ومُسوح
وأبيع الزيت بيعاً خاسراً غير ربيح[2]

ولمّا تزوج الوليد سعدى بنت سعيد رجعت أختها سلمىٰ إلى المدينة وتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك فندم الوليد على فراقها وكلف بحبها فدخل عليه أشعب المضحك فقال له الوليد : هل لك على أن تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرون ألف درهم ؟ قال : هاتِها فدفعها إليه فقبضها ، وقال : ما رسالتك ؟ قال : إذا قدمت المدينة فاستأذن عليها وقل لها : يقول لك الوليد :

أسُعْدى ما إليك لنا سبيلٌ ولا حتىٰ القيامة من تلاقي
بلىٰ ولعل دهراً أن يؤاتي بموتٍ من حليلك أو فراق

فأتاها أشعب فاستأذن عليها وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنه فقالتْ له : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب ؟ قال : يا سيدي أرسلني إليك الوليد برسالة قالت : هاتِها ، فانشد البيتين ، فقالت لجواريها : خُذن هذا الخبيث .

---

(١) فرتنى : قصر بمرو الروذ .

(٢) الأغاني : ٧ : ٢٨ ، ٢٩ .

وقالت : ما جَرّأك على مثل هذه الرسالة ؟ قال : إنها بعشرين ألفا معجلة مقبوضة . قالت : والله لأجلدنَّك أو لتبلِّغنّه كما أبلغتني به ، قال : فاجعلي لي جُعلا ، قالت : بساطي هذا ، قال : فقومي عنه ، فقامت عنه وطوىٰ البساط وضمّه ثم قال : هاتي رسالتك ، فقالت له : قل له :

أتبكي على سُعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع ؟

فلما بلغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب وقال : اختر احدى ثلاث خصال ولا بد لك من إحداها : إما أن أقتلك وإما أن اطرحك للسباع فتأكلك وإما أن ألقيك من هذا القصر ؟ قال أشعب : يا سيدي ما كنت لتعذِّب عينين نظرتا إلى سعدى ، فضحك وخلى سبيله[1] .

وقد بالغ الوليد في اقتناء الجواري ليغنين له في مجالس شربه ومجونه وصار عنده عدد كبير منهن .

وقال يزيد بن أبي مساحق السُّلَميّ مؤدب الوليد شعراً وبعث به إلى النَّوار جارية الوليد فغنته به وهو :

مضىٰ الخلفاء بالأمر الحميد وأصبحت المذمّةُ للوليد
تشاغل عن رعيته بلهوٍ وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب إليه الوليد :

ليتَ حظى اليوم من كل معاشٍ لي وزاد
قهوةٌ أبذل فيها طارفي ثم تلادي
فيظل القلب منها هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي[2]

وعرضت على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يُقال لها سعاد ،

---

(١) العقد الفريد : ٤ : ٤٥٣ .
(٢) الأغاني : ٧ : ٦٩ .

فقال لها : أي شيء تحسنين ؟ فقالت : أنا مغنية ، فقال لها : غنيني ، فغنت :

لولا الذي حُمِّلت من حبِّكم
لكان في إظهاره مخرجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ
أجل ! ومن حجَّت له مذْحجُ
لكن سباني منكم شادنٌ[1]
مُرَبَّبٌ ، ذو غُنّة أدعجُ
أغرّ ممكورٌ ، هضيم الحشا
قد ضاق عنه الحَجْل والدُّملُجُ

فصرب طرباً شديداً ، وقال : يا غلام اسقني ، فسقاه عشرين قدحاً وهو يستعيدها ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد ، قال : وممن أخذتِهِ ؟ قالت : من حُنين ، قال : وأين لقيتهِ ؟ قالت : رُبِّيتُ بالعراق وكان أهلي يجيئون به فيُطارحني . فدعا صاحبه فقال : اذهب فابتعها بما بلغت ولا تراجعني في ثمنها ففعل ولم تزل عنده حظيّة[2] .

وقد أفرط الوليد في حب الجواري وعرف عنه ذلك فلما تولى الخلافة كان الناس يتوسلون إليه بقضاء حوائجهم بما يحب .

ونقل أنه كانت للوليد بن يزيد جارية يُقال لها صَدُوف ، فغاضبها ثم لم يُطِعْهُ قلبه فجعل يتسبب لصلحها فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبره فبرم به فأنشده :

أعتبت أن عتبت عليك صدوف وعتابُ مثلك مثلها تشريفُ

(١) الشادن في الأصل من أولاد الظباء الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه وتريد هنا الفتى ، والدعج شدة سواد العين ، والأغر الأبيض ، والممكور من المكرة الساق الغليظة الحسناء ، والحجل الخلخال ، والدملج المعضد من الحلي .

(٢) الأغاني : ٥٢/٧ .

لا تقعُدَن تلوم نفسك دائماً   فيها وأنت بحبها مشغوفُ
إن القطيعة لا يقوم لمثلها   إلاّ القويّ ومَنْ يحبُّ ضعيفُ
الحبُّ أملكُ بالفتىٰ من نفسه   والذل فيه مَسْلَكٌ مألوفُ

فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها[1] .

والغريب أن الوليد الذي فاق فساق بني أُمية بفسقه وتهتكه كان مرشحاً لخلافة المسلمين بعد هشام إذ لم يكن بمقدور والده يزيد أنْ يعهد إليه وهو يومئذٍ صبي في الحادية عشرة من عمره فعهد إليه بعد هشام .

وروي أن السبب في ذلك أنه أتىٰ مسلمة بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين أيُّما أحب إليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولد عبد الملك ، قال : أفأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي ، قال : فأبنك لم يبلغ ، فبايع هشاماً ثم لأبنك بعد هشام ، والوليد يومئذٍ ابن احدى وعشرة سنة ـ قال : غداً أبايع له . فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام وأخذ العهد عليه ألاَّ يخلع الوليد بعده ولا يغيِّر عهده ولا يحتال عليه ، فلما أدرك الوليد ندم أبوه ، فكان ينظر إليه ويقول : الله بيني وبين من جعل هشام بيني وبينك[2] .

وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشر سنة قالوا : فلم يزل الوليد مكرّماً عند هشام رفيع المنزلة مدة ثم طمع في خلعه وعقد العهد لابنه مسلمة بن هشام فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به ، وولاّه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين ليسقُطَ فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين والشراب

(١) الأغاني : ٧/٤٤ .
(٢) الأغاني : ٧/٣ ، الكامل في التأريخ : ٥/٩١ .

وأمر مولىً له فحج بالناس[1] .

وفي الكامل في التأريخ : «وظهر للناس منه ـ الوليد ـ تهاون بالدين واستخفاف فطمع هشام في البيعة لأبنه مَسْلَمة وخلع الوليد ، وأراد الوليدَ على ذلك فأبىٰ فقال له : اجعله بعدك فأبىٰ ، فتنكر له هشام وأضرّ به وعمل سرّاً في البيعة لابنه مسلمة فأجابه قوم ، وكان ممن أجابه خالاه محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل وبنو القعقاع بن خُليد العبسي وغيرهم من خاصته ، فأفرط الوليد في الشراب وطلب اللذات ، فقال له هشام : ويحك يا وليد والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً منكراً ألا أتيته غير متحاشٍ فكتب إليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشر بها صرفاً وممزوجةً بالسُّخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنىٰ أبا شاكر ، وقال له : يعيرني الوليد وأنا أرشحك للخلافة . فألزمه الأدب وأحضره الجماعة وولّاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة فأظهر النسك واللين[2] .

ولمّا عزم هشام على خلع الوليد وأراد البيعة لمسلمة وحرم الوليدَ عطاءه وضيّق عليه قال الوليد :

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمَنّ
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا حزمٍ لهدّمت ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينةً فياويحهم إن متَّ من شرِّ ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم أيا ليت أنّا ، حين «يا ليت» لا تغني[3]

ولمّا مات هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة بويع للوليد بن

(١) الأغاني : ٣/٧ .
(٢) الكامل في التأريخ : ٢٦٤/٥ .
(٣) الأغاني : ٨/٧ .

يـزيد بن عبـد الملك وكانت بيعتـه لستٍ مضين من شهر ربيـع الأول من السنة التي مات فيها هشام .

ولمّا ولي الوليد بن يزيـد لهج بـالغناء والشـراب والصيد وحمـل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قردٍ له ذنب وقال له :

أرقص وغنّني شعراً يعجبني فإن فعلت فلك ألف درهم ، فغنّـاه فأعجبـه فأعطاه ألف درهم[1] .

ودخل إليه يوماً فلما رآه الوليد كشف عن أيره وهـو مُنعِظٌ ـ قال أشعب : فرأيته كـأنه مـزمار آبنـوس مدهـون ـ فقال لي : أرأيت مثله قط ؟ قلت : لا يـا سيدي قال : فأسجد لـه ، فسجدت ثـلاثاً ، فقـال : ما هـذا ؟ قلت : واحدة لأيرْك وثنتين لخصيتيك ، قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قـال : وتكلم بعض جلسائـه والمغنية تغني فكَـرِة ذلـك وأضجـره فقـال لبعض جلسائه قم فَنِكْهُ ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك[2] .

وكان ـ الوليد ـ يوماً في داره على فرس ولـه جاريـة تضرب بـطبل قـدّامه فـأخذه منهـا ووضعه على رقبتـه ونفر الفـرس من صـوت الـطبـل فخـرج على أصحابه في هذه الهيئة وكان خليعاً[3] .

وروي أن الوليد كان جالساً وعنده عمـر الوادي وأبـو رقية وكـان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أُمّ الوليد ، فقال الـوليد لعمـر الوادي وقـد غنّاه صوتاً :

أحسنت والله أنت جامع لذاتي ، وأبو رقية مضطجع وهم يحسبونه نائمـاً فرفع رأسه إلى الوليد فقال له : وأنا جامع لذات أُمك . فغضب الوليد وهمّ به

---

(١) الأغاني : ٧/٤٦ .

(٢) الأغاني : ٧/٤٧ .

(٣) الأغاني : ٧/٦٠ .

فقال له عمر الوادي : جعلني الله فداك ! ما يعقل أبو رقية وهو صاحٍ فكيف يعقل وهو سكران ! فأمسك عنه[1] .

وكان الوليد بن يزيد يقول في عمر الوادي :

انني فكرت في عمرٍ	حين قال القول فاختلجا
إنه للمستنير به	قمر قد طمّس السُّرُجا
ويغني الشعر ينظمُهُ	سيدُ القوم الذي فَلَجا
أكمل الواديُّ صنعتَه	في لباب الشعر فاندمجا[2]

قال عمر الوادي : خرج إليَّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوت أحمر كاد البيت يلتمع من شعاعه فقال لي : يا جامع لذاتي ، أتحب أن أهبه لك ! قلت : نعم والله يا مولاي . فقال : غنِّ في هذه الأبيات التي انشدك فيها واجهد نفسك فإن أصبت إرادتي وهبته لك . فقلت : اجتهد وارجو التوفيق .

ألا يُسليكَ عن سلمى	قتيرُ الشيب والحِلْمُ
وأنّ الشك ملتبسٌ	فلا وصلٌ ولا صَرْمُ
فلا والله ربِّ النا	سِ مالك عندنا ظلمُ
وكيف بظلم جاريةٍ	ومنها اللين والرُّحْمُ

فخلوت في بعض المجالس فما زلت أُديره حتىٰ استقام ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة بيدها كأس وهو يروم أن يشربها فلا يقدر خُمارا ، فقال : ما صنعت ؟ فقلت : فرغت مما أمرتني به . وغنّيته فصاح أحسنت والله ! ووثب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرىٰ عليَّ متكئاً والكأس في يده اليمنىٰ ثم قال لي : أعِدْ بأبي أنت وأمي ! فأعدته عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على هذه الحالة يشرب قائماً حتىٰ كاد أن يسقط

(١) الأغاني : ٨٥/٧ .

(٢) الأغاني : ٨٦/٧ .

تعباً ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتىٰ أسكرُ فما زلتُ أعيده عليه ويشرب حتىٰ مال على جنبه سكراً فنام[1] .

وذكر حكم الوادي أنه غنّى للوليد بن يزيد ذاتَ ليلة وهو غلام حديث السن فقال :

إكليلُها ألوانُ ووجْهُها فتّانُ
وخالُها فريدُ ليس لها جيرانُ
إذا مَشَتْ تَثَنَّتْ كأنها ثعبانُ

فطرب حتىٰ زحف عن مجلسه إليَّ وقال : أعِدْ فديتك بحياتي . فأعدته حتىٰ صحل[2] صوتي فقال لي : ويحك من يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتك ؟ فقلت مطيع بن إياس الكناني . فقال : وأين محلّه ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يحمل إليه على البريد ، فحمل إليه فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقف بين يديه وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به فقال : غنّ هذا الصوت يا وادي . فغنّيْتُهُ إياه فشرب عليه ثم قال لمطيع : من يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين فقال له : أُدن مني . فدنا منه فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه وقبّل مطيع رجله والأرض بين يديه ثم أدناه منه حتىٰ جلس أقرب المجالس إليه ثم تمَّ يومهُ فاصطبح اسبوعاً متوالي الأيام على هٰذا الصوت[3] .

وقال الوليد يوماً لقد إشتقت إلى معبد ، فوجّه البريد إلى المدينة فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هُيئت له فملئت بالخمر والماء وأتى بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما وبينهما ستر قد أُرخي ، فقال له غنّني يا معبد :

(1) الأغاني : ٨٨/٧ .
(2) صحل : بُحّ .
(3) الأغاني : ٢٧٧/١٣ .

لهفي على فتيةٍ ذلّ الزمان لهم ... فما أصابهم إلا بما شاءوا
ما زال يعدو عليهم ريبُ دهرِهمُ ... حتىٰ تفانوا وريبُ الدهر عدّاءُ
أبكىٰ فراقُهُمُ عيني وأرَّقها ... إنَّ التفرق للأحباب بكّاءُ

فغنّاه إياه فرفع الوليد الستر ونزع مُلاءةً مَطيَّبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة فنهل[1] فيها نهلة ثم أُتي بأثواب غيرها وَتَلَقُّوه بالمجامر والطيب ثم قال : غنّني :

يا ربع مالك لا تُجيب متيّماً ... قد عاج نحوك زائراً ومُسَلِّما
جادتك كلُّ سحابةٍ هطّالةٍ ... حتىٰ تُرى عن زَهرةٍ مُتَبَسِما

فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينار فصبَّها بين يديه ثم قال : انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت[2] .

وذكرت جارية أنه واقعها يوماً وهو سكران فلما تنحىٰ عنها آذنه المؤذن بالصلاة فحلف ألَّا يصلي بالناس غيرها ، فخرجت متلثمة فصلّت بالناس[3] .

وفي العقد الفريد : قال إسحاق بن محمد الأزرق : دخلت على منصور بن جمهور الكلبي بعد قتل الوليد بن يزيد وعنده جاريتان من جواري الوليد فقال لي : إسمع من هاتين الجاريتين ما يقولان . قالتا : قد حدثناك قال : بل حدِّثاه كما حدّثْتُماني . قالت إحداهما : كنّا أعزّ جواريه عنده فنكح هذه وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فأخرجها وهي سَكْرى جُنبة متلثمة فصلت بالناس[4] .

وخرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب فقيل له : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعرٍ فصعد المنبر فقال :

---

(١) نهل : شرب .
(٢) الأغاني : ١/٥٢ .
(٣) الأغاني : ٧/٤٧ ، حياة الحيوان : ١/٦١ .
(٤) العقد الفريد : ٤/٤٦٠ .

الحمد لله ولي الحمدِ
أحمده في يسرنا والجهدِ
وهو الذي في الكرب أستعينُ
وهو الذي ليس له قرينٌ[1]

وهي قصيدة ذكرها أبو الفرج في الأغاني .

وكان الوليد جباراً فقد دعا الوليد بن يزيد ليلة بمصحف فلما فتحه وافق ورقة فيها «واستفتحوا وخاب كلُّ جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقىٰ من ماء صديد» فقال : أسجْعاً سَجْعاً ! علِّقوه ، ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتىٰ مزقه ثم قال :

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيدُ
إذا لاقيت ربك يوم حشرٍ فقل : يا رب مزقني الوليدُ[2]

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني : إن زيداً بن علي (عليه السلام) بقي مصلوباً إلى أيام الوليد بن يزيد فلما ظهر يحيىٰ بن زيد كتب الوليد إلى عامله يوسف :

«أما بعد . فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فأحرقه وأنسفه في اليم نسفاً والسلام» .

فأمر به يوسف ـ لعنه الله ـ عند ذلك خراش بن حوشب فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار ثم جعله في قواصر ، ثم حمله في سفينة ، ثم ذرّاه في الفرات[3] .

وفي أيام حكم الوليد بن يزيد ظهر يحيىٰ بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب بالجوزجان من بلاد خراسان منكراً للظلم فسيَّر له نصر بن سيار

(1) الأغاني : ٥٧/٧ .
(2) الأغاني : ٤٩/٧ .
(3) مقاتل الطالبيين : ١٣٩ .

سَلْمَ بن أحوز المازني فقتل يحيىٰ في المعركة بقريةٍ يقال لها أرعونة ودفن هنالك ، وأخذ رأسه وحمل إلى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوباً إلى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل أبو مسلم سلم بن احوز وأنزل جثة يحيىٰ فصلىٰ عليها ، وكان ظهور يحيىٰ في آخر سنة خمس وعشرين وقيل في أول سنة ست وعشرين ومائة[1]

ومن الغريب جداً ما نقله ابن خلدون عن المدائني : قال شبيب بن شبة كنّا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد ، فقال المهدي : كان زنديقاً . فقام ابن علانة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجلّ أعدل من أن يولّي خلافه النبوة وأمر الأُمة زنديقاً . لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه ويراه في طهارته وصلاته فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطيَّبة المصبّغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتي بثيابٍ بيضٍ نظيفة ، فيلبَسها ويشتغل بربه . أترىٰ ! هذا فعل من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدي : بارك الله عليك يا ابن علّانة وإنما كان الرجل محسوراً في خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بني عمومته مع لهوٍ كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه[2] .

مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك

جاء في تاريخ ابن خلدون : وأما حكاية مقتله فإنه لما تعرّض له بنو عمه ونالوا من عرضه أخذ في مكافأتهم فضرب سليمان بن عمه هشام مائة سوط وحلقه وغرّبه إلى معان من أرض الشام فحبسه إلى آخر دولته وحبس أخاه يزيد بن هشام وفرّق بين ابن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه وخوّفوا بني أُمية بأنه اتخذ جامعة لهم وطعنوا عليه في توليه إبنيه الحكم وعثمان العهد مع صغرهما ، وكان اشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لأنه كان يتنسك فكان الناس إلى قوله أميل ثم

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢٢٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون : ٣/١٠٦ ، الأغاني : ٧/٨٣

فسدت اليمامة عليه بما كان منه لخالد القسري وقالوا : إنما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة ولديه ثم فسدت عليه قضاعة وكان اليمن وقضاعة أكثر جند الشام واستعظموا منه ما كان من بيعة خالد ليوسف بن عمر وصنعوا على لسان الوليد قصيدة[1] معيِّرة اليمنية بشأن خالد فازدادوا حنقاً وأتوا إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأرادوه على البيعة وشاور عمر بن يزيد الحكمي فقال : شاور اخاك العباس وإلا فاظهر أنه قد بايعك فإن الناس له أطوع ، فشاور العباس فنهاه[2] عن ذلك فلم ينته ودعا الناس سرّاً ، وكان بالبادية ، وبلغ الخبر مروان[3] بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يعظِّم عليه الأمر ويحذِّره الفتنة ويذكر له أمر يزيد فأعظم ذلك سعيد وبعث بالكتاب إلى العباس فتهدد أخاه يزيد فكتمه فصدّقه ، ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لأربع ليالٍ متنكراً معه سبعة نفر على الحمر ودخل دمشق ليلاً وقد بايع له أكثر أهلها سرّاً وأهل المِزّة[4] وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج فاستوياها فنزل قطنا واستخلف عليها ابنه محمداً وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي ونمىٰ الخبر إليهما فكذباه ، وتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ولما قضوا

---

(١) مطلع القصيدة :

ألم تهتجْ فتذّكر الوصالا	وحبلاً كان متصلاً فزالا

(الكامل في التاريخ ٥/٢٨٢) .

(٢) وكانِ العباس يقول لأخيه بشر بن الوليد : إني أظن أن الله قد أذن في هلاككم يا بني مروان ثم تمثل :

إني أعيذكم بالله من فتنٍ	مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
إن البريّة قد ملّت سياستكم	فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تُلحِمَنَّ ذئاب الناس أنفسكم	إنَّ الذئاب إذا ما أُلحِمَتْ رتعوا
لا تُبقَرِنّ بأيديكم بطونكم	فثم لا حسرةٌ تغني ولا جزعُ

(الكامل : ٥ /٢٨٤) .

(٣) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

(٤) المزة : من نواحي دمشق .

الصابئة جاء حرس المسجد لاخراجهم فوثبوا عليهم ومضىٰ يزيد بن عنبسه إلى يزيد بن الوليد فجاء به إلى المسجد في زهاء مائتين وخمسين وطرقوا باب المقصوره فأدخلهم الخادم فأخذوا أبا العاج وهو سكران ، وخزان بيت المال وبحث عن محمد بن عبد الملك فأخذه ، وأخذوا سلاحاً كثيراً كان في المسجد ، واصبح الناس من الغد من النواحي القريبة متسائلين للبيعة ، أهل المزة والسكاسك وأهل دارا ، وعيسى بن شيب الثعلبي في أهل درهة وحرستا ، وحميد بن حبيب اللخمي في أهل دمرعران[1] ، وأهل حرش والحديثة وديركا[2] ، وأقبل ربعي بن هشام في جماعة من عذرة وسلامان ، ويعقوب بن عمير بن هانى العبسي وجهينة ومواليهم ، ثم بعث عبد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس فجاء بعبد الملك بن محمد بن الحجاج من فصره على الأمان ، ثم جهز يزيد الجيش إلى الوليد بمكان البادية مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ومنصور بن جمهور ، وقد كان الوليد لما بلغه الخبر بعث عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق فأقام بطريقه قليلاً ثم بايع ليزيد ، وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بحمص فيتحصَّن بها ، قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد ، وخالفه عبد الله بن عنبسة ، وقال : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وحرمه قبل أن يقاتل ، فسار إلى قصر النعمان بن بشير ومعه أربعون من ولد الضحاك وغيره ، وجاء كتاب العباس بن الوليد بأنه قادم عليه ، وقاتلهم عبد العزيز ومنصور بعد أن بعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى الكتاب والسنة فقتله أصحابُ الوليد واشتد القتال بينهم ، وبعث عبد العزيز منصور بن جمهور لاعتراض العباس بن الوليد أن يأتي بالوليد فجاء به كرهاً إلى عبد العزيز وأرسل الوليد إلى عبد العزيز بخمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي على أن ينصرف عنه فأبىٰ ، ثم قاتل قتالاً شديداً حتىٰ سمع النداء بقتله ، وسبه من جوانب الحومة ، فدخل القصر واغلق الباب وطلب الكلام من أعلى القصر فكلّمه يزيد بن عنبسة السكسكي فذكّره بحرمه وفعله

(١) في الكامل : دير مران

(٢) في الكامل دير زكا

فيهم ، فقال بن عنبسة : أنّا ما ننقم عليك في أنفسنا وإنما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله وشرب الخمر ، ونكاح أُمهات أولاد أبيك ، وإستخفافك بأمر الله . قال : حسبك يا أخا السكاسك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وإن فيما أحل الله سعة عمّا ذكرت ، ثم رجع إلىٰ الدار فجلس يقرأ في المصحف[1] وقال : يوم كيوم عثمان فتسوروا عليه وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله وإذا بمنصور بن جمهور في جماعة معه ضربوه واحتزوا رأسه فساروا به إلى يزيدٰ فأمر بنصبه فتلطف له يزيد بن فروة مولى بني مرّة في المنع من ذلك وقال : هذا ابن عمك وخليفة وإنما تنصب رؤوس الخوارج ، ولا آمن أن يتعصب له أهل بيته فلم يجبه ، وأطافه بدمشق على رمحٍ ثم دفعه إلى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم .

وكان قتله آخر جمادي الآخرة سنة ست وعشرين لسنتين وثلاثة أشهر من بيعته[2] .

وروي أن عمر الوادي قال : كنت أغني الوليد أقول :

كَذَبَتْ نفسك أم رأيت بواسطٍ غَلَسَ الظلام من الرّباب خيالا

قال : فأتممت الصوت حتىٰ رأيت رأسه قد فارق بدنه ورأيته يتشحّط في دمه[3] .

وفي قتل الوليد بن يزيد يقول لشر بن الوليد بن عبد الملك :

عجبٌ لا يتولى	عجبٌ قتل الوليدِ
بينما الملك له زا	لَ فأمسىٰ ليزيدِ
أسلمته عبدُ شمسٍ	والبقايا من ثمودِ
قال يوم الدار لمّا	مَسَّهُ حرُّ الحديدِ

---

(1) يمزّق المصحف في الرخاء ويقرأ فيه في الضرّاء .

(2) تأريخ ابن خلدون : ٣/١٠٦ ، ١٠٨ .

(3) الأغاني : ٧/٨١ .

أتـقـوا الـلّه وكـفـوا أين عقـدي وعهـودي
قـتـلوه ثـم قـالـوا : هـالـكٌ غيـر فقيـدِ[1]

ولما قتل الوليد بن يزيد وبويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك صعد المنبر وحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أيها الناس والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حِرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراءُ نفسي وإني لظلوم بها إن لم يرحمني الله ولكن خرجت غضباً لله ودينه داعياً إلى الله وإلى سنة نبيّه لمّا هدمت معالم الهدى واطفىء نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حُرْمة والراكب لكلِّ بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وانه لابن عمي في النسب وكفييء في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته ألا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي حتىٰ أراح الله منه العباد وطهّر منه البلاد بحوله وقوته لا بحولي وقوتي[2] .

وخرجت دعاة بني هاشم إلى النواحي عند مقتل الوليد بن يزيد واختلاف كلمة بني مروان فكان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وولده وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد[3]

وخطب عبد الله بن الحسن في بني هاشم فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال : انكم أهل البيت قد فضّلكم الله بالرسالة واختاركم لها ، واكثركم بركة يا ذرية محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بنو عمّه وعترته وأولى الناس بالفزع في أمر الله من وضعه الله موضعكم من نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد ترون كتاب الله معّطلاً وسنة نبيه متروكة ، والباطل حيّاً والحق ميّتاً . قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم أسمكم ، وتهونوا عليه كما هانت عليه بنو إسرائيل ، وكانوا أحب خلقه إليه . وقد علمتم أنا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتلوا بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم ، فقد

---

(١) الوافي بالوفيات . ١٥٧/١٠ .
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ٢٤٨/٢ (كتاب العلم والبيان) .
(٣) مقاتل الطالبيين : ٢٠٧ .

قتلوا صاحبهم - يعني الوليد بن يزيد - فهلّم نبايع محمداً فقد علمتم أنه المهدي[1] .

٢٤

الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل الحكم في الحبس بقنّسرين[2] ، وأُمه أُم ولد[3] .

٢٥

عثمان بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

أُمه عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب بن أُمية[4] قتل مع أخيه في الحبس .

كيفية قتلهم

كان الوليد بن يزيد قد جعل الحكم وليّ عهده وبايع له بالخلافة بعده ، وبعده لأخيه عثمان مع صغرهما فنقم عليه بنو أُمية ، فلما قتل أبوهما الوليد بن يزيد وبويع ليزيد بن الوليد الناقص أمر بحبسهما فحبسا بقلعة قنّسرين فمكثا فيها حتىٰ توفي يزيد بن الوليد فسار مروان بن محمد إلى دمشق بعد البيعة لإبراهيم بن الوليد فالتقته جنود إبراهيم فهزمها ، فلما شعر خصوم مروان بذلك

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٢٤ .

(٢) قنسرين : بالشام وهي الجابية بينها وبين حلب اثنا عشر ميلاً وفيها كان قبر هشام بن عبد الملك .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص ٩١ .

(٤) نسب قريش ص ١٦٧ .

عمد عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسري إلى الحكم وعثمان فقتلاهما وقتلا معهما يوسف بن عمر الثقفي[1] وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائة .

وقيل أنه : ولي قتلهما مولى لخالد بن عبد الله القسري يقال له أبو الأسود شدخهما[2] بالعمد[3] ، فلما وصل مروان بن محمد وجدهما مقتولين فأمر بقتلتهما فقتلوا ثم بويع له بالخلافة وكان الحكم عهد إليه بالخلافة بقوله وهو في حبسه :

أتنزع بيعتي من أجل أمي ... وقد بايعتم قبلي هجينا
ومروان بأرض إبنيْ نزار ... كليث الغاب مفترساً عرينا
فإن أهلك أنا ووليٌّ عهدي ... فمروان أمير المؤمنينا[4]

وكان يقول الشاعر في الحكم وأخيه :

يؤمل عثمان بعد الوليـ ... ـد للعقد فينا ويرجو سعيدا
كما كان إذ كان في ملكه ... يزيد يرجى لتلك الوليدا
ملوك تورث في ملكها ... وافعالها العرف مجداً تليدا
وإن هي حالت فأقصى القريـ ... ـب عنها ليوئس منها البعيدا[5]

٢٦ ـ ٢٧

مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وابنه معه

قتلهما أهل حمص سنة ١٢٦ هـ حينما خرج أهل حمص للثأر لدم

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب : ١/٥٠ .
(٢) الشدخ : كسر الشيء الأجوف .
(٣) تأريخ خليفة : ٢/٥٦٥
(٤) الوافي بالوفيات : ١٣/١٢٢ .
(٥) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ٦/١٧٧

الوليد ورفضوا البيعة ليزيد بن الوليد الناقص

وكان مروان بن عبد الله عاملاً للوليد بن يزيد على حمص فلما قتل الوليد أقام أهل حمص النوائح والبواكي عليه وتابعهم مروان بن عبد الله على ذلك ، فلما أرادوا الخروج إلى دمشق أشار عليهم مروان بخلاف ذلك وقال لهم : أرى أن تسيروا إلى الجيش الذي جاء لقتالكم فإن ظفرتم سرتم إلى دمشق . وقال لهم : يا هؤلاء إنكم خرجتم لجهاد عدوّكم والطلب بدم خليفتكم وخرجتم مخرجاً أرجو أن يعظم الله به أجركم ويحسن عليه ثوابكم وقد نجم لكم منهم قرن وشال إليكم منهم عُنُق إن انتم قطعتموه اتبعه ما بعده وكنتم عليه أحرى وكانوا عليكم أهون ولست أرى المضيّ إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم . فقال السِّمط ـ ابن ثابت ـ : هذا والله العدو القريب يريد أن ينقض جماعتكم وهو ممايل للقدرية . فوثب الناس علىٰ مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا إبنه ورفعوا رأسيهما للناس[1] .

٢٨

حَرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية

ويكنى أبا جهل[2] ، أبوه عبد الله بن يزيد الذي يُقال له الأسوار ، والذي يهجوه مدرك بن حصن الأسدي :

قَبَحَ الإلهُ ولا أُقبِّحُ غيرَه نسباً أمُتُّ به إلىٰ الأُسوار
المؤكلي حَيّيْ فزارةَ بعدما أكلت فزارةُ أيرَ كلِّ حمار

---

(١) الطبري : ٢٦٣/٧ ـ ٢٦٤ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٠٥/٣ .

إنـا لـنـعـلم يـا سـخيـنـةُ أنـكـم بُـطُنُ العَشِيّ مبـاشم[1] الاسحـار[2]

وقتـل حرب في جنـد أهل حمص الـذي خرجـوا للطلب بدم الـوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ .

سبب قتله

لمّا قتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابهـا وأقامـوا النوائـح والبواكي عليه وقيـل لهم أن العباس بن الـوليـد بن عبـد الملك أعـان عبـد العـزيـز على قتله فهدموا داره وأنهبوها وسلبوا حرمه وطلبوه فسار إلى أخيه يـزيد فكـاتبوا الأجناد ودعوهم إلى الطلب بـدم الوليـد فأجـابوهم واتفقـوا أن لا يطيعـوا يزيـد وأمّروا عليهم معـاوية بن يـزيـد بن الحصين بن نمير ووافقهم مـروان بن عبـد الله بن عبد الملك على ذلك ، فراسلهم يزيد فلم يسمعوا وجـرحوا رسله فسيَّـر إليهم أخاه مَسروراً في جمع كثير فنزلوا حوّارين ثم قدم على يزيد سليمـان بن هشام فردَّ عليه يزيد ما كان الوليد أخذه من أموالهم وسيَّره إلى أخيه مسرور ومن معه وأمرهم بالطاعة لـه ، وكان أهـل حمص يريـدون المسير إلى دمشق فقـال لهم مروان بن عبد الملك : أرى أن تسيروا إلى هذا الجيش فتقاتلوهم فإن ظفـرتم بهم كان من بعدهم أهـون عليكم ولست أرى المسير إلى دمشق وتـرك هؤلاء خلفكم فقـال السِّمط ابن ثـابت : إنمـا يـريـد خـلافكم وهـو ممـايـل ليـزيـد والقدرية . فقتلوه وقتلوا ابنه ، وولوا أبا محمد السفياني وتركوا عسكر سليمـان ذات اليسار وساروا إلى دمشق فخرج مجدّاً فلحقهم بالسليمانية ـ مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء ـ وأرسل يزيد بن الـوليد عبـد العزيـز بن الحجـاج في ثلاثـة آلاف إلى ثنية العقـاب[3] وأرسل هشـام بن مصاد في ألف

---

(١) البشم : التّخمة .

(٢) أنساب البلاذري : ق ٢ ج ٧٢/٤ .

(٣) الثنيـة هي كل عقبـة في الجبل مسلوكـة وهي ثنية مشـرفـة على غـوطـة دمشق يـطؤهـا القاصدون من دمشق إلى حمص ، وسميت ثنـة العقاب بـراية خـالد بن الـوليد تسمى العقاب كان إذا غزا أطلع عليهم بتلك الراية .

وخمسمائة إلى عقبة السلاميَّة وأمرهم أن يمدّ بعضهم بعضاً ولحقهم سليمان ومن معه على تعب فاقتتلوا قتلاً شديداً فانهزمت ميمنة سليمان وميسرته وثبت هو في القلب ، ثم حمل أصحابه على أهل حمص حتىٰ ردّوهم إلى موضعهم وحمل بعضهم على بعض مراراً . فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز بن الحجاج من ثنية العقاب فحمل على أهل حمص حتىٰ دخل عسكرهم وقتل فيهٰ من عرض له فانهزموا[1] .

وكان قد قتل منهم زهاء مائتي رجل فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية[2] .

٢٩

مسرور بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتله مروان بن محمد بحلب سنة ١٢٧ هـ .

٣٠

بشر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتله مروان بن محمد مع أخيه مسرور .

سبب قتلهم

عندما تمت البيعة ليزيد الناقص بعد قتل الوليد بن يزيد سيَّر أخاه مسروراً

(١) الكامل لابن الأثير : ٢٩٢/٥ ـ ٢٩٤ .
(٢) الطبري : ٢٦٥/٧ .

والياً على قنسرين وقيل بل ولّاها بشر بن الوليد ، فلما مات يزيد بن الوليد الناقص وبويع لإبراهيم خلعه مروان بن محمد وكان بحرّان سنة سبع وعشرين ومائة فنزل بحلب وقبض على مسرور بن الوليد واخيه بشر بعد لقيهما وهزمهما فقتلهما معاً[1] .

٣١

عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكم بن أبي العاص بن أُمية

كان هواه مع يزيد بن الوليد حينما خرج على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو القائل :

يخبرني المُخَبِّر عن وضينٍ	وأحمدَ حين طال به الجزاء
بأنهم تولوا عن أمورٍ	وفي أحيائها لهم الشّقاء
فخالف في جماعتنا وضينٌ	ومال به إلى الدنيا الرجاء
إذا حزنت أمور القوم ولّى	ويأتيهم إذا كان الرخاء
يسومُكُمُ الوليد الخسف يعدو	عليكم ما لكم منه إباء
فإن كنتم كما قلتم رجالاً	ففي عمل الرجال يُرىٰ الغَناء
وإلاّ فاصمتوا عن ذا وقوموا	ليَخلُفَ في مكانكم النساء

يعير بعض أصحابه بفرارهما عن يزيد بن الوليد حين دعا إلى نفسه فلحقا بالبصرة فلما ظهر يزيد بن الوليد رجعا إلى دمشق[2] .

وقد قتل عاصم بن عمر بن عبد العزيز في بعض حروب الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي وذلك سنة سبَع وعشرين ومائة .

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب : ١/٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) تأريخ دمشق لابن عساكر ـ تراجم العين المتلوة بالألف ـ ص ٦٢ .

سبب قتله

في سنة سبع وعشرين ومائة خرج الضحاك بن قيس الشيباني محكّماً في الكوفة ، وكان سبب ذلك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد بن بهدل الشيباني في مأتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بأرض كفرتوثا ، وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدّته من ربيعة فسار كل واحد منهما إلى صاحبه فلما تقاربا أرسل سعيد بن بهدل الخيبري وهو أحد قواده في مائة وخمسين فارساً فأتاهم وهم غارُّون فقتلوا فيهم وقتلوا بسطاماً وجميع من معه إلاّ أربعة عشر رجلاً ثم مضى سعيد بن بهدل إلى العراق لمّا بلغه أنَّ الأختلاف بها فمات سعيد بن بهدل في الطريق واستخلف الضحاك بن قيس فبايعه الشراة فأتى أرض الموصل ثم شهر زور واجتمعت إليه الصفريّة حتى صار في أربعة آلاف . وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، ومروان بالحيرة فكتب مروان إلى النضر بن سعيد الحرشي وهو أحد قوّاد ابن عمر بولاية العراق فلم يسلّم ابن عمر إليه العمل فشخص النضر إلى الكوفة وبقي ابن عمر بالحيرة فتحاربا أربعة أشهر وأمدَّ مروان النضر بابن الغزيل واجتمعت المضرية مع النضر عصبية لمروان حيث طلب بدم الوليد. وكانت أُم الوليد قيسية من مضر وكان أهل اليمن مع ابن عمر عصبية له حيث كانوا مع يزيد في قتل الوليد حين أسلم خالداً القسري إلى يوسف فقتله ، فلما سمع الضحاك باختلافهم أقبل نحوهم وقصد العراق سنة سبع وعشرين فأرسل ابن عمر إلى النضر أن هذا لا يريد غيرك فهَلُمَّ نجتمع عليه فتعاقدا عليه واجتمعا بالكوفة وكان كل منهما يصلي بأصحابه وأقبل الضحاك فنزل بالنخيلة في رجب واستراح ثم إتّعدوا للقتال يوم الخميس من غد يوم نزوله فاقتتلوا قتالاً شديداً فكشفوا ابن عمر وقتلوا أخاه عاصماً[1] .

فلمّا قتل عاصم رثاه أخوه عبد الله :

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٥/٣٣٤ ، الطبري : ٧/٣٢٠ .

رمىٰ عرضي[1] ريبُ المنون فلم يَدَعْ غـداة رمىٰ في الكف للقوس منتـزعا
رمىٰ غرضي الأدنى فأقصـدَ عاصمـاً أخاً كان لي حِرزاً[2] ومأوى ومفزعا[3]
فـإن تـك أحـزانٌ وفـائض عبـرةٍ أتَـرْنَ عبيطاً[4] من دم الجـوف منقعا
تجـرَّعتُها في عـاصمٍ واحتسيتُهـا[5] فـأعـظم منهـا مـا أحتسىٰ وتجـرَّعـا
فليت المنـايـا كنَّ خلَّفْنَ عـاصمـاً فعِشنـا جميعـاً أو ذهبن بنـا معـا[6]

٣٢

عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان الأموي

ويكنى أبا الأصبغ ، قام مع يزيد الناقص وحارب الوليد فجعله يزيد ولي عهدُه من بعد أخيه إبراهيم ، وعبد العزيز هذا هو أخو السفاح لأمه ريطه بنت عبيد الله الحارثية ، ولمّا غلب مروان الحمار على الأمر وثب أعوانه على عبد العزيز فقتلوه بداره في سنة سبع وعشرين ومائة[7] .

وكان عبد العزيز بن الحجاج قد قتل الحكم وعثمان إبني الوليد بن يزيد في حبسهما بقِنَّسرين مع يزيد بن خالد القسري فأخذا بسبب ذلك وقتلهما مروان وصلبهما[8] .

وفي تأريخ خليفة : إن عبد العزيز بن الحجاج توجه إلى داره ليحرج عياله فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتزوا رأسه فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن

---

(١) الغرض : الهدف الذي يرمى فيه .
(٢) الحرز : الموضع الحصين
(٣) المفزع : الملجأ .
(٤) العبيط : العبيط من الدم الخالص الطري .
(٥) الحساء : الشرب .
(٦) تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم العين المتلوة بالألف ص ٦٣ .
(٧) تاريخ الإسلام : ١٠٢/٥ .
(٨) زبدة الحلب من تاريخ حلب ١/٥٠

يزيد بن معاوية وكان محبوساً مع يوسف بن عمر وأصحابه فأخرجوه ووضعوه على المنبر في قيوده ورأس عبد العزيز بين يديه وحلّوا قيوده وهو على المنبر فخطبهم ، وبايع لمروان وشتم يزيد وإبراهيم ابني الوليد ، وأمر بجسد عبد العزيز فصلب على باب الجابية منكوساً وبعث برأسه إلى مروان بن محمد[1] .

٣٣

إبراهيم بن سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

لمّا خلع سليمانُ بن هشام مروانَ بن محمد بن مروان بن الحكم اجتمع له سبعون ألفاً من الجند فخرج لقتاله مروانُ بن محمد فهزم سليمان وقتل إبنه الأكبر إبراهيم[2] .

٣٤

خالد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتله مروان بن محمد[3] .

(١) تأريخ خليفة : ٥٦٥/٢ .
(٢) تأريخ الطبري : ٣٢٥/٧ ، جمهرة أنساب العرب ص ٩٣ .
(٣) المرجع نفسه ص ٩٠ .

٣٥ـ٣٦ـ٣٧

أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وإبنان له

كان أبان مع عمه سليمان بن هشام في حربه ضد مروان بن محمد فلما كانت الهزيمة على سليمان هرب أبان ودخل خراسان وبايع عبد الله[1] بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فقتلته المسوِّدة في خراسان هو وابنين له[2] .

٣٨

أمية بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتله مروان بن محمد سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان سبب قتله أنه خرج في جيش شيبان الحروري الذي أقام يقاتل مروان فتفرق عنه كثير من أصحاب الطمع فبقي في نحو أربعين ألفاً فأشار عليهم سليمان بن هشام ـ وكان خرج مع الشيباني لحرب مروان ـ أن ينصرفوا إلى الموصل فيجعلوها ظهرهم فارتحلوا وتبعهم مروان حتىٰ انتهوا إلى الموصل فعسكروا شرقي دجلة وعقدوا جسوراً عليها من عسكرهم إلى المدينة فكانت ميرتهم ومرافقهم منها وخندق مروان بازائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ومروان بخُصَّة وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم وقيل : تسعة أشهر ، فلما هزمهم مروان أُوتي مروان بابن أخٍ لسليمان بن هشام يُقال له

(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر خرج في أيام يزيد الناقص في الكوفة ودعا للرضا من آل محمد وأشير عليه بالمسير إلى خراسان فقبل بذلك وبقي فيها حتىٰ ظهور أمر العباسيين فحبسه أبو مسلم الخراساني فلم يزل محبوساً حتىٰ أمر بقتله وقيل دسَّ إليه السمّ ووجه برأسه إلى ابن ضباره فحمله إلى مروان .

(٢) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ٢/١٣٣ .

أمية بن معاوية بن هشام وكان مع عمه سليمان في عسكر شيبان أسيراً فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر إليه[1] .

٣٩

عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية

قتل عبد العزيز يوم قديد سنة ١٣٠ هـ وكان هو صاحب الجيش الذي خرج لقتال الأباضية[2] .

٤٠

عبد الجبار بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان

قتل مع أبيه عبد العزيز يوم قديد[3] .

٤١

أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان

أمه أم عبد العزيز بنت عبد الله بن خالد بن أسيد[4] قتل مع أخيه عبد العزيز يوم قديد[5] . وكان عبد الواحد بن سليمان عامل مروان بن محمد

(١) الكامل لابن الأثير : ٥/٣٥٣ .
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٨٤ ، نسب قريش ص ١١٤ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) أنساب البلاذري : ق ٥/١٠٩ .
(٥) أنساب البلاذري : ق ٥/١١٢ .

على المدينة قد استعمل أمية على أسد وطيّ فجاءه سبعون من فزارة فسألوه أن يخرج بهم ليغيروا على طيء لثأر كان لهم فيهم فخرج بهم وتجمع إليه ناس من أهل المعادن طلباً للغنائم فلقيه معدان الطائي بالمنتهب في جماعة من طيء فهزموه وقد كانوا عرضوا عليه أن يردّ فزارة ويأتي فيمن أحب لأخذ صدقة أموالهم ، وفي ذلك يقول معدان يعتذر إلى عبد الواحد وأهل المدينة ويذكر عرضهم على أمية :

ألا هل أتى أهل المدينة عَرْضَنا ... خصالاً من المعروف يُعرف حالُها

على عاملينا والسيوفُ مصونةٌ ... بأغمادها ما رايلتها نِصالُها[1]

أتينا إلى فِرتاجَ سمعاً وطاعةً ... نؤدي الزكاة حين حان عِقالُها[2]

ومن قبل ما صِرنا وجاءت وفُودُنا ... إلى فَيْدَ[3] حتىٰ ما يُعَدَّ رجالُها

فقالوا أغِرْ بالناس يُعْطِك طيءٌ ... إذا وَطِئتها الخيل واجتيح مالها

ودون الذي مَنَّوا[4] أميةَ هبوةٌ ... من الضرب قِدماً لا تُجلى ظِلالُها

دَعَوا بنزارٍ فاعتزينا بطيءٍ ... هنالك زلّت في نزار نِعالُها[5]

٤٢

عثمان بن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان

قتل مع أبيه أمية يوم قديد[6] .

---

(١) النّصل : نصل السيف والسهم والسكين والرمح .

(٢) عقالها أي حين قبضها

(٣) فيد : بالفاء ـ موضع بين مكة والمدينة سمي باسم فيد بن حازم .

(٤) منّوا من الأمية .

(٥) أنساب البلادري : ق ١٢٤/٥ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٨٤ .

٤٣

عبد الله بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان

قتل يوم قديد[١] مع عمَّيه عبد العزيز وأمية .

٤٤

عمر بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية

أبوه عبد الله المعروف بالعَرْجي قتل بقديد[٢] .

سبب قتلهم

لمّا قام عبد الله بن يحيى الكندي الملقب طالب الحق كبير الخوارج في اليمن واستقام له الأمر وجَّه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة والأمير عليهم أبو حمزة في ألفٍ فأقبل أبو حمزة إلى مكة يوم التروية وكان عليها وعلى المدينة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والياً لمروان بن محمد فكره عبد الواحد قتالهم وفزع منهم وأخذوا عليهم المواثيق فأعطى أبو حمزة الأمان لهم إلى حين النفر الأخير فلما كان النفر الأخير نفر عبد الواحد وخلّى مكة لأبي حمزة فدخلها دون قتال ، ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة ودعا بالديوان فضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة واستعمل على الجيش عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا فلقيهم جُزُر[٣] منحورة فتشاءم الناس بها فلما كانوا

---

(١) نسب قريش ص ١١٥ ، جمهرة أنساب العرب ص ٨٤ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٨٤ .

(٣) الجزور : الإبل يقع على الذكر والأنثى والجمع جُزُر .

بـالعقيق[1] علق لواء عبـد العزيـز بسَمُرة[2] فـانكسر الـرمح فتشـاءمـوا بـذلـك أيضاً[3] .

فلما بلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينـة إليه استخلف على مكـة أبرهـة بن الصباح وشخص إليهم وعلى مقدمتـه بلج بن عقبة ، فلمـا كان في الليلة التي وافـاهم في صبيحتها وأهـل المدينـة نزول بقـديـد[4] قـال لأصحـابـه : إنكم ملاقوا القوم غداً وأميـرهـم فيما بلغني ابن عثمـان أول من خالف سُنَّـة الخلفاء وبدَّل سنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد وضح الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله وتلاوة القرآن ووطِّنوا[5] أنفسكم على الموت[6] .

ثم صبَّحهم غداة يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فأرسل أبو حمزة إليهم بلج بن عقبة ليدعوهم فأتاهم في ثلاثين راكبـاً فذكَّـرهم الله وسـألهم أن يكفُّوا عنهم وقـال لهم : خلوا سبيلنا إلى الشـام لنسير إلى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدّنـا بكم فإنـا لا نريـد قتالكم . فشتمهم أهل المدينة وقالوا : يا أعداء الله أنحن نخليكم ونترككم تفسدون في الأرض ؟ فقالت الخوارج : يا أعداء الله أنحن نفسد في الأرض ؟ إنما خرجنا لنكفّ الفساد ونقاتل من قاتلنا منكم واستأثر بالفيء فـانظروا لأنفسكم واخلعـوا من لم يجعل الله له طاعة فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فادخلوا في السّلم وعاونوا أهل الحق . فناداه عبد العزيز : ما تقول في عثمان ؟ قال : قد بـرىء منه المسلمـون قبلي وأنا متبـع آثـارهم ومقتـدٍ بهم . قـال : إرجـع إلى

---

(1) عقيق المدينة هما عقيقان : الأكبر مما يلي الحرة إلى قصر المـراجل والأصغـر فأسفـل عن قصر المراجل .

(2) السمرة : شجرة العضاه .

(3) شرح النهج : م ١٦٣/٢ ، أنساب البلاذري : ق ١١٢/٥ .

(4) قـديد في الـطريق بين مكة والمـدينة بينهـا وبين الجحفة ـ ميقـات أهـل الشـام ـ سبعة وعشرين ميلاً .

(5) وطِّن من التوطين فيقال توطينِ النفس على الشيء أي تمهيدها .

(6) شرح النهج : م ١٦٤/٢ .

أصحابك فليس بيننا وبينكم إلّا السيف . فرجع إلى أبي حمزة فأخبره . فقال : كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتىٰ يبدأوكم بالقتال فواقفوهم ولم يقاتلوهم فرمىٰ رجل من أهل المدينة بسهمٍ في عسكر أبي حمزة فجرح رجل منهم فقال أبو حمزة : شأنكم الآن فقد حلَّ قتالهم . فحملوا عليهم فثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم وكان على عامتهم صخرُ بن الجهم بن حذيفة العدوي فكبر وكبّر الناس معه فقاتلوا قليلاً ثم إنهزموا فلم يبعدوا حتىٰ كبّر ثانية فثبت معه ناس وقاتلوا ثم انهزموا هزيمة لم يبق بعدها منهم باقية . وقد بلغت قتلى قديد ألفين ومأتين وثلاثين رجلاً منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً ومن الأنصار ثمانون رجلاً ومن الموالي وسائر الناس ألف وسبعمائة رجل[1] .

وكان في قتلى بني أُمية عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أمير الجيش وابنه عبد الجبار ، وعبد الله بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأُمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج مقنعاً لا يلتفت إلى أحد ولا يكلم أحد فما زال يقاتل حتىٰ قتل[2] وعثمان بن أُمية .

وقالت نائحة أهل المدينة :

ما للزمان وماليَهْ	أفنَتْ قديدُ رجاليَهْ
فلأبكينَّ سريرة	ولأبكينَّ علانِيَةْ
ولأبكينَّ على قديـ	ـد بسوء ما أو لا نيهْ
ولأعوينَّ إذا خلَوْ	تُ مع الكلاب العاويهْ[3]

(١) شرح النهج : م ٢/١٦٤ - ١٦٦ .

(٢) شرح النهج : م ٢/١٦٦ ، تأريخ خليفة : ٢/٥٩٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر . ٣/١٣١ .

(٣) شرح النهج : م ٢/١٦٦ .

٤٥

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

كان عبد الله بن عمر أكولاً يأكل في اليوم تسع مرات وينتبه في السحر فيدعو بالطعام[1] .

وقد ولّاه يزيد الناقص بعد قتل الوليد بن يزيد إمرة العراقين وذلك في سنة ١٢٦ هـ بعد عزل منصور بن جمهور ، وقال له لمّا ولّاه : سر إلى العراق فإنّ أهله يميلون إلى أبيك . فقدم إلى العراق وقدم بين يديه رسلاً إلى من بالعراق من قوّاد الشام وخاف أن لا يسلّم إليه منصور العمل ، فانقاد له أهل الشام وسلّم إليه منصور العمل وانصرف إلى الشام ، ففرّق عبد الله العمال وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم ، فنازعه قواد أهل الشام وقالوا : تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا ؟ فقال لأهل العراق : إني أريد أن أردّ فيئكم إليكم وعلمت أنكم أحق به فنازعني هؤلاء . فاجتمع أهل الكوفة بالجبّانة[2] فأرسل إليهم أهل الشام يعتذرون وثار غوغاء الناس من الفريقين فأصيب منهم رهط لم يُعرفوا[3] .

فلما توفي يزيد الناقص وظهر مروان للثأر لدم الوليد قدم عامله يزيد بن عمر بن هبيرة[4] إلى العراق فأمسك عبد الله فقيده وبعث به إلى مروان بن

---

(١) تأريخ الإسلام : ٥/ ٩٥ .

(٢) الجبانة في الأصل الصحراء وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة ، وبالكوفة محال تسمىٰ بهذا الاسم وتضاف إلى القبائل منها جبانة كندة والسبيع وغيرها .

(٣) الكامل لابن الأثير : ٥/ ٣٠٢ .

(٤) يزيد بن عمر بن هبيرة من بني فزارة قائد من ولاة الدولة الأموية أصله من الشام ولي قنسرين للوليد بن يزيد ثم جمعت له ولاية العراقين أيام مروان وكان شديداً على دعاة الدعوة العباسية عند ظهورها فلما تغلبت جيوش خراسان عليه رحل إلى واسط وتحصن بها فحاصرها المنصور فلم يقدر عليه فكتب المنصور له أماناً فرضي ابن هبيرة بذلك ثم =

محمد فسجنه في مضيق مظلم واختفىٰ حبره[1] ، فلم يزل في الحبس مع ابن له حتىٰ مات[2] .

وقيل أنه هلك بالوباء الذي وقع بحرّان وهو في الحبس مع العباس بن الوليد[3] ، وفي الامامة والسياسة ـ في معرض حديثه عن قتل إبراهيم الإمام ـ قال أبو عبيدة : كنت آتيه في السجن ومعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فوالله إني ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان إذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلاً من موالي مروان من الأعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا ، وأصبحنا فإذا عبد الله بن عمر وإبراهيم بن محمد ميتان[4] .

٤٦

شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قيل أنه سمَّ وإبراهيم الإمام[5] بحرَّان فماتا جميعاً في سجن مروان[6] .

= نقض السفاح العهد فبعث إليه من قتله بقصره بواسط ، وفي ذلك يقول أبو فراس الحمداني في ميميته يذم بني العباس ويذكر الغدر بابن هبيرة فيقول :

يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت ... ومعشراً هلكوا من بعد ما سلموا
لبئس ما لقيت منهم وإن بليت ... بجانب الطف تلك الأعظم الرمم
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا ... ولا الهبيري نجّى الحلف والقسم

(ديوان أبي فراس ص ٢٦٠ تحقيق د . محمد التونجي) .

(١) تاريخ الإسلام : ٩٥/٥ .
(٢) المعارف ص ٣٦٩ .
(٣) الكامل : ٤٢٢/٥ .
(٤) الإمامة والسياسة : ١٣٩/٢ .
(٥) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها كاتبه أهل خراسان وغيرها فكان يختلف إليه شيعته وتأتيه رسلهم فوجه أبا

وقيـل إن شراحيـل بن مسلمة كـان محبوسـاً مع إبـراهيم فكانـا يتزاوران فصار بينهما مودة فأتى رسول من شراحيل إلى إبراهيم الإمام يومـاً بلبن فقال : يقـول لك أخـوك إني شربت من هـذا اللبن فأستـطبته فـأحببت أن تشرب منـه فشرب منه فتكسر جسده من ساعته . وكان يوماً يزور فيـه شراحيـل فأبـطأ عليه فأرسل عليه شراحيل :. إنك قد أبطأت عنا فما حسبـك ؟ فأعـاد إبراهيم : إني لما شربت اللبن الذي أرسلت به قد أسهلني فأتاه شراحيـل فقال : والله الـذي لا إلـه إلا هو مـا شربت اليـوم لبنـاً ولا أرسلت بـه إليـك ! فـإنـا لله وإنـا إليـه راجعون ! إحتيل والله عليك فبات إبراهيم ليلته وأصبح ميتاً[1] .

وقيـل : إن شراحيـل خرج مـع سعيد بن هشـام من السجن بعـد قتلهم صاحب السجن فقتلهم أهل حرَّان[2] .

٤٧

العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

ويكنى أبـا الوليـد ، وأبـا الحـارث ، وكـان أكبـرَ ولـد أبيـه كـان يسكن حمص ، واستعمله أبوه عليها وولّاه المغازي غير مـرة ، وكان فـارساً سخيـاً ، وكـان يُقال لـه : فارس بني مـروان ، وافتتح مـدنـاً وحصـونـاً كثيـرة من بـلاد الروم[3] .

= مسلم الخـراساني إلى خـراسان واليـاً له هنـاك فحارب أبـو مسلم ولاة بني أميـة هنـاك وتغلب عليهم باسم إبراهيم الإمام حتى علم مروان بن محمد بأمر إبراهيم فقبض عليـه وأودعه السجن بحران فمات فيه بسمّ سقيه بأمر من مروان بن محمد .

(٦) جمهرة أنساب العرب /١٠٣ .

(١) الكامل لابن الأثير : ٤٢٢/٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) تأريخ مدينة دمشق(ـ تراجم عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب) ص ٢٦٨ .

وروي أنه كانت أُم سعيد بن سعيد بن عثمان بن عفان عند هشام بن عبد الملك ثم طلَّقها فندم على طلاقها فتزوجها العباس بن الوليد بن عبد الملك ثم طلقها فندم على طلاقها فتزوجها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فدسَّ إليها العباس أشعب بأبيات قالها وقال له : إن أنشدتها إياها فلك ألف دينار . فأتاها فأنشدها فقالت له : دسَّك العباس وجعل لك ألف دينار فأخبره عنيْ ولك ألف دينار . ثم قالت : وما قال . فقال : قال :

أسعدةَ هل إليك لنا سبيل ولا حتىٰ القيامة من تلاقِ

فقالت : إن شاء الله . فقال :

بلىٰ ولعلّ دارك أن تواتي بموتٍ من حليلك أو فراقِ

قالت : بفيك الحجر . قال :

فأرجع شامتاً وتقرَّ عيني ويُجمَع شملُنا بعد إنشقاقِ

قالت : بل نشمت بك إن شاء الله[1] .

وكان العباس كثيراً ما ينال من عمر بن عبد العزيز فقد روي : أنه عرض على عمر بن عبد العزيز جوارٍ وعنده العباس بن الوليد بن عبد الملك فجعل كلّما مرت به جارية تعجبه قال : يا أمير المؤمنين : إتخذ هذه ، فلما أكثر قال له عمر بن عبد العزيز : أتأمرني بالزنا . فخرج العباس فمرَّ بأُناسٍ من أهل بيته فقال : ما يجلسكم بباب رجلٍ يزعم أن آباءكم كانوا زناة[2] .

ولمّا همَّ بنو مروان بخلع الوليد بن يزيد قال العباس :

يا قومنا لا تملوا نعمة لكم إن الأله لكم فيما مضىٰ صَنعُ

---

(1) مجالس ثعلب/ ٤ ـ ٥ .

(2) تاريخ مدينة دمشق/ ٢٧٦ ، الوافي بالوفيات : ١٦/ ٦٣٧ .

فأنتم اليوم أهل الملك مذ حِقَبٍ[1] وأهل دنيا ودين ما به طبُعُ
فانفوا عدوّكمُ عن نحت أثلتِكُمْ[2] واستجمعوا أن أمر الدين مجتمعُ
إن الكبير عليكم في ولايتكم أن تصبحوا وعمود الدين منصدعُ
لا تُلحمنَّ[3] ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا أُلحمتْ رُتُعُ[4]
لا تُبقِرنَّ بأيديكم بطونكم فثمَّ لا حسرة تغني ولا جزعُ
لا يلقينّ عليكم من جنايتكم مع الشقاء يديه الأرقمُ الخَدِعُ
إني أُعيذكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
لستم كمن كان قبل اليومَ يسعرها بالمشرفية بيضاً حين تُنتزعُ
إنَّ البرية قد ملَّت ولايتكم فاستمسكوا بحبال العهد واتَّدعوا
فلن تزالوا رؤوس الناس ما صلحوا وما شكرتكم وأضحىٰ العقد يتبعُ[5]

وقد هلك العباس بن الوليد في وباء وقع بحرّان وكان مروان بن محمد حبسه في سجن حرّان[6] .

٤٨

سعيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

روي إن عبد الصمد بن عبد الأعلى كان مؤدباً لسعيد فعبث به يوماً فدخل سعيد على هشام فوقف بين يديه ثم أنشأ يقول :

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

(١) الحِقب ـ بالكسر ـ السنون .
(٢) الأثل : شجر .
(٣) لحمَ القومَ أي أطعمهم اللحم .
(٤) رتعت الماشية أكلت ما شاءت ونرتع أي ننعم ونلهو .
(٥) تأريخ مدينة دمشق /٣٦٩ .
(٦) تأريخ الإسلام : ٩٣/٥ ، الكامل لابن الأثير : ٤٢٢/٥ .

فقال هشام : ولم ذاك ؟ فقال :

أنــه قــد رام مــنــي خُــطة[1] لـم يَــرُمْهــا قـبـله مـنـي أحــد

قال هشام : وما رام ؟ فقال سعيد :

رام جـهــلاً بَـي وجـهــلاً بـأبي يولج العصفور في خِيس[2] الأسد[3]

وفي سنة سبع وعشرين ومائة خلع سليمان بن هشام مروان بن محمد فخرج سعيد معه فحاربه مروان بن محمد فلما انهزمت جيوش سليمان خلَّف أخاه سعيداً على حمص ومضىٰ هو إلى تدمر فأقام بها ثم هرب إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وبايع الضحاك ، أما سعيد فصالح مروان أهل حمص على أن يسلموا سعيداً وابنيه فأسلموه[4] فحبسه مروان بحرَّان فلما كان قبل هزيمة مروان من الزاب بجمعة خرج سعيد بن هشام ومن معه في الحبس فقتلوا صاحب السجن وخرجوا فقتلهم أهل حرَّان[5] .

(١) الخُطة ـ بالضم ـ : الأمر .

(٢) الخيس ـ بالكسر ـ : موضع الأسد ، وكنىٰ سعيد عن عبث مؤدبه به بذلك .

(٣) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ١٧٨/٦ .

(٤) الكامل لابن الأثير : ٣٣٣/٥ .

(٥) الكامل لابن الأثير : ٤٢٢/٥ ، الطبري : ٤٣٦/٧ .

ذكر من قتل منهم في
أيام الدولة العباسية

٤٩

الوليد بن معاوية بن مروان بن
الحكم بن أبي العاص بن أمية

ويُقال أن أُمه زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٢] .

وكان الوليد ختن[٢] مروان بن محمد على ابنته وقد حضر معه معركة الزاب[٣] فلما انهزم مروان رجع إلى الشام وخلّف الوليد بن معاوية على دمشق وقال : قاتلهم حتىٰ يجتمع أهل الشام[٤] ومضىٰ مروان .

ثم سار عبد الله بن علي لطلب مروان فحاصر دمشق وفتح الأبواب يوم الأربعاء لعشرٍ أو خمسٍ مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل الوليد بن معاوية[٥] .

وقيل أنه قتل يوم نهر أبي فطرس[٦] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب /١٠٨ .

(٢) ختن الرجل زوج إبنته .

(٣) الكامل لابن الأثير : ٤١٩/٥ ، الطبري : ٤٣٣/٧ .

(٤) الكامل : ٤٢٥/٥ .

(٥) الطبري : ٤٤٠/٧ ، الكامل : ٤٢٦/٥ ، تاريخ خليفة : ٦١١/٢ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٨٨ .

٥٠-٥١

عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

وعبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

لمّا مضى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم هارباً إلى فلسطين لحقه عبد الله بن عبد الملك فأسره عبد الله بن علي وأسر معه عبد الله بن يزيد بن عبد الملك فوجّه بهما إلى أبي العباس فصلبهما بالحيرة[١] .

٥٢

عبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

لمّا دخل عبد الله بن علي دمشق بعد محاصرتها أخذ عبد الله بن عبد الجبار فبعث به إلى العباس فصلبه ، وكان مدخل عبد الله بن علي دمشق في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة[٢] .

٥٣

يزيد بن معاوية بن مروان

أخذه عبد الله بن علي بعد فتح دمشق وقتل الوليد بن معاوية بن مروان فبعث عبد الله يزيد بن معاوية إلى أبي العباس فصلبه في الحيرة[٣] .

---

(١) تأريخ اليعقوبي : ٢/٣٤٦

(٢) و (٣) تأريخ خليفة : ٢/٦١١ .

٥٤

يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل يحيىٰ بن معاوية بن هشام بن عبد الملك مع مروان بن محمد بالزّاب ، ويحيى هو أخو عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس[١] .

٥٥

محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قيل أنه صاحب الوقعة مع عبد الله بن علي لما هزم بني أُمية فإنه رأى فتى عليه أُبهة الشرف يقاتل مستنتلا[٢] فناداه عبد الله : يا فتى لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد فقال : إن لم أكنه فلست بدونه . قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال :

أذل الحياة وكره الممات ! وكلاً أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيراً إلى الموت سيراً جميلا

ثم قاتل حتىٰ قتل فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وأنه محمد بن مسلمة[٣] . وقيل : إنه محمد بن عبد الملك بن مروان[٤] .

وفي جمهرة أنساب العرب : «ومحمد بن مسلمة كان من أجمل الناس وأشجعهم ، وشهد مع مروان يوم التقى مع عبد الله وكان صديقاً لعبد الله بن

(١) الكامل في التأريخ : ٥/٤٤٥ .
(٢) مستنتلاً أي خارج عن الصف .
(٣) الأغاني : ٤/٣٤٣ .
(٤) النجوم الزاهرة : ١/٢٥٨ .

علي فأمَّنه فلحق به فلما رأى فعل أهل خراسان في أهل الشام حميت نفسه فقال :

ذل الحياة وخزي الممات فكلاً أراه شراباً وبيلا
فإن كان لا بد إحداهما فسيراً إلى الموت سيراً جميلاً

ثم لحق بمروان فقاتل معه حتى قتل[1] .

٥٦

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

بن أبي العاص بن أمية

ويكنى أبا عبد الملك ، ولُقِّب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجَعْد بن دِرْهَم مولى سُويَد بن غفلة الجعفي كان زنديقاً قتله هشام بن عبد الملك وكان أول زنديق إطلع عليه بنو أمية[2] .

ولقب بالحمار أيضاً لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه ، كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويُقال في المثل فلان أصبر من حمار في الحروب فلذلك لقب به . وقيل لأن العرب تسمي كل مائة سنةٍ حماراً فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك[3] .

وكانت ولادة مروان بالجزيرة وأبوه متوليها سنة اثنتين وسبعين[4] .

وأمه أم ولد يقال لها : ريَّا ، وقيل : طرونة[5] ، وقيل : إن أم مروان الحمار كردية يُقال لها لبابة جارية إبراهيم بن الأشتر أخذها محمد من عسكر

(١) جمهرة أنساب العرب ص ١٠٣ .
(٢) جمهرة النسب لابن الكلبي : ١٥٧/١ .
(٣) و(٤) تأريخ الخلفاء ص ٢٠٥ .
(٥) مروج الذهب : ٢٤٧/٣ .

إبراهيم فولدت له مروان ومنصوراً وعبد الله[1] .

وقيل إن أمه بنت إبراهيم بن الأشتر وقال بعضهم : بل كانت أمة لخبّاز لمصعب بن الزبير أو لأبن الأشتر واسم الخبّاز : رُزبا . وقال بعضهم كان رُزبا عبداً لمسلم بن عمرو الباهلي . وقال أبو العباس الهلالي حين دخل على أبي العباس السفاح[2] : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النَّخع ابن عمّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وابن عبد المطلب[3] .

وفي شرح النهج : كانت أم مروان أمة كانت لمصعب ابن الزبير وُهِبَها من إبراهيم بن الأشتر فأصابها محمد بن مروان يوم قتل ابن الأشتر فأخذها من ثقله فقيل إنها كانت حاملاً بمروان فولدته على فراش محمد بن مروان ولذلك كان أهل خراسان ينادونه في الحرب يا ابن الأشتر . وقيل: إنها كانت حاملاً به من مصعب بن الزبير وأنه لم تطل مدتها عند إبراهيم بن الأشتر حتىٰ قتل فوضعت حملها على فراش محمد بن مروان ولذلك كانت المسوّدة تصيح به في الحرب : يا ابن مصعب ! ثم يقولون : يا ابن الأشتر ! فيقول : ما أبالي أي الفحلين غلب عليّ[4] ! .

وكان مروان جباراً فمن جبروته أن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري الأمير كان قد قاتله ثم ظفر به فأدخل عليه يوماً فاستدناه ولفّ على إصبعه منديلاً ورضّ عينه حتىٰ سالت ثم فعل كذلك بعينه الأخرىٰ[5]

---

(١) سيرة أعلاء النبلاء : ٧٧/٦ .

(٢) السفاح أبو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أول خلفاء بني العباس بويع له بالخلافة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الثاني وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالأنبار في مدينته التي بناها وذلك في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ وهو أخو الحجاج بن عبد الملك لأمه كانت أمه تحت عبد الملك بن مروان ثم تزوجها محمد بن علي .

(٣) العقد الفريد : ٤٦٨/٤ .

(٤) شرح النهج : ١٥٧/٧ ـ ١٥٨ .

(٥) سيرة أعلام النبلاء : ٧٦/٦ .

وكان مروان بن محمد صاحب حدس فقد ذكر مخلد[1] بن محمد بن الحارث وكان من كتّاب مروان : أنه حضر مجلس عبد الله بن علي يوماً فسأله عن مروان وقال له : حدثني عنه . فقال له : إنه قال لي يوم الوقعة : أحرُز لي القوم . فقلت : إني صاحب قلم ولست بصاحب حرب . فأخذ يمنة ويسرة ونظر ثم قال لي : هم اثنا عشر ألفاً . فجلس عبد الله وكان متكئاً ثم قال : لله دَرّه ! ما أحصى الديوان يومئذٍ فضلاً عن إثنىٰ عشر ألفاً [2]

وقد كان بويع مروان في دمشق سنة سبع وعشرين ومائة يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل إنما دعا إلى نفسه بمدينة حرّان من ديار مضر وبويع له بها[3] .

وكان مروان قد أنكر قتل الوليد وبايع ليزيد بن الوليد بعدما ولّاه يزيد من عمل أبيه فلما مات يزيد بن الوليد سار مروان في جنود الجزيرة وخلّف ابنه عبد الملك في جمع عظيم بالرَّقة فلما انتهىٰ مروان إلى قنسرين لقي بها بشر بن الوليد وكان ولّاه أخوه قنسرين ومعه أخوه مسرور بن الوليد فدعاهم إلى بيعته فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية وأسلموا بشراً وأخاه مسروراً فحبسهما مروان وسار إلى حمص وأخذ البيعة لنفسه من أهلها بعد أن رفض أهلها مبايعة إبراهيم بن الوليد فوجّه إبراهيم الجنود من دمشق مع سليمان بن هشام فالتقىٰ معه مروان ووقع القتل بينهم وانهزم سليمان بن هشام بعد مكيدة مروان ولحق بالشام وهرب مع يزيد بن خالد بن عبد الله القسري واجتمعوا عند إبراهيم وقال بعضهم لبعض إن بقي ولدا الوليد حتىٰ يخرجهما مروان ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما والرأي قتلهما فأمر يزيد بن خالد أبا الأسد مولى خالد بقتلهما وكان مروان قد أخذ البيعة لهما من بشر ومسرور

---

(١) وفي العقد الفريد : ٤٧٣/٤ والطبري : ٤٣٩/٧ أنه مصعب بن الربيع .

(١) الوزراء والكتاب ص ٨٠ ص ٨١ .

(٢) مروج الذهب : ٢٤٧/٣ .

إبني الوليد بن عبد الملك وسار مروان إلى دمشق فدخلها وهرب إبراهيم[1] .

وكان الحكم بن الوليد بن يزيد يقول وهو في حبسه :

ألا ليت كلباً لم تلدني   وكنّا من ولادة آخرينا
أيذهب عامر بدمي وملكي   فلا غثّاً أصبت ولا سمينا
فإن أهلك أنا وولي عهدي   فمروان أمير المؤمنينا[2] .

ثم إن مروان بن محمد لم يتهنَّ بالخلافة لكثرة من خرج عليه كان آخرها ظهور أمر بني العباس وانتشار الدعوة العباسية واشتداد قوتها وظهور أهل خراسان والمسوِّدة .

وروي أن مروان قال ـ لما ظهر أمر بني العباس ـ لكاتبه عبد الحميد[3] : إنا نجد في الكتب إن هذا الأمر زائلٌ عنا لا محالة وسيضطر إليك هؤلاء القوم ـ يعني ولد العباس ـ فصر إليهم فإني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مُخلَّفِيَّ وفي كثير من أسبابي فقال له : وكيف لي بأن يعلم الناس جميعاً أنَّ هذا عن رأيك وكلهم يقول : إني غدرت وصرت إلى عدوك وأنشد :

أسِرُّ وفاءً ثم أظهر غدرة   فمن لي بعذر يُوسع الناسَ ظاهرُه !

وأنشد أيضاً :

فذنبي ظاهر لا ريب فيه   لِلائمةٍ وعُذري بالمغيبِ

---

(1) مروج الذهب : ٣/٢٤٧ .

(2) المعارف /٣٦٨ .

(3) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري المعروف بالكاتب عالم بالأدب من أئمة الكتّاب كان جده مولى للعلاء بن وهب العامري فنسب إليه . وقد عُرف بالبلاغة والفصاحة فاختص بمروان بن محمد وهو أول من أطال بالرسائل قتل مع مروان ببوصير من أرض مصر وقد أسر ثم قتل ، وسئل من اين لك هذه البلاغة ؟ قال : حفظت سبعين من خطب علي بن أبي طالب ففاضت ثم فاضت .

فلمـا سمع ذلـك مروان علم أنـه لا يفعل ثم قـال عبد الحميـد : الذي أمرتني أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي ولك عليَّ الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل معك[1] .

وكان قحطبة[2] من قادة العباسيين فأرسـل أبا عـون عبد الملك بن يـزيد الأزدي إلى شهرزور[3] فقُتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصـل فسار إليـه مروان من حران حتىٰ بلغ الزاب[4] وحفر خندقاً وكان في عشرين ومـائة ألف ، وسـار أبو عـون إلى الزاب فـوجّـه أبـو سلمـة إلى أبي عـون عُيينـة بن مـوسى والمنهال بن فتّان وإسحاقَ بن طلحة كـل واحد في ثـلاثة آلاف فلما ظهر أبـو العباس بعث سلمة بن محمـد في ألفين وعبد الله الـطائي في ألف وخمسمائـة إلى أبي عون ثم قال : من يسيـر إلى مروان من أهـل بيتي ؟ فقال عبـد الله بن علي[5] : أنا ، فسيَّره إلى أبي عون فتحول أبو عون عن سرادقه وخـلّاه له ومـا

(١) الوزراء والكتاب / ٧٩ .

(٢) قحـطبـة بن شبيب الـطائي قـائـد شجـاع من ذوي الـرأي والشـأن ، صحب أبـا مسلم الخـراساني ونـاصره في الـدعوة لبني العبـاس وقاد جيـوش أبي مسلم وكان مـظفراً في جميع وقائعه . غرق في الفرات على اثر وقعه له مع ابن هبيرة .

(٣) شهر زور في جهة حلوان وبقرب كوثى من بابل هاروت وماروت ومعنى شهرزور نصفـا الطريق وكانت منتصف طريقهم إلى بيت نار لهم وكانت شهرزور مضمومة إلى الموصل حتى فرقت في آخر خلافة الرشيد .

(٤) الـزاب اسم ملك من ملوك الفرس احتفـر النهرين المعـروفين بالـزابين الصغير والكبيـر الخارجين من بلاد أرمينية الصابين في دجلة . وعلى الزاب الصغير نـزل مروان بجنـده وكانت الهزيمة عليه حينئذٍ .

(٥) عبـد الله بن علي بن عبد الله بن العبـاس بن عبد المـطلب عمّ السفاح وهـو الذي هـزم مروان بالزاب وتبعه إلى الشام وفتحها وقتل أعيان بني أمية ومهّد دخول السفاح لـدمشق فولاه السفاح بلاد الشام فلما ولى المنصور الخلافة بعد أخيه السفاح خرج عبد الله عليه ودعا إلى نفسه فانتدب له المنصور أبا مسلم الخراسـاني لحربـه فهزم عبـد الله بن علي واختفى وصار إلى البصرة ثم أمّنه المنصور فرجع إليـه فغدر بـه المنصور ونكث الأمـان وحبسه في بغداد وقتل في حبسه لسقوط السجن عليه .

فيه [1]

ولمّا أشرف عبد الله بن علي يوم الزاب في المسوِّدة وفي أوائلهم البنود [2] السود تحملها الرجال على الجمال البُخت [3] وقد جعل لها بدلاً من القنا خشب الصفصاف والغرب [4] قال مروان لمن قرب منه: أما ترون رماحهم كأنها النخل غلظاً ! أما ترون أعلامهم فوق هذا الإبل كأنها قطع الغمام السود ! فبينما هو ينظرها ويعجب إذ طارت قطعة عظيمة من الغربان فنزلت على أول عسكر عبد الله بن علي واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فإزداد تعجبه وقال : أما ترون إلى السواد قد اتصل بالسواد حتىٰ صار الكل كالسحب السود المتكاثفة ! ثم أقبل على رجل إلى جنبه فقال : ألا تعرفني مَن صاحب جيشهم ؟ فقال : عبد الله بن علي بن العباس بن عبد المطلب . قال : ويحك : أمِنْ ولد العباس هو؟ قال : نعم . قال : والله لوددتُ أن علي بن أبي طالب مكانه في هذا الصف . قال : يا أمير المؤمنينَ أتقول هذا لعليٍ مع شجاعته التي ملأ الدنيا ذكرها ! قال : ويحك ! إنَّ علياً مع شجاعته صاحب دين وإن الدين غير الملك [5] .

فلما كان لليلتين خلتا من جمادي الآخرة سنة إثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله بن علي عن مخاضة فَدُلَّ عليها بالزاب فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر لمروان فقاتلهم حتىٰ أمسوا ورجع إلى عبد الله بن علي وأصبح مروان فعقد الجسر وعبر عليه فنهاه وزراؤه عن ذلك فلم يقبل وسيَّر ابنه عبد الله فنزل أسفل من عسكر عبد الله بن علي فبعث عبد الله بن علي المخارقَ ـ بن غفار ـ في أربعة آلاف نحو عبد الله بن مروان

---

(1) الكامل في التأريخ : ٤١٧/٥ .
(2) البند : العلم الكبير وهو فارسي معرب .
(3) الإبل البخت : وهي الإبل الخراسانية والبُخت كلمة فارسية معربة
(4) الغرب ـ بفتح الراء ـ ضرب من الشجر واحده غَرَبَةٌ .
(5) شرح النهج : ١٣٤/٧ .

فسرَّح إليه ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فالتقيا فانهزم أصحاب المخارق وثبت هو فأسر هو وجماعة وسيَّرهم إلى مروان مع رؤوس القتل فقال مروان : أدخلوا عليَّ رجلاً من الأسرى فأتوه بالمخارق وكان نحيفاً فقال : أنت المخارق ؟ قال : لا ، أنا عبد من عبيد أهل العسكر . قال : فتعرف المخارق ؟ قال : نعم . قال : فانظر هل تراه في هذه الرؤوس فنظر إلى رأس منها فقال : هو هذا . فخلى سبيله فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه : لعن الله أبا مسلم[1] حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم .

ولما بلغت الهزيمة عبد الله بن علي أرسل إلى طريق المنهزمين من يمنعهم من دخول العسكر لئلا ينكر قومهم وأشار عليه أبو عون أن يبادر مروان بالقتال قبل أن يظهر أمر المخارق فيفتّ ذلك في أعضاد الناس فنادى فيهم بلبس السلاح والخروج إلى الحرب فركبوا واستخلف على عسكره محمد بن وصول وسار نحو مروان وجعل على ميمنته أبا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية وكان عسكره عشرين ألفاً وقيل إثني عشر ألفاً وقيل غير ذلك .

فلما إلتقى العسكران قال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن زالت الشمس ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى المسيح (عليه السلام) وإن قاتلونا فأقبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأرسل مروان إلى عبد الله يسأله الموادعة فقال عبد الله : كذب ابن

---

(١) أبو مسلم الخراساني وهو عبد الرحمن بن مسلم مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة ولد في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسىٰ ومعقل ابني إدريس العجلي فربياه إلى أن شب فاتصل بإبراهيم بن محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان داعية فأقام فيها واستمال أهلها ووثب على ابن الكرماني فقتله واستولى على نيسابور وسُلِّم عليه بإمرتها فخطب باسم السفاح ثم سيَّر جيشاً لمروان بن محمد وكانت نهاية الدولة الأموية فتولى الخلافة السفاح ثم المنصور فخاف من الخراساني فقتله برومة المدائن عن سبع وثلاثيَن عاماً .

رُزَيق لا تـزول الشمس حتىٰ أوطئه الخَيـل إن شـاء الله . فقـال مـروان لأهـل الشـام : قفوا لانبـدأهـم بالقتـال . وجعل ينـظر إلى الشمس فحمل الـوليـد بن معـاوية بن مـروان بن الحكم ختن مروان على ابنتـه فغضب وشتمه وقـاتل ابن معاوية أبا عونٍ فانحاز أبو عون إلى عبـد الله بن علي فقال لمـوسى بن كعب : يا عبد الله مرِّ الناس فلينزلوا فنـودي : الأرضَ . فنزل النـاس وأشرعـوا الرمـاح وجثـوا على الركب فقـاتلوهم وجعل أهـل الشام يتـأخرون كـأنهم يـدفعـون ومشىٰ عبد الله بن علي قدماً وهو يقول : يا رب حتىٰ متىٰ نقتـل فيك ؟ ونـادى يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم ! يا محمد ! يا منصور ! واشتد بينهـم القتـال فقال مروان لقضاعة : انزلوا . فقالوا : قـل لبني سُليم فلينزلـوا . فأرسـل إلى السكاسك أن أحملوا فقالوا : قـل لبني عامـر فليحملوا . فأرسـل إلى السَّكون أن احملوا فقـالوا : قـل لغطفـان فليحملوا . فقال لصـاحب شـرطتـه : إنـزل فقال : والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأسوءنَّـك ؟ فقال : وددتُ والله أنك قدرت على ذلـك . وكان مـروان ذلك اليـوم لا يدبـر شيئاً إلا كان فيه الخلل فـأمر بـالأموال فـأخرجت وقـال للناس : أصبروا وقاتلوا فهـذه الأموال لكم فجعل ناس من الناس يصيبـون من ذلك فقيـل له : إن النـاس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم أن يذهبوا به فأرسل إلى ابنه عبد الله : أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك فاقتل من أخذ من هذا المال وامنعهم . فمال عبد الله برايته وأصحابه فقال الناس : الهزيمةَ الهزيمة ! فانهزم مروان وانهزموا وقـطع الجسر وكـان من غرق يـومئذٍ أكثـر ممن قتـل فكـان ممن غـرق يـومئـذٍ إبـراهيمَ بن الـوليـد بن عبـد الملك المخلوع فـاستخـرجـوه في الغـرقى فقـرأ عبـد الله : ﴿وإذ فـرقنـا بكم البحـر فـأنجينـاكم واغـرقنـا آل فـرعـون وأنتم تنظرون﴾[1] وقيل بـل قتله عبد الله بن علي بـالشام . وقتـل في هذه الـوقعـة سعيد بن هشام بن عبد الملك وقيل : بل قتله عبد الله بالشام .

وأقام عبد الله بن علي في عسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٥٠ .

العاص يعيِّر مروان :

لجَّ[1] الفرار بمروان فقلت له :	عاد الظلومُ ظليماً همه الهرب
أين الفرار وترك الملك إذ ذهبت	عنك الهوينا[2] فلا دين ولا حسب
فراشةُ الحِلْمِ فرعون العقاب وإن	تطلب نداه فكلب دونه كَلَبُ

وكتب يومئذٍ عبد الله بن علي إلى السفاح بالفتح وحوى عسكر مروان بما فيه فوجد سلاحاً كثيراً وأموالاً ولم يجد فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان .

فلما أتى الكتاب السفاح صلى ركعتين وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة دينار ورفع أرزاقهم إلى ثمانين .

وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة[3] .

وكان لما هزمه عبد الله بن علي بالزاب أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي فقطعا الجسر فناداهم أهل الشام : هذا أمير المؤمنين مروان ! فقالوا : كذبتم أمير المؤمنين لا يفر ! وسبّه أهل الموصل . وقالوا : يا جعدي ، يا معطل ، الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم ! الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا . فلما سمع ذلك سار إلى بلد فعبر دجلة وأتى حرّان وبها ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمد بن مروان عامله عليها فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً[4] وكانت داره ومقامه وأهلها من شيعة أبي سفيان ممن أصرَّ على بقاء لعن أمير المؤمنين وقالوا: لا صلاة إلا بلعن أبي تراب فلما دخلها اتبعه عبد الله بن علي بجنود فلما شارفه

---

(١) لج : صاح .

(٢) الهوينا من الهون أي اللين .

(٣) الكامل لابن الأثير : ٤١٨/٥ ـ ٤٢١ ، الطبري : ٤٣٤/٧ ـ ٤٣٥ .

(٤) الكامل : ٤٢٤/٥ ، الطبري : ٤٣٩/٧ ، تاريخ الوردي : ٢٨٧/١ .

خرج مروان منها وعبر الفرات ودخل عبدُ الله حران وهدم دار مروان فيها[1]، ومضى مروان إلى حمص فلقيه أهلها بالسمع والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم سار منها فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه وقالوا : مرعوب منهزم فاتبعوه بعدما رحل عنهم فلحقوه على أميال فلما رأى غبرة الخيل كمُن[2] لهم فلما جاوزوا الكمين صافَّهم[3] مروان فيمن معه وناشدهم فأبوا إلا قتاله فقاتلهم. وأتاهم الكمين من خلفهم فانهزم أهل حمص واقتتلوا حتىٰ انتهوا إلى قريب المدينة[4] .

وكان مروان فكّر بالميل إلى الروم وذلك عندما شارف على الهزيمة إلى حرّان . قال إسماعيل بن عبد الله القسري : دعاني مروان وقد وافى على الهزيمة إلى حرّان فقال : يا أبا هاشم ـ وما كان يكنيني قبلها ـ وقد ترى ما جاء من الأمر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعطرٍ بعد عروس [5] فما الرأي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين علام أجمعت ؟ قال : على أن أرتحل بمواليَّ ومن تبعني من الناس حتىٰ اقطع الدَّرْبَ [6] وأميل إلى مدينة من مُدن الروم فأنزلها وأكاتب صاحبها واستوثق منه فعل ذلك جماعة من ملوك العجم وليس هذا عاراً بالملوك فلا يزال يأتيني من أصحابي الخائف والهارب والطامع فيكثر من معي ولا أزال على ذلك حتىٰ يكشف الله أمري وينصرني على عدوي .

فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأي ورأيت آثاره في قومي من قحطان وبلاءهم عندهم فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي تحكم

---

(١) شرح النهج : ١٢٣/٧ .

(٢) كمُن : كمن كموناً أي توارى واستخفى ومنه الكمين في الحرب .

(٣) صافَّ : الصف السطر المستوي وصففت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم في الحرب صفاً.

(٤) الكامل لابن الأثير : ٤٢٤/٥ .

(٥) مثل يضرب لمن لا يدخر نفيس . وقد ذكر أن رجلاً أهديت له امرأة فوجدها تفلة ـ أي متغيرة الرائحة ـ فقال لها: أين الطيب ؟ فقالت : خبأته فقال : لا مخبأ لعطر بعد عروس .

(٦) الدرب : ما بين طرطوس وبلاد الروم .

أهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدري ما تأتي به الأيام وأنت إن حدث عليك حادث بأرض النصرانية ـ ولا يحدث عليك الأخير ـ ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر أهل الشام جنداً جنداً فإنك في كنف وعزة ولك في كل جند صنائع يسيرون معك حتىٰ تأتي مصر فإنها أكثر أرض الله مالاً، وخيراً ورجالاً ثم الشام أمامك وأفريقية خلفك فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام وإن كانت الأخرىٰ مضيت إلى افريقية . قال : صدقت واستخير الله . فقطع الفرات ووالله ما قطعه معه من جيش إلا رجلان : ابن حمزة السلمي ـ وكان اخاه في الرضاعة ـ والكوثر بن الأسود الغنوي ، ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً بل غدروا به وخذلوه فلما اجتاز بلاد قنسرين وخُناصرة أوقعت تُنوخُ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار إلى دمشق فوثب به الحارث بن عبد الرحمن الحريش ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمرو القيسي والمذحجيون جمعاً ثم مرّ بفلسطين فوثب الحكم بن صنعان بن روح بن زنباع لما رأوا من إدبار الأمر عنه . وعلم مروان إن إسماعيل بن عبد الله القشيري قد غشه في الرأي ولم يمحضه النصيحة وأنه فرَّط في مشورته إياه إذ شاور رجلاً من قحطان موتوراً متعصباً مع قومه على أضدادهم من نزار وإن الرأي كان الذي همَّ بفعله من قطع الدَّرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبة ملكها إلى أن يرتئي في أمره[1] .

وكان مروان قد أتى دمشق وعليها الوليد بن معاوية بن مروان فخلفه بها وقال : قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام ومضى مروان حتىٰ أتى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجُذَامي فأرسل مروان إلى عبيد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فأجاره وكان بيث المال في يد الحكم[2] .

ولحق عبد الله بن علي مروان إلى دمشق فحاصرها وفتح أبوابها وقتل

(١) مروج الذهب : ٣/٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، شرح النهج : ٧/١٣٣ .
(٢) الكامل لابن الأثير : ٥/٤٢٥ .

الـوليد بن معـاوية فيهـا ثم سار إلى نهـر ابي فطرس وقـد ذهب مـروان فـأقـام عبد الله بن علي في فلسطين فأتاه كتاب السفاح يـأمره بـإرسال صـالح بن علي في طلب مـروان وقد قـدم مروان بن محمـد مصر يـوم الثلاثـاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثـلاثين ومائـة وعزم مـروان على تعديـة النيل فـأمر بـدار آل مروان المذهَّبة فأُحرقت فقال له زبّان بن عبد العزيـز : إنها دار بني عبد العزيز وقد أعظمت فيها النفقة . فقـال مروان : إن أبق أبْنِهـا لَبنة من ذهب ولَبِنـة من فضـة وإلا فما تصـاب به من نفسـك أعظم . ثم دخـل مـروان إلى الجيـزة[1] وحرق الجسرين فقال عيسىٰ بن شافع يبكي الدار المذهبة :

يـا طـللاً أقـوى وحَـلَّ الـبِـلى ... منـه لـدى العـلو وفـي الأسـفـل
قـد كـنت مـغنىً لـعيـون المهـا ... وكـنـت مـأوى لِـظُبـي الـرَّمْـلِ
وكـان أربـابُـك مـا إن لـهـم ... في النـاس من نـوعٍ ولا شكـل[2]

وقد سار صالح في طلب مروان من نهر أبي فطرس في ذيّ القعدة سنـة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه ابن فتّان وعامـر ابن إسماعيـل فقدم صالح أبـا عون وعامر بن إسماعيل الحـارثي فساروا حتى بلغـوا العريش[3] فـأحرق مـروان ما كان حوله من علف وطعام .

وسـاز صالـح فنزل النيـل ثم سار حتىٰ أتىٰ الصعيـد[4] ويلغـه أنّ خـلاً لمـروان يحرقـون الأعلاف فـوجّه إليهم فـأُخذوا وقـدم بهم على صـالـحٍ وهـو بالفسطاط وسار فنزل موضعاً يُقـال له ذات السـلاسل وقـدم أبو عـون عامـر بن إسماعيل الحـارثي وشعبة بن كثيـر المازني في خيـل من أهل المـوصل فلقـوا خيـلاً لمـروان فهـزمـوهم وأسـروا منهم رجـالاً فقتلوا بعضـاً واستحيـوا بعضـاً فسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يأمنـوهم وساروا فـوجدوه نـازلاً

(١) الجيزة ـ بالكسر ـ : في لغة العرب الوادي أو أفضل موضع فيه وهي بلدة غربي فسطاط مصر..

(٢) ولاة مصر /١١٨ .

(٣) من ديار مصر وهي أول مسالح مصر وأعمالها وهي من سواحل للبحر .

(٤) الصعيد من أعالي بلاد مصر .

في كنيسة في بوصير[1] فوافوه ليلاً وكان أصحاب أبي عون قليلين فقال لهم عامر بن إسماعيل : إن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ولم ينج منا أحد وكسر جفن[2] سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه ـ يُقال أنه من البصرة يُقال له المغود[3] ـ وهو لا يعرفه وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه فسبق إليه رجل من الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فأخذه عامر فبعث به إلى أبي عون وبعثه أبو عون إلى صالح فلما وصل إليه أمر أن يقصَّ لسانه فانقطع لسانه فأخذه هرّ فقال صالح : ماذا ترينا الأيام من العجائب والعبر ! هذا لسان مروان قد أخذه هرّ . وقال الشاعر :

قد فتح اللّه مصراً عنوة لكمُ	وأهلك الفاجر الجعدي إذ ظلما
فلاك مِقولَه هرٌّ يُجرِّره	وكان ربك من ذي الكفر منتقما

وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة[4] وقيل قتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة وكانت ولايته من حين بويع إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً[5] ، وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة وفي قول : ابن تسع وستين وقول آخر : ابن ثمان وخمسين[6] أو ابن تسع وخمسين[7] .

ولمّا قتل مروان أرادوا الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساؤه فإذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن فأخذوا الخادم فسئل عن أمره فقال : أمرني مروان إن هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني ليفقدن ميراث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالوا له : انظر ما

---

(1) بوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر .

(2) جفن السيف غمده .

(3) الطبري : ٧/٤٤٢ .

(4) الكامل : ٥/٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

(5) الطبري : ٧/٤٤٢ ، تاريخ ابن الوردي : ١/٢٨٨ .

(6) الطبري : ٧/٤٤٢ .

(7) المعارف : ص ٣٧٣ .

تقول . قال : إن كذبت فاقتلوني هلموا فاتبعوني ففعلوا فأخرجهم إلى موضع رمل فقال : اكشفوها هنا فكشفوا فإذا البُرْد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير إلى بني هاشم فوجّه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي فوجّه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر[١] .

وأدخل بنات مروان وحرمه ونساؤه على صالح بن علي فتكلمت ابنة مروان الكبرىٰ فقالت : يا عم أمير المؤمنين : حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه وأسعدك في أحوالك كلها وعمك بخواص نعمه وشملك بالعافية في الدنيا والآخرة ! نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عدلكم ما وسعنا من جوركم . قال : إذاً لا نستبقي منكم أحداً لأنكم قد قتلتم إبراهيم الإمام وزيد بن علي ويحيىٰ بن زيد ومسلم بن عقيل[٢] وقتلتم خير أهل الأرض حسيناً واخوته وبنوه وأهل بيته وسقتم نساءه سبايا كما يُساق ذراري الروم ـ على الاقتاب إلى الشام فقالت : يا عم أمير المؤمنين فليسعنا عفوكم إذاً . قال : أما هذا فنعم وإن أحببت زوجتك من ابني الفضل قالت : يا عم أمير المؤمنين وأي ساعة عرس ترى ! بل تلحقنا بحران فحملن إلى حرّان[٣] .

وفي شرح النهج : قال الحسن بن قحطْبة : اخرجوا إليَّ احدى بنات

(١) مروج الذهب : ٣/٢٦١ ـ ٢٦٢ .
(٢) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب تابعي من ذوي الرأي والشجاعة والعلم كان مقيماً بمكة فانتدبه الإمام الحسين (عليه السلام) ليتعرف حال الكوفة حين وردت عليه كتبهم فرحل مسلم الى الكوفة فأخذ بيعة أهلها وكتب للحسين (عليه السلام) بذلك فلما شعر عبيد الله بن زياد طلبه فمنعه الناس ثم تفرقوا لشدة البطش واخذهم على الظنة فأوى إلى دار امرأة من كندة تدعى «طوعة» فعرف ابن زياد مكانه فبعث إليه الحرس فقاتلهم حتىٰ غدر به فأسر وقتل ورمي جسده من أعلى قصر الإمارة فكان أول شهيد في ثورة الحسين (عليه السلام) .
(٣) شرح النهج : ٧/١٢٩ .

مروان فأخرجوها إليه وهي تُرعَد . قال : لا بأس عليك ! قالت : وأي بأس أعظم من إخراجك إياي حاسرة ولم أر رجلاً قبلك قط ! فأجلسها ووضع رأس مروان في حجرها فصرخت واضطربت فقيل له : ما أردت بهذا ؟ قال : فعلت بهم فعلهم بزيد بن علي لما قتلوه جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي بن الحسين (عليه السلام)[1] .

ثم بعث برأس مروان إلى أبي العباس فلما أتي به ووضع بين يديه سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك والحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ثم قال : ما أبالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان بأخي إبراهيم وتمثل :

لو يشربون دمي لم يُرْوَ شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ثم جلس وقد أسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له :

أبىٰ قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواطِعُ في أيماننا تقطر الدما
تورثن من أشياخ صدقٍ تقربوا ... بهنَّ إلى يومَ الوغى فتقدما
إذا خالطت هام الرجال تركنها ... كبيض نعام في الوغى متحطما[2]

٥٧

زَبّان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتل في مصر أواخر الدولة الأموية ، قال الذهبي : زبّان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أخو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، كان

(١) شرح النهج : ١٥٣/٧ .
(٢) مروج الذهب : ٢٧١/٣ ـ ٢٧٢ .

أحد فرسان مصر المذكورين ، وكان أحد من فرَّ من المسوِّدة ، تقنطر[1] به فرسه ليلة قتلوا مروان ببوصير فسقط فذبحوه ، وذلك آخر ليلة من ذي الحجة سنة إثنتين وثلاثين ومائة[2] .

وفي ولاة مصر : وقتل مروان ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة إثنتين وثلاثين ومائة ، وقتل معه زبّان بن عبد العزيز بن مروان[3] .

وفي الوافي بالوفيات : روى عن أخيه وأبي بكر بن عبد الرحمن ، وروى عنه الأوزاعي والليث وأسامة ، وابن أخيه عبد العزيز وغيرهم .

وكان له عقب بالأندلس ، وهو لأم ولد ، حضر الوقعة مع مروان بن محمد ليلة بوصير فتقنطر به فرسه فسقط عند حائط العجوز فانكسرت رجله ، وأدركته المسودة فقتلوه ولم يعرفوه[4] .

وفي ولاة مصر : وعزم مروان على تعدية النيل فأمر بدار آل مروان المذهّبة فأحرقت . فقال له زبّان بن عبد العزيز : إنّها دار بني عبد العزيز وقد أُعظمت فيها النفقة . فقال مروان : إن أبقَ أبْنِها لَبِنة من ذهب ولَبِنة من فضّة ، وإلاّ فما تُصابُ به مِن نفسك أعظم[5] .

٥٨

إبراهيم بن زبّان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

قتل مع أبيه زبّان ببوصير مع مروان بن محمد يوم الجمعة لسبع بقين من

---

(١) قنطر : عثر .
(٢) تأريخ الإسلام : ٥/٢٥٠ .
(٣) ولاة مصر ص ١١٨ .
(٤) الوافي بالوفيات : ١٤/١٦٩ .
(٥) ولاة مصر : ص ١١٧ .

ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة[1] .

٥٩

عبد العزيز بن جُزَيّ[2] بن عبد العزيز

قتل مع مروان بن مُحمد[3] .

٦٠

الطُفيل بن زبّان بن عبد العزيز

قتل بالصعيد بعد قتل مروان بن محمد[4] .

٦١

محمد بن زبّان بن عبد العزيز

قتل بالصعيد بعد قتل مروان ، وقيل : إنه ذهب هارباً فلم يعرف به أحد ، ولا عرف له خبر[5] .

٦٢

العاص بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

العاص بن الوليد قتله عبد الرحمن بن جبيب الفهري[6] في أفريقية[7] .

---

(١) ولاة مصر ص ١١٨ .

(٢) وفي جمهرة النسب لابن الكلبي : جَـزْءُ راجع ١/١٥٥ .

(٣) ولاة مصر ص ١١٨ ، جمهرة أنساب العرب ص ١٠٥ .

(٤) و (٥) ولاة مصر ص ١١٨ .

(٦) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري أمير من الشجعان الدهاة =

٦٣

عبد الله بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

عبد الله بن الوليـد قتله عبد الـرحمن بن حبيب الفهري ، ذكـره ابن أبي الحديد[١] ولم يذكره الزبيري في نسب قريش ولا ابن حزم في جمهرته .

٦٤

المؤمن بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتله عبد الرحمن بن حبيب الفهري مع أخويه [٢] .

كيفية قتلهم

ففي شرح النهج : كان عبد الرحمن بن حبيب بن مسلمة الفهري عامـل افـريقية لمـروان فلما حـدثت الحادثـة هرب عبـد الله والعاص ابنـا الـوليـد بن يـزيد بن عبـد الملك فاعتصمـا به فخـاف على نفسه منهمـا ورأى ميل النـاس إليهما فقتلهما[٣] .

= كان مع أبيه بافريقية وقتل سنة ١٢٢ هـ فسار إلى الأندلس وحـاول اقتحامهـا فلم يفلح فعاد إلى تونس فأقام إلى سنـة ١٢٦ فبايعـه أهلها فسـار بهم إلى القيروان فملكهـا وغزا تلمسان وصقلية وسـردانية . قتله أخـواه إلياس وعبـد الوارث غيلة في قصـره بالقيـروان وكانت إمارته استقلالاً عشر سنين وسبعة أشهر .

(٧) جمهرة أنساب العرب/٩٢ ، نسب قريش ص ١٦٧ .

(١) شرح النهج : ٧/١٣٠ .

(٢) جمهـرة أنساب العـرب ص ٩٢ ، تـأريـخ مـدينـة دمشق ـ تـراجم حـرف العين المتلوة بالألف ـ تحقيق شكري فيصل ص ١٠٢ .

(٣) شرح النهج : ٧/١٣٠ .

٦٥

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن الوليد الناقص بعهد منه في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وقيل إنّ أخاه لم يعهد إليه ولكنه استولى بغير عهد .

وروي عن برد بن سنان قال : حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن فقال له : أنا رسول من وراء بابك يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم . فغضب وقال بيده على جبهته : أنا أولّي إبراهيم . ثم قال لي : يا أبا العلاء إلى من ترى أن أعهد . فقلت له : أمر نهيتك عن الدخول في أوله فلا أشير عليك في آخره . قال : وأصابته إغماءة حتى ظننت أنه قد مات ، ففعل ذلك غير مرة فقال : فقعد قطن فافتعل كتاباً عن لسان يزيد بن الوليد ودعا أناساً فأشهدهم عليه[1] ، فبويع لإبراهيم بالخلافة فمكث سبعين ليلة ثم خلعه مروان بن محمد فسلّم الأمر إليه فتركه مروان حياً إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فقتل مع من قتل من بني أمية[2] ، وقيل إنه قتل في معركة الزاب حيث شهدها مع مروان[3] وقيل : إن مروان لمّا ملك واستدام له قتله[4] .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣٠٣/٢ .

(٢) الكامل لابن الأثير : ٣١١/٥ .

(٣) شرح النهج : ١٢٢/٧ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣٠٣/٢ .

٦٦

بكّار بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

وهو أبو بكر[١] الأموي كان مع مروان بن محمد بدير أيوب[٢] حين بايع لإبنيه عبد الله وعبيد الله بولاية العهد ، له ذكر ، وقتل بكّار يوم نهر أبي فطرس[٣] وفي نسب قريش : «وأبا بكر بن عبد الملك وهو بكار وهو مبعث الأصغر وأمه وعائشة بنت موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله»[٤] .

ويروى أنه خطب عابدة بنت شعيب[٥] بكارُ بن عبد الملك فتزوجت الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فقال له بكار : كيف تزوجتك على فقرك ؟ فقال الحسين بن عبد الله : يعيرنا بالفقر وقد نحلنا الله جلَّ ثناؤه الكوثر [٦] .

وعابد هي التي يقول فيها الحسين بن عبد الله :

أعابد حييتم على النأي عابداً ... وأسقاك ربي المسبلاتِ الرواعدا
أعابد ما شمس النهار إذا بدت ... بأحسن مما بين عينيك عابدا[٧]

(١) جمهرة النسب : ١/١٥٤ .
(٢) دير أيوب : قرية بحوران من نواحي دمشق .
(٣) تاريخ ابن عساكر : م ١٠/٢٢٩ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ .
(٤) نسب قريش /١٦٤ .
(٥) شُعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص .
(٦) تأريخ ابن عساكر : م ١٠/٢٣٠ .
(٧) تاريخ ابن عساكر : م ١٠/٢٣٠ .

٦٧

سعيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

وقد اشتهر بالنسك ، قتل فيمن قتل من بني أمية يوم أبي فطرس[١] وفي نسب قريش : «وسعيد الخير بن عبد الملك ، وهو صاحب نهر سعيد الذي عمله»[٢] .

وفي معجم البلدان : «نهر سعيد دون الرَّقة من ديار مضر ينسب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان ، وهو الذي يُقال له : سعيد الخير ، وكان يظهر نسكاً ، وكان موضع نهره هذا غيطة[٣] ذاتَ سباع فأقطعه إياها الوليد أخوه فحفر النهر وعمّر ما هناك»[٤] .

٦٨

أمية بن يزيد بن أبي عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية

روى عن عمر بن عبد العزيز ومكحول[٥] وغيرهما ، قتله صالح بن علي، أو عبد الله بن علي يوم نهر أبي فطرس سنة اثنتين وثلاثين ومائة[٦] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب /٨٩ .

(٢) نسب قريش /١٦٥ .

(٣) الغيطة : الأجمة وهي مغيض ماءٍ يجتمع فينبت فيه الشجر .

(٤) معجم البلدان : ٣٢١/٥ .

(٥) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل أبو عبد الله الهذلي بالولاء فقيه الشام في عصره من حفاظ الحديث ، أصله من فارس ، ومولده بكابل، ترعرع بها وسُبي وصار مولاة لأمرأة من مصر من هذيل فنسب إليها واعتق وتفقه في الدين ورحل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة وطاف في البلدان واستقر في دمشق وتوفي بها . (الاعلام : ٢٨٤/٧) .

(٦) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ١٣٣/٣ .

٦٩ ـ ٧٠

مروان بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وابنه

قتل بالصعيد مروان بن الأصبغ وابنه وذلك بعد مقتل مروان بن محمد[١] ، سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وقيل إنه قتل بنهر أبي فطرس[٢] .

٧١

عبد العزيز بن مروان بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان

قتل عبد العزيز مع أبيه مروان بنهر أبي فطرس سنة ثلاث وثلاثين ومائة[٣] . وقيل إنه قتل في مصر في حروب دحية بن بن مصعب الأصبغ [٤] .

٧٢

وفاء بن مروان بن الأصبغ بن عبد العزيز

قتل مع ابيه مروان بنهر أبي فطرس[٥] .

---

(١) ولاه مصر /١١٨ ، جمهرة أنساب العرب /١٠٥ .
(٢) ولاة مصر/١٢١ .
(٣) ولاة مصر ص ١٢١ .
(٤) ولاة مصر ص ١٥٢ .
(٥) ولاة مصر ص ١٢١ .

٧٣

محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

ابن أبي العاص بن أمية

قيل إنه من الطبقة الرابعة من تابعي أهل دمشق ، وكان ناسكاً كثير العبادة حسن السيرة جواداً كان يُكْرَه من أخيه هشام وغيره حتى يلي الأعمال[١] فولّاه هشام ولاية مصر فقال لهشام : أنا أليها على إنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها . فقال ذلك لك . فوليها فأتاه كتاب لم يعجبه فرفض العمل وانصرف إلى الأردن وكان منزله بها في قرية يُقال لها : ريسون فكتب له :

أتترك لي مصراً لريسون ؟ حسرة ستعلمُ يوماً أي بَيْعَيْكَ أربح

فأجابه محمد : إني لست أشك في أن أربح البيعتين ما صنعت[٢] .

وكان محمد بن عبد الملك قد ولي مصر بعد عزل حنظلة بن صفوان فدخلهما يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومائة[٣] وقيل كان قدومه إليها يوم الأربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال[٤] .

ووقع في أيام ولايته وباء في مصر ففر منها محمد إلى الصعيد أياماً ثم رجع إليها فلم تطل مدته فيها حتىٰ استعفي من ولايته وخرج إلى الأردن وكانت مدة ولايته لمصر شهراً واحداً[٥] .

وفي سنة ثلاثين ومائة حج بالناس فلما عاد منه وجد الفتن قائمة لظهور بني العباس فبقي في الشام عند ابن عمه مروان بن محمد فلما هزم مروان في

---

(١) النجوم الزاهرة : ٢٥٧/١ .
(٢) ولاة مصر / ٩٤ .
(٣) النجوم الزاهرة : ٢٥٧/١ .
(٤) ولاة مصر / ٩٤ .
(٥) النجوم الزاهرة : ٢٥٧/١ ، ولاة مصر / ٩٤ .

وقعة العراق قبض على محمد بن عبد الملك وظفر به عبد الله بن علي فقتله يوم نهر أبي فطرس[1] .

وقيل إن محمداً هذا هو صاحب الواقعة مع عبد الله بن علي يوم هزم مروان عند نهر الزاب وهو أنه لما كانت الهزيمة على بني أُمية رأى عبد الله بن علي فتى عليه أُبَّهة الشرف يقاتل مستقتلاً فناداه عبد الله : يا فتى لك الأمان ولوْ كنت مروان بن محمد فقال : إن لم أكنه فلستُ بدونه قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه قائلاً :

أذل الحياة وكره الممات ... وكلاًّ أراه طعاماً وبيلا[2]

فإن لم يكن غير إحداهما ... فسيراً إلى الموت سيراً جميلا

ثم قاتل حتىٰ قتل فإذا هو محمد بن عبد الملك وقيل : ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[3]

٧٤

سليمان بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل بالبلقاء وحمل رأسه إلى عبد الله بن علي[4] .

---

(١) النجوم الزاهرة : ٢٥٧/١ ، تاريخ الإسلام : ٢٩٧/٥ .

(٢) الوبيل : الذي لا يستمرأ وهو الثقيل .

(٣) النجوم الزاهرة : ٢٥٨/١ .

(٤) مروج الذهب : ٢٦١/٣ .

٧٥

عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

وأمه أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص[١] ، ولذلك أشار الشاعر معيِّراً عبد الواحد لمّا فرّ من الخوارج بقوله :

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا ... دينَ الرسول وفرَّ عبد الواحد
ترك القتال وما به من علةٍ ... إلا الوهونَ وعِرْقَه من خالد[٢]

وقيل : إن خالد بن أُسيد أسلم يوم الفتح وأقام بمكة وكان فيه تيه شديد[٣] . وقيل : إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مرَّ به فسلَّم عليه فلم يرُدّ فقال : اللهم جنِّبهم النصر وألزمهم العجز . فلم يلق أحد من ولده أحداً إلا هزمه العدو[٤] .

وقال الحارث بن خالد المخزومي يهجو خالد بن أسيد :

هلّا صبرتم بني السوداء أنفسكم ... حتىٰ تموتوا كما ماتت بنو أسد
حامت بنو أسد عن مجد أولها ... وأنتم كنعام القاعة الشُّرد[٥]

وقد كان عبد الواحد والياً على المدينة ومكة لمروان بن محمد وولي الحج عام الحرورية سنة ١٣٠ هـ حيث قدم أبو حمزة المختار إلى مكة يوم التروية فكره عبد الواحد قتال الخوارج إذ فزع الناس حين إطلع عليهم الخوارج ومعهم الأعلام السود في رؤوس الرماح فراسلهم عبد الواحد في ألّا

---

(١) و (٢) نسب قريش / ١٦٦ .
(٣) الإصابة : ٢/٨٦ .
(٤) أنساب البلاذري : ق ٤/١/١٥ .
(٥) الأخبار الموفقيات ص ٥٣٤ .

يعطلوا على الناس حجَّهم فقال أبو حمزة : نحن بحجنا أضن وعليه أشحّ فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حين ينفر الناس النفر الأخير وأصبحوا من الغد فوقفوا بحيال عبد الواحد بعرفة ودفع عبد الواحد بالناس فلما كانوا بمنىً قيل لعبد الواحد : قد أخطأت فيهم ولو حملت عليهم الحاجّ ما كانوا إلاّ أكلة رأس .

وبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري وربيعة بن عبد الرحمن ورجالاً أمثالهم فلما قربوا من أبي حمزة أخذتهم مسالحه[1] فأدخلوا على أبي حمزة فوجدوه جالساً وعليه إزار قطريّ قد ربطه بحوره في قفاه فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن الحسن العلوي ومحمد بن بن عبد الله العثماني فنسبهما فلما إنتسبا له عبس في وجوههما وأظهر الكراهية لهما ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما فانتسبا له فهشّ إليهما وتبسم في وجوههما وقال : والله ما خرجنا إلا أن نسير سيرة أبويكما . فقال له عبد الله بن حسن : والله ما جئناك لتفاخر بين آبائنا ولكن الأمير بعثنا إليك برسالة وهذا ربيعة يخبركما . فلما أخبره ربيعة قال له : إن الأمير يخاف نقض العهد . قال : معاذ الله إن ننقض العهد أو نخيس[2] به ! والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه ولكن إلى أن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم . فخرجوا من عنده فأبلغوا عبد الواحد فلما كان النفر الأخير نفر عبد الواحد وخلّى مكة لأبي حمزة فدخل بغير قتال فقال بعض الشعراء يهجو عبد الواحد :

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا دين الإله ففرَّ عبد الواحد
ترك الامارة والمواسم هارباً ومضى يخبِّط كالبعير الشارد

---

(١) المسالح : جمع مسلمة أي القوم يحملون السلاح .
(٢) خاس بالعهد نكثه وغدر به .

فلو أن والده تخيّر أمّه لصفَت خلائقه بعرق الوالد[1]

وقد قتل عبد الواحد مع من قتله عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس إذ كان عنده ثمانون أو تسعون من بني أمية يأكلون على مائدته فدخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم فقال :

أصبح الملك في ثبات الأساس بالبهاليل[2] من بني العباس
طلبوا أمر هاشم فشفوها بعد ميلٍ من الزمان وبأس
لا تقيلن[3] عبد شمس عثاراً فاقطعن كل رقلة[4] وغراس
ذلها أظهر التودّد منها وبها منكم كحزّ المواسى
فلقد غاضني وغاض سوائي قربهم من نمارقٍ[5] وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً وقتيلاً بجانب المهراس[6]
والقتيل الذي بحرّان أضحى ثاوياً رهن غربة وتناسي

فأمر بهم عبد الله فشدخوا[7] بالعمد وبسط عليهم الانطاع[8] فأكل الطعام عليها وأنينهم يسمع حتىٰ ماتوا وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان والغمر بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان وسعيد بن عبد الملك وأبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك وقيل أن إبراهيم المخلوع قتل معهم وقيل إن سديف هو الذي أنشأ هذا الشعر[9] .

---

(١) شرح النهج : م ٢/١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٢) البهلول : العزيز الجامع لكل خير والكريم .
(٣) لا تقيل : لا تنسىٰ ولا تترك .
(٤) الرقلة : النخلة التي فاتت يد المتناول فهي جبارة فإذا ارتفعت عن ذلك فهي رقلة .
(٥) النمرقة : الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها مأخوذة من الفارسية نرماك .
(٦) المهراس : ماء بجانب جبل أحد .
(٧) الشدخ : كسر الشيء .
(٨) النطع : بساط من الأديم .
(٩) تأريخ ابن خلدون : ٣/١٣٢ ، تاريخ الوردي : ١/٢٨٩ .

ولمّا فرغ عبد الله منهم قال :

بني أمية قد أفنيت جمعكم فكيف لي منكم بالأوّل الماضي
يُطيِّب النفسَ إن النار تجمعكم عُوِّضتُم من لظاها شرّ مُعتاضِ
مُنيتمُ لا أقال الله عثرتكم بليث غاب إلى الأعداء نهّاضِ
إن كان غيضي لفَوْتٍ منكم فلقد مُنيتُ منكم بما ربي به راضِ [1]

وقيل إنه بلغ مقتل عبد الواحد أبا العباس وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك ـ وكان عبد الواحد أفضل قرشي كان في زمانه عبادة وفضلاً ـ فقال أبو العباس : رحم الله عبد الواحد ما كان والله ممن يقتل لغائلة [2] ولا ممّن يشار إليه بفاحشة وما قتلته إلا أمواله ولولا أن السفاح[3] عمي وذمامه [4] ورعاية حقه عليَّ واجب لأقدت[5] منه ولكن الله طالبه وقد كنت أعرف عبد الواحد برّاً تقياً صوّاماً قوّاماً . ثم كتب إلى عمه السفاح ألا يقتل أحداً من بني أمية حتىٰ يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول ما نقم أبو العباس على عمه السفاح [6] .

٧٦

أبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتل بنهر أبي فطرس مع عبد الواحد بن سليمان [7] .

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٤٣١/٥ .
(٢) الغائلة : الخيانة .
(٣) يلقب عبد الله بن علي بالسفاح لكثرة قتله لبني أمية
(٤) الذمام : الحرمة .
(٥) القود : ـ بالفتح ـ القصاص .
(٦) الإمامة والسياسة : ١٤٧/٢ .
(٧) جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ ، وراجع ترجمة عبد الواحد بن سليمان .

٧٧

الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص

قتله عبدالله بن علي يوم نهر أبي فطرس ، وكان عبد[١] الله لما فتح الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان : إنَّ لي في بقية آل مروان تدبيراً فتأهبوا يوم كذا وكذا وفي أكمل عدة ثم بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولَّدهم[٢] ثم أذن لهم فدخلوا فقال الآذن للكلبي : ممَّن أنتَ ؟ قال : من كلب وقد ولَّدتهم . قال : فانصرف ودع القوم فأبىٰ أن يفعل وقال : إني خالهم ومنهم . فلما استقر بهم المجلس خرج رسول عبد الله وقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب ؟ ليدخل . فأيقن القوم بالهلكة ، ثم خرج ثانية فنادى : أين الحسين بن علي ؟ ليدخل ، ثم خرج الثالثة فنادى : أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال : اين يحيىٰ بن زيد ؟ ثم قيل : أئذنوا لهم . فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأومأ إليه : إن ارتفع . فأجلسه معه على طنفسته[٣] وقال للباقين : اجلسوا . وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال : أين العبدي الشاعر ؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها :

أما الدُّعاة إلى الجنان فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار

فلما أنشد أبياتاً منها قال الغمر : يا ابن الزانية فانقطع العبدي واطرق عبد الله[٤] ساعة ثم قال : أمض في نشيدك . فلما فرغ رمىٰ إليه بصُرة فيها

---

(١) في الرواية أنه المنصور ولكن الحادثة هي مع عبد الله بن علي كما تؤيد ذلك المصادر الأخرىٰ مضافاً إلى أن الرواية تذكر اسم عبد الله بن علي بعد ذلك .

(٢) ولَّدهم : ربّاهم .

(٣) الطنفسة : واحدة الطنافس أي البسط والحصير من السعف .

(٤) تذكر الرواية عبد الله بن علي بعد أن ذكر في صدرها المنصور .

ثلاثمائة دينار ثم تمثل بقول القائل[1] :

ولقد ساءني وساء سوايَ ... قربهم من منابر وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها اللّه ... بدار الهوان والإتعاس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعوا كل نخلةٍ وغراس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا ... وقتيلاً بجانب المهراس

ثم قال لأهل خراسان : دِهِيْد[2] فشدخوا بالعمد حتىٰ سالت أدمغتهم وقال الكلبي : أيها الأمير أنا رجل من كلب لست منهم فقال :

ومُدخلٍ رأسه لم يدنِه أحدٌ ... بين القرينين حتىٰ لزّه[3] القَرَنُ

ثم قال : دهيد فشُدخ الكلبي معهم ثم التفت إلى الغمر فقال : لا خير لك في الحياة بعدهم قال : أجل . فقتل . ثم دعا ببراذع[4] فألقاها عليهم وبسط عليهم الأنطاع[5] ودعا بغذائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلاّ يومي هذا . وقام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم وأغنم أهل خراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرُّواق إلى البستان فإذا رائحة الجيَفِ تملأ الأنوف فقيل له : لو أمرت أيها الأمير بردِّ هذا الباب فقال : والله لرائحتها أحب إليّ وأطيب من رائحة المسك ثم قال : .

حسبت أمية أن سَتَرضىٰ هاشم ... عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلاّ وربِّ محمد وإلهه ... حتي تباح سُهولها وحُزونها[6]

---

(١) تنسب إلى سديف بن ميمون

(٢) دهيد أي اضربوا .

(٣) لزّه : شدّه وألصقه .

(٤) البراذع : البرذعة كساء يلقى تحت الرَّحْل .

(٥) النطاع : بساط من الأديم .

(٦) السهول الأرض المنبسطة والحزون المرتفع منها .

وتَـذِلُّ ذل حـليـلةٍ لـحـليـلهـا بـالمشـرفيّ وتَسـتـردّ ديـونهـا[1]

٧٨

عتيق بن عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتله عبد الله بن علي [2] ، وفيه يقول الشاعر :

ذهب الجـودُ غيـرَ جـود عتـيق بـ ـن عبـد العـزيـز من مَيْمُـونَـه[3]

٧٩

إبراهيم بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتل يوم نهر أبي فطرس[4] .

٨٠

الوليد بن تمام بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل يوم نهر أبي فطرس[5] .

---

(١) عيون الأخبار : ٢٠٧/١ .
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ .
(٣) نسب قريش ص ١٦٥ .
(٤) جمهرة أنساب العرب ص ١٠٣ .
(٥) المصدر نفسه ص ٩٠ .

٨١

المبارك بن تمام بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل يوم نهر أبي فطرس[١] .

٨٢

اليمان بن صدقة بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

قتل يوم نهر أبي فطرس[٢] .

٨٣

داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل يوم نهر أبي فطرس[٣] .

٨٤

يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بم الحكم

قبض عليـه عبـد الله بن علي وبعث بـه إلى أبي العبـاس السفـاح فقتله

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٩٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه ص ٩١ .

وصلبه في الحيرة[1] .

٨٥

عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قبض عليه عبد الله بن علي وبعث به إلى أبي العباس السفـاح فقتله وصلبه في الحيرة[2] . وقيل إنه قتل يوم نهر أبي فطرس[3] .

٨٦

عبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك

صلب بالحيرة مع أبيه[4] .

٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩

عمر وزيد وأخ لهما

وعمر بن زيد بن عمر بن عثمان بن عفان

واخوه زيد بن زيد

وأخ لهما قتلوا جميعاً يوم نهر أبي فطرس[5] .

---

(١) شرح النهج : ١٢٢/٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) جمهرة أنساب العرب / ٩١ .

(٤) المصدر نفسه /٩١ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ص ٨٦ .

٩٠ ـ ١٠٧

وُلد رَوْح بن الوليد بن عبد الملك بن مروان .

وقتل يوم نهر أبي فطرس ثمانية عشر رجلاً من ولد روح بن الوليد [١] .

١٠٨

عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

قتـل بقَلَنْسُوَة[٢] سنـة ثلاث وثـلاثين مع آخرين من بني أُميـة حُملوا من مصر [٣] .

١٠٩

عبد الملك بن عاصم بن أبي بكر بن عَبد العزيز بن مروان

قتل عبد الملك مع أبيه عاصم في قلنسوة في أرض فلسـطين[٤] ، وقيل إنه أُخذ بالهامة[٥] وقتل في نهر أبي فطرس[٦]

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٠ .

(٢) قلنسـوة : بفتح أولـه وثانيـه وسكـون النـون وفتـح الـواو بلفظ القلنسـوة التي تلبس في الرأس : هو حصن قرب الرملة من أرض فلسطين .

(٣) تاريخ ابن عساكر : تراجم حرف العين المتلوة بالالف /٢ .

(٤) ولاة مصر : ١٢٠ .

(٥) الهامة : موضع بتيه مصر وهي كورة واسعة فيها جبل ألاق .

(٦) ولاة مصر : ١٢٠ .

١١٠

أبان بن عاصم بن أبي بكر بن
عبد العزيز بن مروان

قتل مع أبيه عاصم في قلنسوة بأرض فلسطين[١] .

١١١

مسلمة بن عاصم بن أبي بكر بن
عبد العزيز

قتل مع أبيه عاصم[٢] .

١١٢

عمر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن
مروان بن الحكم

وكان عمر قد نجا مع أخيه عاصم من قبضة العباسيين إلى قِفْط[٣] من، صعيد مصر ، ثم أمنهم صالح بن علي ، فقتل مع أخيه عاصم[٤] .

---

(١) و(٢) ولاة مصر/ ١٢٠ .

(٣) قِفط : بكسر القاف وهي كلمة أعجمية مسماة بقفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح فإنه لمّا حاز مصر بن بيصر الديار المصرية وكثر ولده أقطع إبنه قِفط بالصعيد الأعلى إلى أسوان في المشرق وابتنىٰ مدينة قفط في وسط أعماله فسميت به .

(٤) ولاة مصر ص ١٢٠ .

١١٣

عيسى بن الوليد بن عمر بن عبد العزيز

قتل مع عاصم بن أبي بكر في قلنسوة فلسطين[١] .

سبب مقتل عاصم ومن معه

لمّا أوقع العباسيون الهزيمة بمروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية وقتل من معه لاذ بعض وجوه بني أُمية بالفرار بحثاً عن الأمان والتغيب عن أبصار العباسيين ومواليهم ، وكان ممن نجا من بني أُمية عاصم واخيه عمر وبنيه عبد الملك وأبان ومسلمة فإنهم إنصرفوا إلى قِفط من صعيد مصر وتغيبوا فيها فكتب إليهم صالح يؤمنهم ، حتىٰ قدم عاصم بن أبي بكر بثلاثة أولاد ذكور من قفط وقد أُعطوا أماناً من صالح ، فكتب أبو العباس يأمره أن يشخصهم فحملوا في محامل أعراء فمرّوا بصالح بن علي وهو جالس علىٰ ظهر بيت الصدقة ، فناداه عاصم : أيا صالح ، ما بالُنا ننقل من بلد إلى بلد ، والله ما نحن بأرقّاء فنُمْلَك ، ولا نساء فيستمتع بنا . فما أجابه صالح . فمضي بهم إلى قَلَنْسُوة من أرض فلسطين فقتلوا بها . وقتل معهم عيسىٰ بن الوليد بن عمر بن عبد العزيز[٢] .

١١٤

ابراهيم بن سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتل في قلنسوة .

(١) ولاة مصر ص ١٢٠ .

(٢) ولاة مصر ص ١٢٠ .

١١٥

محمد بن سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

قتل في قلنسوة .

١١٦

عبد الرحمن بن سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

قتل في قلنسوة .

١١٧

عمرو بن سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

كان عمرو والياً على البصرة ، وكان قد تزوج الثُريَّا[1] عشيقة عمر بن أبي ربيعة ، وكان عمر قد ألحَّ على الثريا بالهوى فشقَّ ذلك على أهلها ثم إن

---

(١) الثُريَّا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس ، عشقها عمر بن أبي ربيعة وعشقته وكان يقول فيها :

لم ترَ العين للثُريَّا شبيهاً ... بمسيل التِّلاع يوم التقينا

وروي أن الثريا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحارث قد طرقه وأقام عنده ووجَّه به في حاجة له ونام مكانه وغطَّى وجهه بثوبه فلم يشعر إلا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله فانتبه وجعل يقول : أغربي عني فلست بالفاسق أخزاكما الله ! فلما علمت بالقصة انصرفت ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها فاغتم لما فاته منها وقال : أما والله ما تمسُّك النارُ أبداً وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحارث عليك وعليها لعنة الله .

مسعدة بن عمرو أخرج عمر إلى اليمن في أمر عرض له وتزوجت الثريا وهو غائب فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر فقال :

أيها المنكحُ الثريَّا سُهيلاً عَمْرَكَ اللّه كيف يَلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيلٌ إذا استقل يماني[1]

١١٨

يزيد بن عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

قتل مع أبيه عمرو بقلنسوة .

١١٩

أبان بن عمرو بن سهيل بن عبد العزيز

قتل مع أبيه عمرو .

١٢٠

مروان بن عمرو بن سهيل بن عبد العزيز

قتل مع أبيه عمرو .

١٢١

عبد العزيز بن عمرو بن سهيل بن عبد العزيز

قتل مع أبيه عمرو .

---

(١) الأغاني : ١/ ٢٣٤ .

١٢٢
الأصبغ بن عمرو بن سهيل بن عبد العزيز

قتل مع أبيه عمرو .

سبب قتلهم

وفي جمهرة أنساب العرب[١] إن عمرو بن سهيل قتله مروان بن محمد وقيل إن مروان جعله معه ـ لمّا هزم في الزاب ـ مقيَّداً فلما قتل مروان هرب عمرو بن سهيل[٢] ، فلما قتل عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز ومن معه تغيَّب عمرو ثم سوَّد وأتى شعبة بن عثمان التميمي وكان على المضرية وهو لا يعرفه فقال : أنا عمرو بن سهيل جئت لآخذ لي أماناً من الأمير وأدخل في دولته . فقال : النجاء ! إن ظفر بك قتلك . فانطلق فتغيَّب ، ثم خرج إلى جبل أُلاق[٣] بالتيه من ناحية الهامة فكان فيه وكان يكاتب سعيد بن سعد بن اسطس ويزيد بن مِقسَم مولى حضرموت فضرب شُعبة خصيًّا له قد كان رأى كتاب عمرو بن سهيل إليه فدخل على صالح فأخبره فأرسل إلى سرادقه فوجد الكتاب فضرب صالح عنق شعبة وأرسل صالح بيزيد بن هاني إلى جبل أُلاق فوجدوا عمراً يُحْقِبُ[٤] جمالاً له فأحيط به فأخذ هو وإبراهيم ومحمد وعبد الرحمن بنو سهيل بن عبد العزيز فمضي بهم إلى قلنسوة فقتلوا بها ، وقتل معه يزيد وأبان ومروان وعبد العزيز والأصبغ بنوه[٥] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب / ١٠٥ .

(٢) ولاة مصر /١١٨ .

(٣) أُلاق : جبل بالتيه من مصر من ناحية الهامة .

(٤) الحَقَبُ : ـ بالتحريك ـ الحزام الذي يلي حقو البعير وقيل هو حبل يشدُّ به الرحل في بطن البعير مما يلي ثِيله لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه . تقول منه : أحقبت البعير .

(٥)) ولاة مصر ص ١٢٠ ـ ص ١٢١ .

١٢٣

عثمان بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص .

قتل في مصر[١] .

١٢٤

سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

وكان سجنه الوليد بن يزيد بعد موت أبيه بعمّان فلما قتل الوليد خرج من السجن ولحق بيزيد بن الوليد فولّاه بعض حروبه إلى أن هزمه مروان بن محمد بعين الجرّ[٢] فهرب ثم استأمن إلى مروان وبايعه بعد أن خلع مروانُ إبراهيمَ بن الوليد وبويع له مكانه ، ثم خلع سليمان مروان واجتمع عليه نحو سبعين ألفاً وطمع في الخلافة فبعث إليه مروان عسكراً فهزم سليمان ومضى إلى حمص فتحصن بها فتوجه إليه مروان فلما علم سليمان بذلك لحق بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وبايع الضحاك بن قيس الخارجي[٣] وقال :

أعائش لو أبصرتنا لتحدرت ... دموعك لما خفّ أهل البصائر
عشية رُحنا واللواء كأنه ... إذا زعزعته الريح أشلاء طائر[٤]

وقال بعض الشعراء الخوارج في لحوق سليمان بالضحاك :

---

(١) ولاة مصر/١٢١ .
(٢) عين الجرّ : موضع بالبقاع بين بعلبك ودمشق .
(٣) الكامل في التأريخ : ٥/٣٣٣ .
(٤) نسب قريش ص ١٦٨ .

ألـم تــر أن الــلّه أظــهــر ديــنــه وصلّت قريش خلف بكر ابن وائل[1]

وفي شرح النهج : كان العلاء بن رافع سبط ذي الكلاع الحميري مؤنساً لسليمان بن هشام بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكـان أمـر المسوِّدة بخراسـان قد ظهر ودنوا من العراق واشتـد إرجاف النـاس ونطق العـدو بما أحب في بني أمية وأوليائهم . قال العلاء : فإني لمع سليمان وهو يشـرب تجاه رُصـافة أبيـه وذلـك في آخر أيـام يـزيـد النـاقص وعنـده الحكم الـوادي وهـو يغنيـه بشعـر العرجيّ :

إنَّ الـحبيب تــروّحـت أجـمـالــه أُصُــلاً فــدمـعــك وائمٌ إسبــالُــهُ
فــأقْنِ الحياء فقـد بكيت بعــوْلــةٍ لــو كــان ينفــع بــاكيــاً إعــوالــهُ
يــا حبــذا تلك الحمــول وحبــذا شخص هنــاك وحبــذا أمثــالُــهُ !

فـأجاد مـا شاء وشـرب سليمان بن هشـام بـالـرَّطـل وشـربنـا معـه حتىٰ توسَّدنا أيدينا فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياي فقمت مسرعاً وقلت ما شأن الأمير ؟ فقال : على رسلك رأيت كأني في مسجد دمشق وكأنّ رجلاً على يده حجر وعلى رأسه تـاج أرى بصيص ما فيـه من الجوهـر وهو رافـع صوتـه بهذا الشعر :

أبـني أمـيــة قــد دنــا تشـتـيـتـكـم وذهــاب مـلـكِكُـمُ ولـيس بــراجــع
ويَـنــال صـفــوتــه عــدو ظــالــم كــأســاً لكم بسمــام مـوتٍ نــاقــع

فقلت : أُعيذ الأمير بالله من وساوس الشيطان الرجيم ! هذا من أضغاث الأحلام ومما يقتضيه ويجلبه الفكر وسماع الأراجيف . فقال : الأمر كمـا قلت لك . ثم وجم ساعة وقال : يـا حميريّ بعيـدٌ ما يـأتي به الـزمان قـريب ! قال العلاء : فوالله ما اجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم[2] .

---

(١) تهذيب تأريخ ابن عساكر ٢٨٦/٦ .
(٢) شرح النهج : ١٣٥/٧ ـ ١٣٦ .

ثم إن سليمان لمّا خالف مروان بن محمد بقي على مخالفته له حتىٰ بعد ظهور أمر العباسيين فأخذ منه أبو مسلم الخراساني البيعة لأبي العباس السفاح وسيَّره إلى حميد بن قحطبة لقتال مروان(١) فلما قتل مروان بن محمد صار لسليمان مكانة عظيمة عند السفاح وأخذ يكرمه .

أما مقتله فإنه قد روي أن سديفاً أنشد أبا العباس وعنده رجال من بني أمية قوله :

يا بن عمِّ النبي أنت ضياءٌ ... إسْتَبَنَّا بِكَ اليقين الجليَّا

فلما بلغ قوله :

جرِّد السيف وارفع العفو حتىٰ ... لا ترى فوق ظهرها أُمويّا

لا يَغُرنَّك ما ترى من رجالٍ ... إنَّ تحت الضلوع داءً دويّا

بَطَنَ البغضُ في القديم فأضحىٰ ... ثاوياً في قلوبهم مَطويّا

قال : يا سديف خُلِقَ الإنسان من عجل ثم قال :

أحيا الضغائن آباءٌ لنا سَلَفوا ... فلن تبيدَ وللآباء أبناءُ

فلما أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغمر سليمان بن هشام فقال : يا ماصَّ بظر أمه أتَجْبَهُنا بهذا ونحن سَرَوات الناس ! فغضب أبو العباس وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم ويَبَرُّه فلم يلتفت إلى ذلك وصاح بالخراسانية خذوهم فقتلوا جميعاً إلا سليمان بن هشام فأقبل عليه السفاح فقال : يا أبا الغمر ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال : لا والله . فقال : اقتلوه وكان إلى جنبه فقتل وصلبوا في بستانه حتىٰ تأذى جلساؤه بروائحهم فكلّموا في ذلك فقال : والله لهٰذا ألذّ عندي من شمّ المسك والعنبر غيظاً عليهم وحنقاً(٢) .

(١) الإمامة والسياسة : ٢/١٤٢ ـ ١٤٤ .

(٢) الأغاني : ٤/٣٥١ .

وفي الإمامة والسياسة : كان سليمان بن هشام أكرم الناس على أبي العباس لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان ابن عمه وكان هو الذي تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخص الناس بأبي العباس فبينما هما يوماً وقد تضاحكا وتداعبا إذ أتى رجل من موالي أبي العباس يُقال له سديف فناول أبا العباس كتاباً فيه :

أصبح الملك ثابت الأساس	بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وِتْرَ هاشم فشفوها	بعد ميلٍ من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عِثاراً	واقطعين كل نخلة وغراس
ذلها أظهر التودُّد منها	وبها منكم كحزٍّ المواسي
ولقد غاضني وغاض سوائي	قربهم من منابرٍ وكراسي
واذكرن مقتل الحسين وزيداً	وقتيلاً بجانب المهراس

فقرأها أبو العباس ثم قال له : نعم ونعما عين وكرامة سننظر في حاجتك ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالي بني أمية كانت له خاصة وخدمة في بني العباس فعرف بعض ما في الكتاب فلما خرج من عند أمير المؤمنين مرّ بسليمان بن هشام في غرفة له بالكوفة فسلّم ثم قال لسليمان : من عندك يا أبا أيوب . فقال له : ما عندي غير ولدي فقال له : إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج سليمان من ليلته هارباً فلحق ببعض نواحي الجزيرة وكتب إلى مواليه وصنائعه فاجتمع إليه منهم خلق كثير فبعث إليه أبو العباس بعثاً يقاتله فانهزم ذلك البعث ثم بعث إليه بعثاً آخر فهزمه أيضاً فانتقل سليمان عن ذلك الموضع إلى غيره ثم بعث إليه بعثاً آخر فأُسر سليمان وولده فأتي بهما أسيرين إلى أبي العباس فأمر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا إليهما فأمر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده : تقدم يا بني مصيبتي بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان وصلب على باب الامارة بالكوفة[1] .

---

(١) الإمامة والسياسة : ٢/١٤٨ ـ ١٤٩ .

ولمّا قتله أبو العباس دخل ابن المهاجر البجلي على أبي العباس فأنشده :

إنَّ بني العباس إن كنت سائلاً هم قتلوا من كان أعتى واظلما
فمن لم يدن منك بحبك ربَّه فليس يلاقيه إذا مات مسلماً[1]

١٢٥

محمد بن سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتله السفاح مع أبيه سليمان [2] .

١٢٦

أيوب بن سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتل مع أبيه سليمان[3] .

١٢٧

داود بن سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان

قتل مع أبيه سليمان[4] .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦/٢٨٧ .
(٢) و (٣) و (٤) جمهرة أنساب العرب ص ٩٣ .

١٢٨

عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية

عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، أُمه وعبد الرحمن أخوه أم ولد[١] . قتله داود بن علي ، فإنه لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل بنو حسن جميعاً وحسين بن علي بن حسين[٢] وعلي بن عمر بن علي بن حسين وجعفر بن محمد[٣] والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص وعروة بن سعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان فعمل لداود مجلس بالرّويثة[٤] فجلس عليه هو والهاشميون وجلس الأمويون تحتهم فأنشده ابن هرمة قصيدة يقول فيها :

فلا عفا اللّه عن مروان مظلمةً	ولا أمية بئس المجلسُ النادي
كانوا كعادٍ فأمسىٰ اللّه أهلكهم	بمثل ما أهلك الغاوين من عاد
فلن يكذّبني من هاشم أحدٌ	فيما أقول ولو أكثرت تعدادي

فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة فلما قام قال عبد الله بن حسن

(١) طبقات ابن سعد : ٥/١٧٧ .

(٢) الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قتل بفخ على بعد ثلاثة أميال من مكة وقيل ستة أميال وقد خرج على موسى الهادي سنة تسع وستين ومائة ومعه جماعة من بني عمه واحتوته فانتدب إليه الهادي موسىٰ بن عيسى فقتل الحسين وبنو عمه في وقعة فخ وبقيت أجسادهم ثلاثة أيام لم توار التراب . وكانت هذه الوقعة بمثابة مذبحة ثانية لآل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على غرار وقعة الطف .

(٣) لا يخفى إن اسم الصادق (عليه السلام) مقحم بينهم .

(٤) الرويثة : قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخاً .

لأخيه حسن : أما رأيت ضحكته إلى ابنَ عنبسة ! الحمد لله الذي صرفها عن أخي - يعني العثماني - فما هو إلا أن قدم المدينة حتىٰ قتل ابن عنبسة[1] .

وفي شرح النهج قال : فنبذ إلى عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ضحكة كالكشرة[2]. والظاهر أنه عبد الله ، ففي نسب قريش : وولد عنبسة بن سعيد : عبد الله بن عنبسة بن سعيد أُمه أم ولد قتله داود بن علي وعبد الله هو صاحب القصر الذي يُقال له قصر ابن عنبسة[3] .

وفي تأريخ خليفة : قتل داود عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص[4] . وكان ذلك سنة اثنين وثلاثين ومائة .

١٢٩

محمد بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية

قتله داود بن علي مع أبيه عبد الله بمكة سنة اثنتين وثلاثين ومائة[5] .

١٣٠

عياض بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية

قتله داود بن علي مع أبيه عبد الله وأخيه محمد[6] .

---

(١) الأغاني : ٢٤٧/٤ .
(٢) شرح النهج : ١٤٠/٧ .
(٣) نسب قريش ص ١٨٣ .
(٤) تاريخ خليفة : ٦٢٥/٢ .
(٥) و (٦) تأريخ خليفة : ٦٢٥/٢ .

١٣١

عمران بن موسى بن عمرو بن سعيد الاشدق

قتله داود بن علي بالمدينة[١] .

١٣٢

يحيى بن أمية بن عمرو بن سعيد الأشدق

قتله داود بن علي بالمدينة[٢] .

١٣٣

أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد الأشدق

قتله داود بن علي بالمدينة[٣] .

١٣٤

إسماعيل بن عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص

روى عن ابن عباس وعبيد الله بن أبي رافع وعثمان بن عبيد الله بن الحكم وروى عنه شريك بن أبي نمر وسليمان بن بلال وخالد بن الياس وغيرهم[٤] وكان إسماعيل بن عمرو الأشدق مع أبيه لمّا غلب على دمشق ثم سيَّره عبد الملك إلى الحجاز مع أخوته ثم سكن الأعوص شرقي المدينة على بضعة عشر ميلاً وكان له فضل لم يتلبس بشيء من سلطان بني أمية [٥] ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : لو كان إليَّ من الأمر شيء لوليت القاسم بن محمد أو صاحب الأعوص [٦] .

---

(١) و (٢) و (٣) تأريخ خليفة : ٢/٦٢٤ ـ ٦٢٥ .
(٤) تهذيب ابن عساكر : ٣/٣٨ ، تهذيب التهذيب : ١/٣٣٠ .
(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣/٣٨ .
(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/٣٨ ، تهذيب التهذيب ، ١/٣٣٠

وقد قيل لإسماعيل ليالي قدم داود بن علي المدينة : لو تغيبت . فقال : لا والله ولا طرفة عين[1] .

وفي شرح النهج : قال داود بن علي لاسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بعد قتله من قتل من بني أمية : هل علمت ما فعلت بأصحابك ؟ قال : نعم كانوا يداً فقطعتها وعضداً ففتت منها ومِرَّةً[2] فنقضتها وجناحاً فحصصتها[3] . قال : إني لخليق أن ألحقك فيهم . قال : إني إذاً لسعيد[4] ! .

١٣٥

إسماعيل بن أمية بن عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص

إسماعيل الفقيه المحدث روى عن ابن المسيب ونافع مولى ابن عمر وعكرمة مولى ابن عباس والزهري ومكحول الشامي وغيرهم[5] .

وقد قتل في المدينة قتله داود بن علي[6] ، وقيل : إنه مات سنة ١٤٤ هـ وقيل سنة ١٣٩ هـ وزاد بعضهم أنه مات في حبس داود بن علي[7] .

١٣٦

زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

وفي جمهرة أنساب العرب : زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي

---

(١) تهذيب تأريخ ابن عساكر : ٣/٣٨ .
(٢) المرة : ـ بكسر الميم ـ طاقة الحبل .
(٣) الحص : أي القطع .
(٤) شرح النهج : ٧/١٥٨ .
(٥) تهذيب التهذيب : ١/٢٨٤ .
(٦) جمهرة أنساب العرب /٨١ ، تأريخ ابن خليفة : ٢/٦٢٤ .
(٧) تهذيب التهذيب : ١/٢٨٤ .

سفيان وهو أبو محمد السفياني القائم بالمدينة المقتول بها هو وابنه مَخْلَد بن زياد[1] .

وفي نسب قريش : وولد عبد الله بن يزيد بن معاوية الذي يقال له الأسوار أبا محمد قتل بالمدينة في خلافة المنصور وكان مختفياً بقناة ناحية أحد فَدُلَّ عليه زيادُ بن عُبيد الله الحارثي وهو يومئذٍ أمير المدينة فخرج إليه بالناس فخرج عليهم أبو محمد فقاتلهم فكان من أرمىٰ الناس فكثروه فقتلوه[2] .

وروي أنه كان زياد أبو محمد السفياني في سجن حرّان سجنه مروان بن محمد حبسه مع عدة من بني أمية مع إبراهيم الإمام فلما كان قبل هزيمة مروان بجمعة خرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوسين وقتلوا صاحب السجن وخرجوا فقتلهم أهل حرّان وقد تخلّف أبو محمد السفياني في الحبس فلم يخرج من الحبس فقدم مروان منهزماً من الزاب فجاء فخلّى عنهم[3] .

وقيل : لمّا بويع لمروان بن محمد وأُتي بالغلامين الحكم وعثمان[4] إبني الوليد مقتولين وبيوسف بن عمر فدفنهم ، وأُتي بأبي محمد السفياني في قيوده فسلّم عليه بالخلافة ومروان يُسلّم عليه يومئذٍ بالامرة فقال له مروان : مه . فقال : إنهما جعلاها لك بعدهما وانشده شعراً قاله الحكم في السجن ، وكانا قد بلغا وولد لأحدهما وهو الحكم . فقال الحكم :

ألا من مبلغ مروان عني	وعمي الغمر طال به حنينا
بأني قد ظُلِمتُ وصار قومي	على قتل الوليد مشايعينا
أيذهب كلهم بدمي ومالي	فلا غثّاً[5] أصبت ولا سمينا

---

(1) جمهرة أنساب العرب /١١٢ .

(2) نسب قريش ص ١٣١ .

(3) الكامل لابن الأثير : ٤٢٢/٥ .

(4) راجع تفصيل مقاتلهم .

(5) الغث : اللحم المهزول .

ومـروان بـأرض بـنـي نـزارٍ كليث الغـاب مفـتـرسـاً عـرينـا
أتـنكـث بيعـتـي مـن أجـل أمـي فـقـد بـايعـتم قـبلي هـجينـا[1]
فـإن أهـلك أنـا وولـيُّ عـهـدي فـمـروانٌ أمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا

ثم قال : اِبسط يدك أبايعك . وسمع من مع مروان[2] .

وفي المعارف إن الحكم قال :

ألا يـا لـيـت كـلْبـاً لم تـلدنـا وكـنّـا مـن ولادة آخـريـنـا
أيـذهـب عـامـر بـدمي وملكـي فـلا غـثّـاً أصبـت ولا سـمـيـنـا
فـإن أهـلك أنـا وولـي عـهـدي فـمـروانٌ أمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا[3]

وهـزم مروان بن محمـد وقتـل من قتـل من بني أميـة وانقـرضت دولتهم وبويع أبو العباس السفّاح ، فلما استقـر السفاح في الخـلافة خـرج عليه بعض أشياع بني أمية وقوادهم وكان أول من نقض عليه حبيب بن مرة المري من قواد مروان كان بحوران والبلقاء خاف على نفسه وقومه فخلع وبيّض ـ ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسيين في ذلك ـ وتـابعه قيس ومن يليهم ، والسفاح يومئذٍ بالحيـرة فزحف إليـه عبد الله بن علي عمّ السفـاح وبينما هو في محـاربته بلغـه الخبر بـأنّ أبا الـورد مجزأة بن الكـوثر بن زفـر بن الحارث الكلابي نقض بقنّسرين وكان من قـواد مروان فلمـا انهزم مـروان قدم على عبـد الله بن علي بايعـه ودخل في دعـوة العباسيين وكـان ولـد مسلمـة بن عبد الملِك مجاورين له ببالس فبعث بهم وبنسائهم القائد الذي جـاءه من قبل عبد الله بن علي وشكوا ذلك إلى أبي الورد فقتل القائد وخلع معه أهل قنّسرين وكـاتبوا أهـل حمص في الخـلاف وقـدّمـوا عليهم أبـا محمـد بن عبـد الله بن يزيد بن معاوية وقالوا : هو السفياني الـذي يذكـر ، ولمّا بلغ ذلـك عبد الله بن

---

(١) الهجين : الهجنة إنما تكون من قبل الأم فإذا كان الأب كريماً والأم ليست كذلك كـان الولد هجيناً .

(٢) الكامل : ٥/٣٢٣ .

(٣)المعارف /٣٦٨ .

علي وادع حبيب بن مرّة وسار إلى أبي الورد بقنسرين ومرّ بدمشق فخلّف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله وسار إلى حمص فبلغه أن أهل دمشق خلعوا وبيّضوا وأقام فيهم عثمان بن عبد الأعلى الأزدي وأنهم هزموا أبا غانم وعسكره وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانتهبوا ما خلّفه عبد الله بن علي عندهم فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفياني وأبي الورد وقدم أخاه عبد الصمد في عشرة آلاف فانكشف ورجع إلى أخيه عبد الله بن علي منهزماً فزحف عبد الله في جماعة القواد ولقيهم بمرج الأحزم وهم في أربعين ألفاً فانهزموا وثبت أبو الورد في خمسمائة من قومه فقتلوا جميعاً وهرب أبو محمد إلى تدمر[1] ، وراجع أهل قنسرين طاعة العباسية ورجع عبد الله بن علي إلى قتال أهل دمشق ومن معهم فهرب عثمان بن عبد الأعلى ودخل أهل دمشق في الدعوة وبايعوا لعبد الله بن علي ، ولم يزل أبو محمد السفياني بأرض الحجاز متغيباً إلى أيام المنصور فقتله زياد بن عبد الحارثي عامل الحجاز يومئذٍ للمنصور وبعث رأسه إلى المنصور مع ابنين له أسيرين فأطلقهما المنصور[2] .

وفي البدء والتأريخ : وفي السنة الثانية من ولاية أبي العباس وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائة خرج زياد بن عبد الله[3] بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بحلب وبيّضوا ثيابهم وأعلامهم وأدعى الخلافة فبعث أبو العباس أخاه فأتاه من جانب الجزيرة وجاءه عبد الله بن علي من فوق فواقعاه وهزّماه ومزّقوا جموعه كلّ ممزق وقتلوا منهم ما لا يحصىٰ ثم اذكوا العيون على الأمويين يقتلون رجالهم ونسائهم وينبشون عن قبورهم فيحرّقونهم فمن ثم سمي عبد الله بن علي السفاح وفيه يقول الشاعر :

---

(١) تدمر : من مدن الشام بينها وبين دمشق خمسة أيام وكذلك بينها وبين حلب .

(٢) سمط النجوم : ٣/٢٤٠ ـ ٢٤١ ، وراجع الكامل : ٤٣٢/٥ ، تأريخ حلب الشهباء : ١٣٣/١ ، زبدة الحلب من تأريخ حلب : ٥٤/١ ـ ٥٧ .

(٣) ذكر اسمه زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية والصحيح ما أثبتناه .

وكـانـت أمـيـة فـي مـلكـهـا ... تـجـول وتـظهـر طـغـيـانـهـا
فـلمـا رأى الـلّه أن قـد طـغـت ... ولـم تُـطِق الأرض عـدوانـهـا
رمـاهـم بـسـفـاح آل الـرسـول ... فـحـزَّ بـكـفـيـه أذقـانـهـا[١]

١٣٧

مَخْلَد بن زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

قتل مع أبيه في الحجاز[٢] كما مرَّ ذكره مفصلاً في ترجمة أبيه .

١٣٨

عبيد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص

حضر مع أبيه مروان الحمار في حربه فلما قتل أبوه مروان نجا عبيـد الله وأخوه عبد الله وكان عبد الله وعبيد الله واقفان نـاحية في جمـع من أهل الشـام فلما إنهزم أبـوهم وقتل تفـرّق جمعه فلحق النـاس بعبد الله وعبيـد الله وجعلوا يأتونهما متقطعين العشرة والعشرين وأكثر وأقل فيقولان : كيف أمير المؤمنين ؟ فيقول بعضهم : تركناه يقاتلهم . ويقول بعضهم : انحاز وثاب[٣] إليه قـوم ولا ينعونه حتىٰ أتو الحَرْون فقال : كنت معه أنـا ومولى لـه فصرع فجـررت برجله فقال : أوجعتني فقاتلت أنا ومولاه عنه وعلموا أنـه مروان فـألحّوا عليـه فتركتـه ولحقت بكم فبكى عبد الله فقال له أخوه عبيد الله : يا ألأم الناس ! فررّتَ عنه وتبكي عليه ! إمضوا[٤] .

---

(١) البدء والتاريخ : ٧٣/٦ .
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١١٢ .
(٣) ثاب الرجل يثوب ثوباً وثوباناً أي رجع بعد ذهابه .
(٤) العقد الفريد : ٤٧٠/٤ .

وفي تأريخ اليعقوبي : «ووافى القوم بلاد النوبة[1] فأكرمهم عظيم النوبة ثم قالوا : نقرّ في بعض هذه الحصون التي في بلاد النوبة فلعلّنا نتخذ منها معقلاً ونقاتل من يلينا من العدو وندعو إلى طاعتنا لعلّ الله إن يردّ علينا بعض ما أخذ منا فقال لهم عظيم النوبة : إن هذه الأغربة ـ يريد السودان ـ كثير عددها قليل سلبها وإني لا آمن عليكم أن تصابوا فيقال : أنت قتلتهم فقالوا : نحن نكتب لك كتاباً إنّا وردنا بلادك فأكرمت مثوانا وأحسنت جوارنا وجهدت ألّا نبرح من عندك فأبينا حتىٰ خرجنا ونحن لك شاكرون ثم خرجوا فأخذوا في بلاد العدو فكانوا ربما لقوا الجيش من الحبشة فقاتلوهم حتىٰ صاروا إلى بجاوة[2] فلقيهم عظيم البجة فقاتلهم وانصرفوا يريدون اليمن فمروا في البلاد وعرض لعبد الله وعبيد الله طريقان بينهما جبل فأخذ كل واحد منهما في طريق وهما يريان أنهما يلتقيان بعد ساعة فسارا يومهما ذلك ثم راما الرجوع فلم يقدرا عليه وسارا أياماً ثم لقي عبد الله منسراً[3] من مناسر الحبشة فقاتلهم وزرقه رجل منهم بمزارق[4] فقتل عبيد[5] الله واستأسر أصحابه فأخذت الحبشة كل ما معهم وتركوهم فمروا في البراري على وجوههم عُراة حفاة حتىٰ أهلكهم العطش فكان الرجل يبول في يده ويشربه ويبول ويعجن به الرمل ويأكله حتىٰ لحقوا عبد[6] الله بن مروان وقد ناله من العري والشدة أكثر مما نالهم ومعه عدة من حرمه عراة حتى تقطعت شفاههن حتىٰ وافوا المندب'

---

(١) النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارىٰ أهل شدة في العيش أول بلادهم بعد أسوان .

(٢) بجاوة : أرض بالنوبة بها أرض فرهة وإليها تنسب الإبل البجاوية وهم أمم عظيمة بين العرب والحبش والنوبة .

(٣) المنسر : قطعة من الجيش تمرُّ قدام الجيش الكبير .

(٤) المزارق من الرماح رمح قصير وهو أخف من العنزة وقد زرقه بالمزارق زرقاً إذا طعنه أو رماه به .

(٥) العبارة فيها تشويش فبعد ذكر عبد الله ذكر عبيد الله فالأنسب أن يكون عبيد الله في المقامين .

(٦) وهذا ما يؤكد ما ذكرناه .

فأقاموا بها شهراً وجمع الناس لهم شيئاً ثم خرجوا يريدون مكة في زي الحماليں»[1] .

وسيأتي تفصيل الكلام في الحديث عن أخيه عبد الله .

١٣٩

أبان بن بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

قتل يوم قتل ابن هبيرة آخر عمال بني أمية[2] .

١٤٠

عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم

قتل مع أخيه أبان[3] . وكان عبد الملك وأبان يلقبان الفيل والزنديل[4] .

١٤١

أبان بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم

أمه أم حكيم بنت محمد بن عمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط[5] وقد قتل

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨ .
(٢) جمهرة أنساب العرب /١٠٧ .
(٣) المرجع نفسه /١٠٧ .
(٤) نسب قريش /١٠٧
(٥) نسب قريش ص ١٦٩ .

آبان يوم قتل ابن هبيرة[1] .

١٤٢

الحكم بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم

أمه أم كلثوم بنت أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف[2] قتل مع أخيه أبان[3] .

١٤٣

بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم

قتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ونجا ابنه عبد الملك ولحق إلى المغرب فقصد الأندلس ودخلها في صدر أيام عبد الرحمن الداخل وكان يقول في مصرع أبيه :

لست أنسىٰ مصرعاً من والدٍ	سيدٍ ضخمٍ وعَمٍّ مفتَقَدْ
غادرتْهُ الخيلُ في معتركٍ	بين عمٍّ وأبٍ زاكٍ وجَدْ
تسهك[4] الريحُ عليه بالضحىٰ	وتُعفِّيهِ أعاصيرُ الأبدْ
لم يَرُدَّ الموت عنه إذ سما	نحوه كثرةُ مالٍ وَعَدَدْ
أمويٌّ حكميٌّ عرفتْ	سَوْرة المجد له عُليا مَعَدْ
عاش في ملك عزيزاً دونه	حُجُبُ الملْكِ وأبواب الرَّصَدْ

---

(١) أنساب البلاذري : ٥/١٨١ .

(٢) جمهرة أنساب العرب /١٠٦ .

(٣) أنساب البلاذري : ٥/١٨١ .

(٤) تسهك الريح : تثير عليه التراب .

فـانتحتـه بـالـمنـايـا فـشـوى   لعـوا في الـطير مسلوبَ الجَسَـدْ[1]

١٤٤

سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد بن
العاص بن احيحة

كان سعيد عظيم البطن وفيه يقول الشاعر :

وأمـا سـعـيـدٌ إذا مـا مـشـىٰ   فَـحُبْـلىٰ تُـرادُ لـهـا قـابِـلَةْ[2]

وقد قتل سعيد مع ابن هبيرة[3] .

١٤٥

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن
أبي العاص ابن أمية

أبوه عبد الله بن عمرو كان من أجمل الناس فلقب بـالمُطَّرف وفيـه يقول مدرك بن حصن :

كـأنـي إذا دخلتُ على ابن عـمـروٍ   دخلتُ عـلى مخبَّـأةٍ كَـعـابِ[4]

وقيل إنه كان كثير التزوّج كثير الطلاق فقالت امـرأة من نسائـه «إنما مثله مثل الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها»[5] .

وكان كلا إبنيه اسمه محمداً عرف أحدهما أنه أحسن الناس ثوباً وعـرف

---

(١) الحلة السيراء : ١/٥٨ .

(٢) القابلة ـ بكسر الباء ـ من القبالـة ـ بكسر القـاف ـ إذا قبلت المرأة الـولد أي تلقتـه عند الولادة .

(٣) أنساب البلاذري : ٤ ق ٢/١٤٨ .

(٤) و (٥) المعارف /١٩٩ .

الآخر بالديباج[1]، فإنه كان أحسن الناس وجهاً لفرط جماله وهو المترجم له .

وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب تزوجها عبد الله بعد وفاة زوجها الحسن[2] بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ونقل أن فاطمة بنت الحسين لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوجه ، فحلفت أمها عليها أن تزوّجه ، وقامت في الشمس وآلت ألا تبرح حتىٰ تزوّجه ، فكرهت فاطمة أن تخرج فتزوجته[3] .

فكان محمد الديباج أخاً لبني الحسن لأمّهم وكان عبد الله بن الحسن يحبه حباً شديداً ، فلما انقرضت الدولة الأموية وشرد بالأمويين ونكّل بهم خاف محمد من بني العباس فتغيب لفترة . وكان أخوه عبد الله بن الحسن قد سعىٰ في طلب الأمان له . فقد روى أبو الفرج الأصفهاني بمسنده عن محمد بن معن قال : حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : استحلف أخي عبد الله بن حسن داودَ بن علي وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة بطلاق امرأته مُليكة بنت داود بن حسن ألاّ يُقتل أخويه محمداً والقاسم ابني عبد الله . قال : فكنت أختلف أليه آمناً وهو يقتل بني أمية ، وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع إليَّ سبيلاً ليمينه فاستدناني يوماً فدنوتُ منه فقال : ما أكثر الغفلة وأقل الحَزَمَة ! فأخبرت بها عبد الله بن حسن فقال : يا ابن أُمّ تغيَّب عن الرجل ، فتغيبت عنه حتىٰ مات[4] .

ولمّا مات داود بن علي أمِن محمد الديباج وظهر أمره ، وكان المنصور

---

(١) جمهرة النسب : ١/١٦٠ .

(٢) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان ممن حضر وقعة كربلاء مع عمه الحسين الشهيد (عليه السلام) وقاتل بين يديه حتى هوى إلى الأرض جريحاً فلما انتهت المعركة عمد بعض رجال عسكر يزيد إلى حزّ رأسه فوجدوا به رمقاً فاستشفع به أسماء بن خارجة الفزاري وكان من أخواله فشفعوه فيه فحمله معه إلى الكوفة وعالجه حتى برىء من جرحه ثم لحق بيثرب .

(٣) مقاتل الطالبيين : ص ١٨٢ ، ص ١٨٣ .

(٤) الأغاني : ٤/٣٤٨ .

قد تولى الخلافة فسيَّر رياح بن عثمان[1] المريّ أميراً على المدينة سنة أربع وأربعين ومائة فأمر رياح ببني الحسن ومعهم محمد العثماني أن يودعوا الحبس وكان ذلك في شهر رمضان ، فلما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس إلى بني الحسن وهم فيَ الحبس يسألهم أن يدفعوا إليه محمداً وإبراهيم إبني عبد الله ، فدخلا عليهم وعبد الله قائمٌ يصلي فأبلغهم الرسالة فقال الحسن بن الحسن أخو عبد الله : هذا عمل إبني المشومة ! أما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملإٍ منا ولنا فيه حكم ، فقال له أخوه إبراهيم : علام تؤذي أخاك في إبنيه ، وتؤذي ابن أخيك في أمه ؟ .

ثم فرغ عبد الله من صلاته فأبلغاه الرسالة ، فقال : لا والله لا أردُّ عليكما حرفاً ، إن أحب أن يأذن لي فألقاه فليفعل[2] .

وبلغ ذلك إلى المنصور فسار للحج ورجع ولم يدخل المدينة ، بل مضىٰ إلى الربذة ، وأمر بإشخاص بني الحسن إليه ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو الديباج .

وكان سبب أخذه أن رياحاً قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، أما أهل خراسان فشيعتك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب وأما أهل الشام فوالله ما عليٌّ عندهم إلا كافر ولكن محمد بن عبد الله العثماني لو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم أحد ، فوقعت في نفس المنصور فأمر به فأخذ معهم[3] .

فلما وصلوا إلى الربذة أدخلَ محمد بن عبد الله العثماني على المنصور

---

(١) رياح بن عثمان بن حيّان المريّ ولي إمرة دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير الشام ومصر من قبل المنصور ثم ولاّه المنصور المدينة بعد عزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري ليجدَّ رياح في طلب ابني عبد الله بن الحسن . وقد قتل رياح بن عثمان كما تذبح الشاة ولم يجهز عليه فجعل يضرب رأسه بالجدار حتىٰ مات وقتل معه أخوه عباس بن عثمان .

(٢) الكامل لابن الأثير : ٥/٥٢٣

(٣) المصدر نفسه : ٥/٥٢٦ .

وعليه قميص وإزار رقيق ، فلما وقف بين يديه قال : إيهاً يا ديّوث[1] ! قال محمد : سبحان الله ! لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً وكبيراً ! قال : فممن حملت إبنتك رقية ؟ ـ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ـ وقد أعطيتني الأيمان أن لا تغشني ولا تمالىء[2] عليَّ عدواً ثم أنت ترى ابنتك حاملاً وزوجها غائب ، وأنت بين أن تكون حَانثاً[3] أو ديوثاً ! وأيم الله إني لأهم برجمها ! قال محمد : أما أيماني فهي عليَّ إن كنت دخلت لك في أمر غش علمته ، وأما ما رميت به هذه الجارية فإن الله قد أكرمها بولادة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إياها ، ولكني ظننتِ حين ظهر حملها أن زوجها ألمّ[4] بها على حين غفلة . فاغتاظ المنصور من كلامه وأمر بشق ثيابه على إزاره فحكي أن عورته قد كشفت ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفتري عليه لا يني[5] ، فأصاب سوط منها وجهه فقال : ويحك أكفف عن وجهي فإن له حرمة برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأغرىٰ المنصور فقال للجلاد : الرأسَ الرأسَ ، فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً وأصاب إحدى عينيه سوطٌ فسالت ، ثم أخرج وكأنه زنجي من الضرب[6] وروي[7] أنه لما ضرب محمد العثماني لصق رداؤه بظهره فجف ، فأرادوا أن يخلصوه ، فصاح عبد الله بن الحسن : لا ، ثم دعا بزيتٍ فأمر به فطلى به الرداء ، ثم سلّوه سلاً .

وكان عبد الله بن الحسن مشفقاً على أخيه لأمه محمد العثماني فجزع عليه فإذا أراد المنصور أن يغيظه أمر بالعثماني فيضرب ، وجعل بعيره أمام

(١) الديوث من لا غيرة له على أهله وقيل هو الذي يدخل الرجل على زوجته .
(٢) تمالىء : من الممالأة : المساعدة .
(٣) الحنث : الخلف في اليمين أي نقضها ونكثها .
(٤) ألمّ : يقال ألمَّ بالمكان إذا قلّ فيه لبثه .
(٥) لايني : لا يُكنّي .
(٦) الكامل في التأريخ : ٥/٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٧) مقاتل الطالبيين : ١٩٨

بعير عبد الله فإذا رأى عبد الله ظهر وأثر السياط فيه جزع لذلك[1] .

ثم أن أبا عَون كتب إلى المنصور : إن أهل خراسان قد تعاشـوا عني ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله فأمر المنصور بمحمد بن عبد الله بن عمر العثماني فقتل وأرسل رأسه إلى خراسان وأرسل معه من يحلف أنه رأس محمد بن عبد الله وإن أمه فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) . فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ثم قد قتل منا في سلطاننا[2] !

وقيل إنه بعث رأسه إلى الهند وأظهر أنه رأس محمد بن عبد الله بن الحسن الفاطمي[3] .

ولقد عظم على الصادق (عليه السلام) ما جرى على بني الحسن وأخيهم العثماني فكتب إليهم يعزيهم بكتاب يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه .

أما بعد : فلئن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ، ما أنفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني ، ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت إلى ما أمر الله جلّ وعزّ به المتقين من الصبر وحسن العزاء حين قال لنبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الطيبين : **﴿واصبر لحكم ربك فإنك باعيننا﴾**[4] وحين يقول لنبيه : **﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾**[5] .

---

(١) مقاتل الطالبيين : ١٩٨ .
(٢) الكامل في التأريخ : ٥/٥٢٦ .
(٣) أنساب الأشراف : ٥/١١٠ ، المعارف لابن قتيبة : ١٩٩ .
(٤) سورة الطور ؛ الآية : ٤٨ .
(٥) سورة القلم ؛ الآية : ٤٨ .

وحين يقول لنبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حين مُثِّل بحمزة : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[1] فصبر رسول الله ولم يعاقب . وحين يقول : ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[2] . وحين يقول : ﴿الذين أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوت من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[3] . وحين يقول : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[4] . وحين يقول لقمان لابنه : ﴿وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[5] وحين يقول عن موسى : ﴿وقال موسىٰ لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[6] وحين يقول : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[7] . وحين يقول : ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالمرحمة﴾[8] وحين يقول : ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾[9] وحين يقول : ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوْا والله يحب الصابرين﴾[10] وحين يقول : ﴿والصابرين والصابرات﴾[11] وحين يقول : ﴿واصبر حتى يحكم الله وهو

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٦ .
(٢) سورة طه ؛ الآية : ١٣٢ .
(٣) سورة البقرة ؛ الآيتان : ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٤) سورة الزمر ؛ الآية : ١٠ .
(٥) سورة لقمان ؛ الآية : ١٧ .
(٦) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٢٨ .
(٧) سورة العصر ؛ الآية : ٣ .
(٨) سورة البلد ؛ الآية : ١٧ .
(٩) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٥ .
(١٠) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٦ .
(١١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٥ .

خير الحاكمين﴾[1] وأمثال ذلك من القرآن كثير .

واعلم أي عم وابن عم أن الله جلّ وعزّ لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب إليه من الضر والجهد والبلاء مع الصبر ، وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخوفونهم ، وأعداؤه آمنون مطمئون عالون ظاهرون ولولا ذلك لما قتل زكريا ويحيىٰ بن زكريا ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا ولولا ذلك لما قتل جدك علي بن أبي طالب (عليه السلام) لما قام بأمر الله جل وعز ظلماً ، وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهم اضطهاداً وعدواناً .

ولولا ذلك ما قال الله جلّ وعزّ في كتابه : ولولا أن يكون الناس أُمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون»[2] ولولا ذلك لما قال في كتابه : **﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾**[3] :

ولولا ذلك لما جاء في الحديث : (لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبداً) ولولا ذلك لما جاء في الحديث : «إن الدنيا لا تساوي عند الله جلّ وعزّ جناح بعوضة» ولولا ذلك ما سقى كافراً شربة من ماء ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث : «ولو أن مؤمناً على قُلة جبل لابتعث الله له كافرا أو منافقاً يؤذيه» ولولا ذلك لما جاء في الحديث : «إنه إذا أحب الله قوماً أو أحب عبداً صبَّ عليه البلاء صباً فلا يخرج من غمٍّ إلا وقع في غمٍّ» .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث : ما من جرعتين أحب إلى الله عزّ وجلّ أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها ، وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب» ولولا ذلك لما كان أصحاب

---

(١) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٩ .

(٢) سورة الزخرف ؛ الآية : ٣٣ .

(٣) سورة المؤمنون ؛ الآيتان : ٥٥ ـ ٥٦ .

رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) يدعـون على من ظلمهم بطول العمـر وصحة البدن وكثرة المال والولد ، ولـولا ذلك لمـا بلغنا أن رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلّم) كـان إذا خصَّ رجلاً بـالترحم عليـه والإستغفار استشهـد فعليكم يـا عم وابن عم وبني عمـومتي واخـوتيَ بـالصبـر والـرضـا والتسليم والتفـويض إلى عز وجـل والرضـا والصبر على قضـائه ، والتمسـك بطاعتـه ، والنـزول عند أمره ، أفرغ الله علينـا وعليكم الصبر ، وختم لنـا ولكم بالأجـر والسعادة ، وانقذنا وإياكم من كل هلكة بحوله وقوته إنه سميع قريب ، وصلّى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته . . . »[1] .

١٤٦

محمد بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص

كان أفلت من القتل وظل مختفياً إلى ما بعد خلافة المنصور .

وفي عمدة الطالب : «إن الداعي الكبير محمد بن زيد الحسني كـان إذا افتتح الخراج نظر إلى ما في بيت المـال من خراج السنـة الماضيـة ففرّقـه في قبائل قريش على دعواهم ثم في الأنصار والفقهاء وأهل القرآن وسـائر طبقـات النـاس حتى لا يبقى درهم . فجلس في بعض السنيـن يفـرّق فبـدأ ببـني عبد مناف فقام رجل فقال له الداعي : من أي عبد منافٍ أنت ؟ قال : من بني أمية . قال : من أيها ؟ فسكت . قال : لعلك ولد يزيد ؟ قال : نعم . قـال : بئس الأختيار إخترت لنفسك تقصد ولاية آل أبي طالب وعندك ثأرهم وقـد كان لك مندوحة عنهم بالشـام والعراق عنـد من يتولى جـدك ويحب برّك فـإن كنتَ جئت على جهلك هذا فما يكون بعد جهلك جهـل ! وإن كنت جئت مستهزئـاً بهم فقد خاطرت بنفسك . فنظر إليه العلويون نظراً شـديداً فصـاح بهم محمد الداعي وقال : كفوا عنه كـأنكم تظنـون أن في قتله إدراكاً لثـأر الحسين أبي ؟

(١) الإقبال لابن طاووس ص ٤٩ ـ ص ٥١ ، بحار الأنوار : ٤٧/٢٩٩ ـ ٣٠١ .

إن الله حرّم أن تطالب نفس بغير ما كسبت والله لا يعرض له أحد بسوء إلاّ قدته به واسمعوا حديثاً أحدثكم به يكون لكم قدوة فما تستأنفون : حدثني أبي عن أبيه قال : عرض على المنصور جوهر فاخر وهو بمكة فقال هذا جوهر كان لهشام بن عبد الملك وقد بلغني أنه عند محمد ابنه ولم يبق منهم غيره . ثم قال للربيع : إذا كان غداً وصليت بالناس في المسجد الحرام فأغلق الأبواب كلها ووكّل بها ثقاتك ثم افتح باباً واحداً وقف عليه ولا تخرج إلا من تعرفه . ففعل الربيع ذلك وعرف محمد بن هشام أنه هو المطلوب فتحير وأقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) فرآه متحيراً وهو لا يعرفه فقال له : يا هذا أراك متحيراً فمن أنت ؟ قال : ولي الأمان ؟ قال : ولك الأمان في ذمتي حتى أخلصك . قال : أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت ؟ قال : محمد بن زيد بن علي . فقال : عند الله أحتسب نفسي إذن . قال : لا بأس عليك فإنك لست بقاتل زيد ولا في قتلك درك ثأره . الآن خلاصك أولى مني بإسلامك ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به وقبيح أخاطبك به يكون فيه خلاصك . قال : أنت وذلك فطرح رداءه على رأسه ووجهه ولبته وأقبل يجرّه فلما أقبل على الربيع لطمه لطمات وقال : يا أبا الفضل إن الخبيث جمّال من أهل الكوفة أكراني جماله ذاهباً وراجعاً وقد هرب مني في هذا الوقت وأكرى بعض قواد الخراسانية ولي عليه بذلك بينة فضم إليّ حرسيين . فمضيا معه فلما بعد عن المسجد قال له : يا خبيث تؤدي إليّ حقي ؟ قال : نعم يا ابن رسول الله . فقال للحرسيين : انطلقا عنه . ثم أطلقه فقبّل محمد بن هشام رأسه وقال : بأبي أنت وأمي الله يعلم حيث يجعل رسالته . ثم أخرج جوهراً له قدر فدفعه إليه وقال : تشرفني بقبول هذا فقال : إنا أهل بيت لا نقبل على المعروف ثمناً وقد تركت لك أعظم من هذا دم زيد بن علي فانصرف راشداً ووار شخصك حتى يرجع هذا الرجل فإنه مجدٌّ في طلبك .

ثم إن الداعي محمد بن زيد الحسني أمر للأموي بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف وأمر جماعة من مواليه أن يوصلوه إلى الري ويأتوا بكتابه

بسلامته فقام الأموي وقبّل رأسه ومضى القوم عه حتىٰ أوصلوه إلى مأمنه وأتـوه بكتابه[1] .

١٤٧

عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص

لمّا قتل مروان هرب إبناه عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة فلقـوا من الحبشة بلاء، قاتلتهم الحبشة فقتل عبيد الله ـ كما مرَّ ذكره ـ ونجا عبـد الله في عـدة ممن معه فـأخذه نصـر بن محمد الأشعث عـامل فلسـطين فبعث به إلى المهدي[2] .

وفي النجـوم الـزاهـرة : «إن عبـد الله بن مـروان الحمـار المكنى بـأبي الحكم أختفى فـظفـر بـه نصـر بن محمـدُ بن الأشعث الخـزاعي وذلـك سنة ١٦١ هـ فأتي به إلى المهدي فجلس له مجلساً عامـاً وقال : من يعـرف هذا ؟ فقـام عبد العـزيز العقيلي إلى جنبـه ثم قال لـه : أبـو الحكم ! قـال : نعم . فسجنه المهدي»[3] .

وقـال ابن خلدون : «بقى عبد الله بن مـروان إلى أيام المهـدي العباسيٰ فأخذه عامل فلسطين وسجنه إلى أن مات في السجن»[4] .

وفي شـرح النهـج : «إن عبـد الله بن مـروان بن محمـد بن مـروان بن الحكم هـرب بعد قتـل أبيه مـع أخيه عبيـد الله في خواصهمـا إلى أسـوان من صعيـد مصر ثم صـارا إلى بلاد النـوبة ونـالهم جهدٌ شـديد وضـرٌ عظيم فهلك عبد الله بن مروان في جماعة ممن كان معه قتلاً وعطشاً وضراً وشـاهد من بقي

(١) عمدة الطالب /٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير : ٥/٤٢٧

(٣) النجوم الزاهرة : ٢/٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) نقلاً عن سمط النجوم : ٣/٢٢٩ .

منهم أنواع الشدائد وضروب المكاره ووقع عبيد الله في عدة ممن معه في أرض البُجة وقطعوا البحر إلى ساحل جُدّة وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سُوْقة بعد أن كانوا ملوكاً فظفر بعبد الله أيام السفاح فحبس فلم يزل في السجن بقية أيام السفاح وأيام المنصور وأيام المهدي وأيام الهادي وبعض أيام الرشيد وأخرجه الرشيد وهو ضرير فسأله عن خبره فقال : يا أمير المؤمنين حُبست غلاماً بصيراً وأُخرجت شيخاً ضريراً . فقيل إنه هلك في أيام الرشيد وقيل عاش إلى أن أدرك خلافة الأمين»[1]

وفي شرح النهج أيضاً : «سأل المنصور عن عبد الله بن مروان بن محمد فقال له الربيع : إنه في سجن أمير المؤمنين حياً فقال المنصور : قد كان بلغني كلام خاطبه به ملك النوبة لما قدم دياره وأنا أحب أن أسمعه من فيه فليؤمر باحضاره . فأحضر ، فلما دخل خاطب المنصور بالخلافة فأمره المنصور بالجلوس فجلس وللقيد في رجليه خشخشة فقال : أحب أن تُسمعني كلاماً قاله لك ملك النوبة حيث غشيت بلاده قال : نعم»[2] .

وفي عيون الأخبار أنه : قال صالح بن علي للمنصور : يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هارباً فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه[3] عن بلده فإن رأى أمير المؤمنين إن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله القصة[4] .

وكان عبد الله بعد هروبه من مصر قد انتهى إلى ملك النوبة فلما وصل إليها وصل إليه ملك البلاد وما رضي بالجلوس فوق الفرش بل جلس فوق

(١) شرح النهج : ٧/١٢١ ـ ١٢٢ .
(٢) شرح النهج : ٧/١٦٣ .
(٣) أزعجه عن بلده أي ابعده يقال أزعجه قلعه عن مكانه .
(٤) عيون الأخبار : م ١/٢٠٦ .

التراب فقال للترجمان : قل للملك لم فعلت ذلك ؟ فقال له : إني ملك وحق على كل ملك أن يكون متواضعاً لعظمة الله ثم أقبل ينكث في الأرض باصبعه ثم رفع رأسه وقال له · كيف سلبتم نعمة الملك وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم ؟ فقال : جاء من هو أقرب منا إليه وقتلنا وطردنا وجئت أنا مستجيراً إليك . ثم قال : كيف كنتم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم ؟ قال : فعله عبيدنا وأتباعنا من العجم وغيرهم لما دخلوا في ملكنا من غير علمنا . ثم قال : فلم كنتم تركبون على دوابكم بآلة الدهب والفضة والديباج وهو محرّم عليكم ؟ فقال له مثل القول الأول . ثم قال : فلم كنتم إذا خرجتم لصيد طائر لا خطر له هجمتم في أهل القرى وكلفتموهم الضيافة وما لا قدرة لهم عليه وأفسدتم مزارعهم بدوابكم والفساد محرم في دينكم ؟ فتعذر بمثل الأول وقال : كرهنا مخالفتهم لأن مماليكنا تمكنوا من البلاد فهزَّ رأسه وقال : لا والله ولكنكم استحللتم ما حرمه عليكم وارتكبتم ما نهاكم عنه وأحببتم الفساد والظلم وكرهتم العدل فسلبكم الله تعالى العز وألبسكم الذل والنقمة إذا نزلت عمت والبليّة إدا حلّت شملت وإن لله فيكم نقمة لن تبلغ غايتها فاخرج من بلدي وإلا قتلتك ومن معك . فخرج من بلاده ملوما مدحوراً[1] .

وقد روي إن أبا جعفر طلب الربيع فلم يجده فلما دخل عليه سأله عن خبره فقال كنت عند سليمان الكاتب يعني أبا أيوب فقال : ومن رأيت عنده ؟ قال : عبد الله بن مروان بن محمد وقد طلب منه حاجة فقضاها وقام عبد الله فقبل رأس سليمان وكان أبو جعفر متكئاً فاستوى جالساً وقال . يا ربيع قبَّل عبد الله رأس سليمان ؟ فقال : نعم . فقال : الحمد لله وخرَّ ساجدا فأطال ثم قال لي : يا ربيع أتدري أي نعمة جدد الله عند أمير المؤمنين في هدا الوقت ؟ قال : لا أعلم أسأل الله إن يجدّد عنده النعم ويواليها ويزيد فيها وكشف عن ساقه فإذا فيها أثر بيِّن ثم قال لي : إني بدمشق في أيام مروان إذ رأيت للناس

(١) سمط النحوم : ٣/٢٢٨ - ٢٢٩ .

حركة فقلت : ما هذا ؟ فقيل لي : عبد الله ابن أمير المؤمنين يركب وما ركب قبل ذلك وقد أمر الجند بالزينة وانجفل[1] الناس للنظر فخرجت فيمن خرج فازدحم الناس على بعض الطرق زحمة شديدة وكانت دابتي صعبة فسقطت عنها وانكسرت ساقي وغشيني الناس فمكثت دهراً عليلاً وها هو اليوم يقبِّل رأس كاتبي فالحمد لله على نعمه وحُسن أدالته[2] .

والروايات منها ما يشير إلى حبس عبد الله في عهد المنصور ومكثه فيه إلى عهد المهدي بل إلى عصر الهادي والرشيد ـ كما يدل عليه بعضها ـ ومنها ما يشير إلى اختفائه ثم حبسه عامل المهدي في فلسطين فما زال في حبسه حتى وفاته .

١٤٨

دحْية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

دَحْية أو دِحْية بن مصعب[3] ، أو مُعَصَّب[4] أو المغضَّب[5] بن الأصبغ قام في أعمال مصر أواخر خلافة المهدي وأوائل أيام الهادي .

وكان قد ولى المهدي الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي إمرة مصر وقبل خروجه مات محمد المهدي في أول المحرم سنة تسع وستين ومائة وولي الخلافة ابنه موسى الهادي فأقر الهادي الفضل على هذا العمل وسفَّره ودخل الفضل مصر يوم الخميس سلخ المحرم المذكور فوجد إضطراباً في مصر من عصيان أهل

(١) انجفل القوم انجفالاً إذا هربوا بسرعة .
(٢) الوزراء والكتّاب ص ١١٣ .
(٣) أنساب البلاذري ٥/١٨٥ ، جمهرة أنساب العرب /١٠٥ .
(٤) جمهرة النسب : ١/١٥٦ .
(٥) الوافي بالوفيات : ١٤/٦ .

جزيرة الحوف بالوجه البحري وأيضاً من خروج دحية الأموي بالصعيد وقد طال أمره على أمراء مصر وكان مع الفضل جيوش الشام فحال قدومه جهَّز العساكر لحرب دحية المذكور فقاتله العسكر وهزموه وأسر دحية بعد أمور وحروب وقدموا به إلى الفسطاط فضرب الفضل عنقه وصلبت جثته وبعث برأسه إلى الهادي وكان قتل دحية المذكور في جمادي الآخرة سنة تسع وستين ومائة فكان الفضل يقول : أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية وهزيمته وقتله وقد عجز عنه غيري وكاد أمره أن يتم لطول مدته ولاجتماع الناس عليه لولا قيامي في أمره[1] .

وقيل : قتله علي بن سليمان بن علي .

وفي ولاة مصر : قدم الفضل وهي تضطرم ـ أي مصر ـ لما كان من أهل الحوف ولخروج دحية بن مصعب وذلك إن الناس تسرَّعوا إلى دحية وكاتبوه ودعوه إلى دخول الفسطاط فعقد الفضل بن صالح لسفيان القائد على الجند وعقد لابن ذي هجران الشيباني على أهل مصر فأقام في الجيزة وعقد لابن زبّان على القيسية وبعث بالزهري في البحر فالتقى سفيان مع دحية ببويط[2] وكان صاحب أمر دحية كلّه فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشر الأزدي من نبي الحارث بن زهران كان جده ناشر حضر فتح مصر وأقبل فتح يكرّ ويفرّ لا يعرض له شيء إلا هذّه[3] فوقف له إبراهيم بن الأومر بن علي التجيبي ويحر بن شراحيل التجيبي وهيّاج الأنباري فحملوا على فتح فقتلوه . فقهقر أصحاب دحية لمقتل فتح ومضى دحية على حامية في طائفة معه إلى طريق الواحات فبعث إلى أهلها يدعوهم إلى القيام معه وكانوا من المسالة والبربر يتدينون بالشراية[4] فقالوا : لا نقاتل إلا مع أهل دعوتنا فبعث إليهم دحية أنا

(١) النجوم الزاهرة : ٢/٦٠ .

(٢) بُوَيط : قرية بصعيد مصر قرب بوصير قوريدس .

(٣) هذّه : قطعه .

(٤) الشراية : مذهب من مذاهب الخوارج .

على مذهيكم فخرجوا إليه وقاتلوا معه يوم الدير وأقبل عبد الله بن علي الجنبيّ في جمع كثير بعثه الفضل بن صالح فخرج إليه دحية في أهل الواحات فهزموا عبد الله بن علي وقتل يومئذٍ عبد العزيز بن مروان بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ووجد أهل الواحات على دحية في إثارته العرب على الموالي وتقديمهم على البربر فقالوا له : هذا ظلم والإسلام واحد ولسنا معك حتى نمتحنك بالبراءة من عثمان فامتنع دحية وقال لهم : والله ما أرجو الجنة إلا بالرحم بيني وبين عثمان فانصرفوا عنه وتركوه فعاد إليه عبد الله بن علي الجنبي لمّا علم انصرافهم عنه فحاربهم فقتل يومئذٍ مروان بن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان[1] .

وكانت نُعْم أم ولد دحية تقاتل قتالاً شديداً فقال شاعر من أصحاب دحية :

فلا ترجعي يا نُعْم عن جيش ظالمٍ ... يقود جيوش الظالمين ويجنبُ
وكري بنا طرْداً على كل سانحٍ ... إلينا منايا الكافرين تُقرَّبُ
كيومٍ لنا لا زلت أذكر يومنا ... بفاوَ ويوم في بُوَيْط عصبصبُ[2]
ويوم بأعلى الدّيْرِ كانت نحوسه ... على فيئةِ الفضل بن صالح تنعبُ[3][4]

١٤٩

مروان بن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

قتل مع دحية في مصر[5] .

---

(١) ولاة مصر /١٥٢ ـ ١٥٣ .
(٢) عصبصب أي شديد .
(٣) نعب الغراب أي صاح .
(٤) ولاة مصر/١٥٤ .
(٥) ولاة مصر ص ١٥٤ .

١٥٠

القاسم بن علي السفياني بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

أم أبيه نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب فكان أبوه علي السفياني يقول : أنا من شيخي صفين ـ يعني علياً ومعاوية ـ وكان يلقب بأبي العميطر لأنه قال يوماً لجلسائه : أي شيء كنية الجرذون؟ قالوا : لا ندري قال : هو أبو العميطر . فلقبوه به .

وقد خرج السفياني داعياً لنفسه بالخلافة وذلك في ذي الحجة سنة خمس وتسعين ومائة وقويَ على سليمان بن المنصور عامل دمشق فأخرجه عنها وأعانه الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية وكان قد تغلب على صيدا ولمّا خرج سيِّر إليه الأمين الحسين بن علي بن عيسىٰ بن ما هان فبلغ الرقة ولم يسر إلى دمشق ، وكان أكثر أصحاب السفياني من كلب وقد كتب إلى محمد بن صالح بن بيهس الكلابي يدعوه إلى طاعته ويتهدّده إن لم يفعل فلم يجبه إلى ذلك . فأقبل السفياني على قصد القيسية فكتبوا إلى محمد بن صالح فأقبل إليهم في ثلاثمائة فارس من الضباب ومواليه واتصل الخبر بالسفياني فوجَّه إليه يزيد بن هشام في إثني عشر ألفاً فالتقوا فانهزم يزيد ومن معه وقتل منهم إلى أن دخلوا أبواب دمشق زيادة على ألفي رجل وأسر ثلاثة آلاف فأطلقهم ابن بيهس وحلق رؤوسهم ولحاهم وضعف السفياني وحُصر بدمشق ثم جمع جمعاً وجعل عليهم ابنه القاسم وخرجوا إلى ابن بيهس فالتقوا فقتل القاسم وانهزم أصحاب السفياني وبعث رأسه إلى الأمين[١] . وكان قتله سنة خمس وتسعين ومائة .

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٥/٣٧٧ـ ٣٧٨ ، ط دار الكتب العلمية .

ذكر من قتل منهم في الأندلس

١٥١

سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان

قتله شقنا بن عبد الواحد سنة إحدى وخمسين ومائة ، وكان شقنا قد خرج على عبد الرحمن[١] الأموي ، وهو رجل من البربر قيل إنه إدعى إنه من ولد الحسين (عليه السلام) فاجتمع إليه خلق كثير من البربر فعظم أمره وسار إليه عبد الرحمن فولى شقنا عنه فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة[٢] حبيب بن عبد الملك فاستعمل حبيب سليمان على شنت برية[٣] فنزلها شقنا وأخذ سليمان فقتله[٤] .

(١) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك اختفى عن عيون الدولة العباسية فخرج إلى المغرب فملك الأندلس وأقام دولة بني أمية هناك فلحقوا به . توفي سنة ١٧٢ هـ ودفن بالقصر بقرطبة وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر .

(٢) طليطلة : من مدن الأندلس الشهيرة .

(٣) شنت بريه من مدن الأندلس .

(٤) الكامل لابن الأثير : ٥/٢٠٠ ط دار الكتب العلمية .

١٥٢

عبد السلام بن يزيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

قتله عبد الرحمن بن معاوية[١]

١٥٣

عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

قتله عمه عبد الرحمن بن معاوية[٢] .

١٥٤

أمية بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم

قتله أبوه عبد الملك سنة ست وخمسين ومائة . وكان عبد الملك قد قدم إلى الأندلس من مصر على عبد الرحمن الداخل في سنة أربعين ومائة فولّاه عبد الرحمن اشبيلية[٣] .

ونقل في سبب قتل ابنه أمية أنه لمّا رحف أهل حمص[٤] ممن كان في اشبيلية إلى عبد الرحمن بن معاوية يطلبونه بثأر أبي الصباح اليَحْصُبيّ أبلى عبد الملك بلاءً حسناً ، وقتل ولده أمية صبراً لما إنحاز إليه منهزماً قدَّمه

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٩٣ . .

(٢) المرجع نفسه ص ٩٤ .

(٣) اشبيلية مدينة بالأندلس بينها وبين قرطة مسيرة ثمانية أيام .

(٤) روي إن أهل حمص نزلوا أشبيلية فسميت حمص ونزل أهل دمشق مدينة البيرة فسميت دمشق ، بينما نزل أهل الأردن برية وسميت الأردن ونزل أهل فلسطين بشذونة فسميت فلسطين وكان كلما نزل قوم مدينة من بلاد الأندلس أسموها باسم مدينتهم .

فضرب عنقه فهابه الجند وشدُّوا معه ومُع سائر بنيه فكانت الدبرة على أهل حمص ومن معهم . وقيل إنه قتل ابنه المذكور في حرب يوسف الفهري حين انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ولم تقم له بعد قائمة فأحظاه عبد الرحمن وقدَّمه واستوزر بنيه عبد الله وإبراهيم وحكماً[1] .

وقيل : إن عبد الرحمن الأموي قدَّم عبد الملك لحرب أهل إشبيلية فقدَّم عبد الملك ابنه أمية ليعرف حالهم فرآهم مستيقظين فرجع إلى أبيه فلامه أبوه على إظهار الوهن وضرب عنقه ، وجمع أهل بيته وخاصَّته وقال لهم : طُرِدنا من المشرق إلى أقصى هذا الصقع ونُحسَدُ على لقمة تبقي الرمق ، اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر[2] .

١٥٥

عبد الملك بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

وهو أسنُّ ولد هشام نِكبه أبوه في حياته وسجنه فبقي مسجوناً بضع عشرة سنة حتى مات مسجوناً في ولاية أخيه الحكم بن هشام الربضي[3] .

(١) الحلة السيراء : ١/٥٦-٥٧ .
(٢) الكامل لابن الأثير : ٥/٢٠٩ ط دار الكتب العلمية .
(٣) جمهرة أنساب العرب ص ٩٥ ، بغية الملتمس ص ١٤ .
جذوة المقتبس ص ١١ .

١٥٦

هشام بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

ويكنى أبا الوليد . ولى لأخيه الأمير عبد الله جيَّان[١] ، ونبوَّه به في عسكره وقلَّده ميسرته في غزواته ـ وكان من أتم أهل بيته جمالاً ، وأكملهم أدباً ـ ثم سُعي به إليه فقتله[٢] .

١٥٧

القاسم بن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

ويكنى أبا محمد . وكان القاسم من الأدباء الشعراء ، وقد دخل دار أخية عثمان بن محمد مرَّة فاستسقى ماء فأبطأ عليه غلامه فقال :

الماء في دار عثمان له ثمن	والخبز فيها له شأن من الشانِ
فاسْلحْ على كل عثمانٍ مررتَ به	إلا الخليفةَ عثمان بن عفانِ

وكان القاسم أحد الجبابرة الموصوفين ، قبض عليه أخوه عبد الله فمات في حبسه مسموماً[٣] .

---

(١) جيَّان : ـ بالفتح ثم التشديد ـ مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة وهي غير جيان من قرى اصبهان .

(٢) الحلة السيراء : ٢/٣٦٧ .

(٣) الحلة السيراء : ١/١٢٧ .

١٥٨

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

والد الناصر عبد الرحمن بن محمد ، كان بكر أولاد أبيه ، وخليفته إذا غاب عن حضرته ، والمرشح لمكانه ، وكان من أهل العناية بالآثار والرواية للأخبار والتفنن في الآداب . وَلي لأبيه إشبيلية ثم هرب إلى عمر بن حفصون في قصة طويلة[١] . وكان قد خاف من أبيه وأغراه به المطرِّف أخوه حتى سجنه أبوه ثم قتله أخوه في السجن[٢] عند إنبلاج الفجر من يوم الخميس ليلة عشرة خلت من شوال سنة سبع وسبعين ومأتين[٣] . ثم قتل عبد الله إبنه المطرِّف لقتله محمد ومن أجل ذلك شفق عبد الله على عبد الرحمن حفيده بن محمد وربّاه في حجره حتى رشحه للأمرة بعده[٤] .

١٥٩

المطرّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

قتله أبوه عبد الله بعد أن قتل المطرِّف أخاه محمداً وذلك يوم الأحد لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو ابن سبع وعشرين سنة سنّ أخيه قتيله محمد إذ كان بينهما في المولد خمسة أعوام عاشها المطرِّف بعده[٥] .

(١) الحلة السيراء : ٢/٢٦٧ .
(٢) تأريخ اسبانيا الإسلامية ص ٢٨ ، جذوة المقتبس ص ١٣ ، بغية الملتمس ص ١٧ .
(٣) الحلة السيراء : ٢/٣٦٧ .
(٤) تأريخ أسبانيا ص ٢٨ .
(٥) الحلة السيراء : ٢/٣٦٧ .

١٦٠

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

لمّا توفي عبد الرحمن بن معاوية ولي الأمره بعده بعهد منه ابنه هشام وكان غائباً فقام أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي إلى أن ورد هشام قرطبة فبايعه وسلّم القصر إليه .

وكان سليمان منازعاً لأخيه هشام ـ وهو أكبر أولاد أبيه ـ ومقيماً بطليطلة فهرب إليه أخوه عبد الله ثم أنهم رجعوا إلى أخيهم هشام إلى حين وفاته سنة ثمانين ومائة فقام مقامه ابنه الحكم بن هشام المعروف بالربضي[1] فوصل سليمان من طنجة[2] وعبد الله من العُدوة ونازعا الحكم وحارباه فقتل سليمان بينما بقي بعده عبد الله وعزم على المضي في محاربته إلا إنه عجز عن ذلك[3]، .

وكان ظفر الحكم بعمه وقتله سنة أربع ثمانين ومائة[4] .

---

(١) كان فارساً فاتكاً جباراً ولى الأمر بعد أبيه فملك سبعاً وعشرين سنة وشهراً وكان يمسك أولاد الناس الملاح فيخصيهم ويمسكهم لنفسه . وعرف الحكم بالربضي نسبة إلى وقعة الربض بقرطبة سنة ٢٠٢ إذ ثار أهلها بعد ظهور فسقه وجوره وتسليط النصارى على رقاب المسلمين وكان فيهم العلماء والفقهاء فعمل فيهم السيف فقتل أزيد من عشرة آلاف وأجلى عن قرطبة أضعاف ذلك . وكانت وفاته سنة ٢٠٦ هـ .

(٢) طنجة : مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر .

(٣) الحلة السيراء : ٣٦٣/٢ .

(٤) الكامل لابن الأثير : ١٤٩/٦.

١٦١

أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية بن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

ويعرف بابن القطِّ . وكان من أهل العناية بالعلم والصناعة والنجامة ومعرفة الهيئة . وقد خرج في أيام الأمير عبد الله يطلب الدولة ويظهر الحِسبة والرغبة في الجهاد فاجتمع إليه من برابر الجوف والغرب ومن أهل طليطلة وطلبيرة خلق كثير يُقال أنهم بلغوا بين خيل ورجل ستين ألفاً فقصد بهم سَمُّورة[1] وكتب إلى ملك جَلِّيقية[2] كتاباً مغلظاً يدعوهم إلى الإسلام فحمي الطاغية عند ذلك ونشب القتال بينهم فخذل البرابر أحمد بن معاوية فثبت فيمن بقي معه حتى قتل في اليوم الرابع واستؤصل أصحابه إلا قليلاً وعظمت المصيبة بمن قتل من المسلمين وعرف ذلك اليوم بيوم سَمُّورة وكانت الوقعة سنة ثمان وثمانين ومأتين . وحزّ رأس أحمد وبعث به إلى الملك فنصبه على باب سَمُّورة[3] .

١٦٢

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني

هو ابن الناصر أبي الطرف صاحب الأندلس ، وكان عبد الله فقيهاً

(١) سَمُّورة : ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه وضمه ـ مدينة الجلالقة ، وقيل : سمرة .

(٢) جَلِّيقية : ـ بكسرتين واللام مشدودة وياء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة ـ ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس .

(٣) الحلة السيراء : ٢/٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

شافعياً ، متنسكاً ، أديباً شاعراً ، سما إلى طلب الخلافة في مدة أبيه ، وبايعه قوم في الخفية على قتل والده وأخيه المستنصر وليّ عهد أبيه ، فعرف أبوه بذلك فسجنه إلى أن أُخرج يوم عيد الأضحىٰ سنة تسع وثلاثين وثلثمائة من الحبس ، وأحضره أبوه بين يديه وقال لخواصه : هذه أُضحيتي في هذا العيد ، ثم أُضجع له وذبحه ، وقال لأتباعه : ليذبح كلٌّ أُضحيته ، فاقتسموا أصحاب ولده عبد الله المذكور وذبحوهم من آخرهم[1] .

وفي الحلة السيراء : إنه «بعث الناصر في الليل بمن يقبض على ولده عبد الله فوجدوا عنده في البيت الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر وفقيهاً آخر يعرف بصاحب الوردة فقيدوا وجيء بهما إلى الناصر فأمر بسجنهم وقتل ولده عبد الله ثم أراد أن يقتل الفقيه أحمد يوم العيد فأصبح ابن عبد البر ميتاً في سجنه وكان ذلك في سنة ثمانية وثلاثين وثلاثمائة[2] .

وكان عبد الله شاعراً ، فمن شعره :

أما فؤادي فكاتمٌ ألَمَهْ ... لو لم يبح ناظري بما كَتَمَهْ
وما أوضحَ السُّقمَ في ملاحظ مَنْ ... يهوى وإن كان كاتماً سَقَمَهْ
ظللت أبكي وظلَّ يعذلُني ... مَنْ لم يقاس الهوى ولا علَمَهْ
إليك من عاشقٍ بكىٰ أسفاً ... حبيبَهُ في الهوى وإن ظَلَمَهْ
ظلت جيوشُ الأسىٰ تقاتلُهُ ... مُذ نذرتْ أعين الملاح دَمَهْ[3]

وروي[4] أن سعيد بن فرج الشاعر أهدى له ياسميناً أبيض وأصفر وكتب معه :

مولاي قد أرسلتُ نحوك تحفةً ... بمراد ما أبغيه منك تُذكِّرُ

---

(١) الوافي بالوفيات : ج ٦ ق ٢٤٥/١٧
(٢) الحلة السيراء : ٢٠٧/١ .
(٣) المرجع نفسه : ٢٠٦/١ .
(٤) الوافي بالوفيات : ٦ ق ٢٤٥/١٧ .

من ياسمين كالنجوم تبرَّجت بيضاً وصُفراً والسماح يُعيِّرُ

فعوضه عن ذلك ملء الطبق دنانير ودراهم وكتب له :

أتاك تعبيري ولمّا يُحَلْ مني على أضغاث أحلام
فاجعله رسماً دائماً قائماً منك ومني أول العام

ومرّ مع أحد الفقهاء يوماً فأبصر غلاماً فتّان الصورة فأعرض عنه وقال :

أفدي الذي مرَّ بي فمال له لحظي ولكن ثنيته غضبا
ما ذاك إلا مخاف مُنتَقِدٍ فالله يعفو ويغفر الذنبا[1]

١٦٣

هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

قتل في دولة المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر لإتهامهم إياه بممالأة الوزير عيسىٰ بن سعيد القطّاع قتيل عبد الملك ، وكان عيسىٰ صديقاً لهشام فأتهم الإثنان بالتدبير على المظفر وقتله والمناداة بهشام خليفة فقتل المظفر وزيره بيده في مجلس شرابه وحبس هشام فكان آخرْ العهد به[2]

وقيل : إن عبد الملك بعث أخاه عبد الرحمن ليلاً في طائفة من وجوه الغلمان للقبض على هشام فأحاطوا بداره فحملته هشاشته على الظهور وترك اللياذ عنهم فاختطفوه للحين وحملوه إلى الزاهرة ولم يتعرضوا لأهله بمكروه

---

(١) الوافي بالوفيات : ٦ ق ٢٤٥/١٧ .

(٢) الحلة السيراء : ٥/٢ .

فأمر عبد الملك اعتقال هشام في حجرة قد كان أعدًّها له بما يصلح منها فمكث بها يومين ثم نقل إلى حبسٍ ابتني له فكان آخر العهد به[1] . وقيل قتله في مجلس شرابه بعد أن استشار أخاه عبد الرحمن وذلك ليلة الست لعشر بقين من ربيع الأول من سنة سبع وتسعين وثلاثمائة[2] .

١٦٤

هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر

قام على محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي وذلك في يوم الخميس لخمسٍ خلون من شوال سنة تسع وتسعين وثلاثمائة فحاربه محمد بن هشام المهدي وقام معه أهل قرطبة فانهزم البربر وأُسر هشام بن سليمان فأُتي به إلى المهدي فضرب عنقه[3] .

١٦٥

عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

قتله ابنه مروان أبو عبد الملك الملقب بالطليق[4] . وقيل في سبب قتل مروان لأبيه : إنه كان يهوى جارية ربّاها أبوه معه وذكرها له ثم إنه إستأثر بها فاشتدت غِيَرةُ مروان لذلك وانتضى سيفاً وانتهر فرصة في بعض خلوات أبيه

(١) البيان المغرب : ٣/٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣/٣٣ .

(٣) جذوة المقتبس ص ١٨ ، بغية الملتمس ص ٢٢ .

(٤) سمي بالطليق لأنه أطلق من حبسه بعد أن أمضى فيه ستة عشرة سنة ودخل فيه وعمره ست عشرة سنة وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة

معها فقتله[1] .

١٦٦

محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر
الملقب بالمهدي

ويكنى أبا الوليد ، وأمه أم ولد اسمها مَزْنَة ، وكان مولده في سنة ست وستين وثلاث مائة[2] .

وقد عرف المهدي بالفسق والخلاعة والمجون فقال بعضهم فيه :

أميـر النـاس سخنـة كـل عين ‌ ‌ ‌ يبيـت الليـل بيـن مخنَّثيـنِ
يُجشِّـم ذا ويلثـم خـدَّ هـذا ‌ ‌ ‌ ويسكـر كـل يـومٍ سكـرتيـن
لقـد ولَّـوا خـلافتهـم سفيهـاً ‌ ‌ ‌ ضعيف العقـل شينـاً غيـر زَيْنٍ[3]

وكان محمد بن هشام المهدي قد خلع هشام بن الحكم المؤيد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتسمىٰ بالمهدي واستولى على قرطبة بعد هزيمة سليمان بن الحكم عنها[4] .

أما قتله فإنه روي : إن طائفة من العبيد العامريين تواعدوا مع واضح فدخلوا عليه يوم الأحد الثامن لذي الحجة من سنة أربعمائة وكان واضح الفتى إستحجبه ابن عبد الجبار فثاروا بأجمعهم معه ودخلوا القصر وملكوه ودخلوا عليه ثم أخرجوا هشاماً المؤيد واقعدوا ابن عبد الجبار بين يديه فجعل المؤيد يعدِّد عليه بين يديه فقتل وتولى قتله المعروف بالشفق عبد من عبيد الحكم وعبيد العامريين ذبحوه وحزوا رأسه ورموا بجثته إلى الرصيف فسقط في

---

(١) الحلة السيراء : ١/٢٢٠ .
(٢) بغية الملتمس /٢٢ ، حذوة المقتبس /١٨ .
(٣) البيان المغرب ٣/٨٠ .
(٤) بغية الملتمس ص ٢٢ ، جذوة المقتبس ص ١٨ .

الموضع الذي كانت فيه جثة ابن عسقلانة من اليوم الذي قتله ابن عبد الجبار وبعث واضح برأسه إلى البربر ونصب جثته أياماً ثم دفن في مرحاض تحت خشب المصلوبين[1] .

١٦٧

عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

قتله محمد بن أبي عامر في أول دولة هشام المؤيد لسعيه في القيام وطلبه للأمر[2] .

١٦٨

هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ويعرف بهشام المؤيد

ويكنى أبا الوليد ، وأمه أم ولد تسمى صُبْح ، وكان له إذ ولي الأمر عشرة أعوام وشهر[3] ، ولصغره تغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور فكان يتولى جميع الأمور حتى مات فصار مكانه ابنه

(١) البيان المغرب : ٣/١٠٠ .

(٢) بغية الملتمس ص ٣٣ .

(٣) جذوة المقتبس ص ١٧ ، بغية الملتمس ص ٢١ .

عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر فلما مات قام مكانه أخوه عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر فخلّط وتسمىٰ ولي العهد وبقي كذلك أربعة أشهر إلى أن قام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار يوم الثلاثاء لثمان عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة فخلع هشام بن الحكم المؤيد وأسلمت الجيوش عبد الرحمن الملقب بالناصر فقتل وصلب فبقي هشام إلى أن صرف إليه الأمر وذلك بعد قتل محمد بن هشام المهدي يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة أربع مائة فبقي كذلك وجيوش البربر تحاصره مع سليمان بن الحكم بن سليمان واتصل ذلك إلى خمسٍ خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة فدخل البربر مع سليمان قرطبة وأخلوها من أهلها حاشا المدينة وبعض الرَّبض الشرقي وقتل هشام[1] .

١٦٩

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

ويكنى أبا أيوب ، أُمه أم ولد اسمها ظبية ، ولد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وترك من الولد وليّ عهده محمداً والوليد ومسلمة[2] .

وكان سليمان شاعراً فمن شعره يعارض هارون الرشيد قوله :

عجباً ! يهاب الليث حدَّ سناني ... وأهاب لحظ فواتر الأجفان

فأقارع الأهوال لا متهيِّباً ... منها سوى الإعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدُّمىٰ ... زُهْرُ الوجوه نواعمُ الأبدان

ككواكب الظلماء لُحْنَ لناظري ... من فوق أغصانٍ على كثبان

(١) جذوة المقتبس ص ١٧ ، بغية الملتمس ص ٢١ .

(٢) جذوة المقتبس ص ١٩ ، بغية الملتمس ص ٢٥ .

هـذي الهـلالُ وتلك بنت المشتـري ... حُسنـاً وهــذي أخت غصن البــان
حــاكمتُ فيهـم السلوَّ إلى الصِّبـا ... فـقـضـىٰ بسـلطانٍ عـلى سـلطاني
فـأبحن من قلبي الحمى وتـركنني ... في عــز مُلكي كــالأسيـر العــاني
لا تعــذلـوا ملكـاً تـذلَّـل للهـوى ... ذلُّ الـهـوى عـزٌّ ومـلك ثــانـي
مـا ضـرَّ أنـي عَبْـدُهُـنَّ صبـابـةً ... وبنــو الـزمـان وهنَّ من عُبـدانـي
إن لم أطـع فيـهن سلطان الهـوى ... كَـلَفـاً بهـنَّ فلسـت مـن مـروان[1]

وكان هارون الرشيد يقول :

مـلك الثـلاثُ الآنسـات عنـانـي ... وحـللن مـن قـلبـي بـكـل مكـانِ
مـا لي تـطاوعني البـريَّـةُ كـلُّهـا ... وأطيعُـهُنَّ وهـنَّ في عـصيـانـي !
مـا ذاك إلَّا أنَّ سـلطان الـهـوى ... ـ وبـه قَـوِينَ ـ أعـزُّ من سلطاني[2]

وقد قام سليمان الحكم طالباً الأمر يـوم الجمعة لست خلون من شـوال سنة تسع وتسعين وثـلاثمائـة وتلقب بالمستعين بـالله ثم دخل قـرطبة في ربيع الآخر سنة أربعمائة وتلقب حينئـذٍ بالـظافر بحـول الله مضافـاً إلى المستعين ثم خـرج عنها في شـوال سنة أربعمـائة فلم يـزل يجول بعسـاكر البـربر في بـلاد الأندلس يفسد وينهب ويقفـر المدائن والقـرى بالسيف والغـارة لا تبقي البربـر معـه على صغير ولا كبيـر ولا امرأة إلى أن دخـل قرطبـة في صدر شـوال سنـة ثلاث وأربعمائة وكان من جملة جنـده رجلان من ولـد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يسميان القاسم وعلياً ابني حمـود بن ميمون بن أحمـد بن علي بن عبيــد الله بن عمـر بن إدريس بن عبــد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقوَّدهما على المغاربة ثم ولّى أحدهما سبتة وطنجــة وهـو علي الأصغـر منهمـا وولّى القــاسم الجزيـرة الخضـراء وبين الموضعين المجاز المعروف بالزُّقاق وسعة البحر هنـاك اثنتا عشـر ميلاً وافتـرق العبيد إذ دخل البربر مع سليمان فملكوا مدنـاً عظيمـة وتحصَّنوا فيهـا فراسلهم

---

(١) الذخيرة إلى محاسن أهل الجزيرة : ١/٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ .

علي بن حمود وقد حدث له طمع في ولاية الأندلس وكتب إليهم يذكر لهم أن هشام بن الحكم إذ كان محاصراً بقرطبة كتب إليه يولّيه عهده فاستجابوا له وبايعوه فزحف من سبتة إلى مالقة وفيها عامر بن فتوح الفائقي مولى فائق مولى الحكم المستنصر فأطاع له وأدخله مالقة فتملكها علي بن حمود وأخرج عنها عامر بن فتوح ثم زحف بمن معه من البربر وجمهور العبيد إلى قرطبة فخرج إليه محمد بن سليمان في عساكر البربر فانهزم محمد بن سليمان ودخل علي بن حمود قرطبة وقتل سليمان بن الحكم صبراً ضرب عنقه بيده يوم الأحد لتسع بقين من المحرَّم سنة سبع وأربعمائة وقتل أباه الحكم بن سليمان في ذلك اليوم وهو شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة فكانت مدة خلافة سليمان مذ دخل قرطبة إلى أن قتل ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وأياماً وقد كان ملكها قبل ذلك ستة أشهر وكانت مدته مذ قام مع البربر إلى أن قتل سبعة أعوام وثلاثة أشهر وأياماً[1] .

وروى في قتله أنه : دعا علي بسليمان وذويه فضرب عنقه بيده وظهر منه جزع شديد عند ملاحظته السيف خارت منه قواه فجثا على ركبتيه ثم ضربت عنق الشيخ أبيه وعنق عبد الرحمن ابنه ـ ابن الشيخ ـ وجعلت الرؤوس الثلاثة في طشت وأخرجت من القصر إلى المحلّة ينادي عليها : هذا جزاء من قتل هشاماً المؤيد[2] .

١٧٠

الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر
والد المستعين بالله

قتل مع ابنه سليمان المستعين بالله وله من العمر اثنتان وسبعون سنة وقد

---

(١) جذوه المقتبس ص ١٩ ، بغية الملتمس ص ٢٤ ، الحلة السيراء . ٢/ ٥

(٢) الدخيرة . ١/ ٢٩ .

مرَّ ذكره في ترجمة ابنه سليمان .

١٧١

عبد الرحمن بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر

قتل مع أخيه سليمان المستعين بالله وأبيه[١] .

١٧٢

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى

كان المرتضى قد نصب خليفة بشرقي الأندلس فزحف بمن تآلف معه من الموالي العامريين وغيرهم إلى غزو البرابرة بقرطبة وكان أميرها القاسم بن حمود[٢] فخرجوا سنة ٤٠٩ هـ فعرجوا بطريقهم إلى غرناطة وكان فيمن خرج مع المرتضى منذر التُّجيبيّ ، وخيران الصِّقلي ، وكان على غرناطة الأمير زاوي بن زيري بن مناد فراسله المرتضىٰ يدعوه إلى الطاعة فكتب له زاوي : **﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾** فلما بلغ المرتضى ذلك بعث له كتاب وعيد فردَّ عليه زاوي : **﴿ألهاكم التكاثر . . .﴾** ولم يزد فغضب المرتضى وازداد غيظاً منه .

---

(١) الذخيرة : ١/٢٩ .

(٢) القاسم بن حمود بن ميمون الأدريسي الحسني الملقب بالمأمون ثاني ملوك الدولة الحمُّودية بقرطبة ولّاه سليمان بن الحكم الأموي على الجزيرة الخضراء وثار أخوه علي بن حمود على سليمان فملك الأندلس وبويع بالخلافة فأقام القاسم إلى أن توفي علي سنة ٤٠٨ هـ فولى الخلافة بعده واستقر بقرطبة ثم انتفض عليه ابن أخيه يحيى بن علي سنة ٤١٢ فخرج من قرطبة بلا قتال وأقام باشبيلية مدة جمع شناته فدخل قرطبة سنة ٤١٣ فلم ينتظم له الأمر فخرج إلى شريش فقبض عليه يحيى وسجنه بمالقه إلى أن مات خنقاً .

وقد التقى الجيشان ونشب القتال بينهما وقد انهزم منذر بن يحيى وخيران الصِّقلي ولم يثبت مع المرتضىٰ إلاَّ العامريين فإنهم صبروا حول صاحبهم المرتضى على أحرّ من جمر الغضا وصرع كثير منهم وانكشفوا عنه فخاف أن يقبض عليه فولّى فوضع عليه خيران عيوناً لئلا يخفى أثره فلحقوه بقرب وادي آش وقد أمن على نفسه فهجموا عليه وقتلوه وجاءوا برأسه إلى خيران ومنذر[1] .

وورد على القاسم بن حمود الخبر بمقتل المرتضى وهزيمة الأندلسيين من قبل زاوي مع سهمه من الغنيمة وفي الجملة سُرادق المرتضى فسُرَّ بذلك وضرب السرادق على نهر قرطبة لينظر إليه الناس وكان مقتله سنة ٤٠٩ هـ[2] .

۱۷۳ .

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستظهر

ويكنى أبا المطرف ، وأُمه أم ولد اسمها غاية . . وكان مولده في ذي القعدة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[3] .

وكان عبد الرحمن المستظهر أديباً فمن شعره :

طال عمر الليل عندي مذ تولَّعتِ بصَدّي
يا غزالاً نقض الوُدَّ ولم يوفِ بعهدي

أنسيتِ العهد إذ بتنا على مِفرَشِ وَرْدِ
واجتمعنا في وشاحٍ وانتظمنا نَظمَ عقدِ
وتعانقنا كغصنين وَقدَّانا كَقَدُّ

(١) الذخيرة : ١/٣٩٧ - ٣٩٩ ، البيان المغرب : ٣/١٢٥ - ١٢٧ .
(٢) تاريخ اسبانيا ص ١٣١ .
(٣) جذوة المقتبس ص ٢٤ ، بغية الملتمس ص ٣١ .

ونـجـوم الـلـيـل تـحـكـي   ذهَـبـاً فـي لا زَوَرْدِ[1] !

ومن شعره أيضاً :

تبسَّمَ عن دُرٍّ تـنضَّـد في الـوَرْس   وأسفَرَ عَن وجـه يتيـه على الشمس
غـزال بَـراهُ اللّه من نـور عـرشـه   لتقـطيـع أنفـاسي وليس من الإنس
وهبتُ لـه مُلكي وروحي ومهـجتي   ونفسي ولا شيءٌ أعـزُّ من النفس[2]

وقد كتب المستظهر قصيدة بعث بها إلى مُشنَف زوج سليمان بن الحكم خطب بِنْتها من سليمان المسماة حبيبة فلوته وكـان بقلبه من هـذه الأبنة مكـان لنشأتهما معاً في ذلك الأوان يقول فيها :

وجـالبـةٍ غـدراً لتـصـرف رغبـتي   وتـأبى المعـالي أن تجيـز لهـا عـذرا
يـكلفـهـا الأهـلونَ رَدِّي جـهـالـةً   وهل حَسَنٌ بالشمس أن تمنـع البدرا
ومـاذا عـلى أم الحـبيـبـة إذ رأت   جـلالة قـدري أن أكـون لهـا صهـرا
جعلت لهـا شـرطـاً عليَّ تعبُّـدي   وسقت إليها في الهوى مهجتي مُهْـرا
تعلقتهـا من عبـد شمسٍ غـريـرةً   مُحـدَّرةً من صِيـد آبـائهـا غـرَّا
حمـامـةُ عشِّ العبشميين رفـرفـت   فَـطِرتُ إلـيهـا سَـراتِـهمُ صقـرا
لقد طال صوم الحب عنك فما الذي   يضـرك منـه أن تكـوني لـه فِـطرا
وإني لاستـشفـي بمَـرِّي بـداركـم   هـدوءاً واستسقي لساكنهـا القـطرا
وأُلـصق أحـشـائي ببـرد تُـرابهـا   لأطفئ من نـار الأسى بكم جمـرا
فـإن تصرفيني يـا ابنة العم تصرفي   ـ وعيشـك ـ كُفـأً مـدَّ رغبته سِتْـرا
وإني لأرجـو أن أُطـوِّق مفـخـري   بملكي لهـا وهي التي عظمت فخـرا
وإني لـطعّـانٌ إذا الخيـل أقبلت   جـرائدهـا حتى تـرى جُـونها شقـرا
وإني لأولى النـاس من قـومهـا بهـا   وأنـبهـهـم ذكـراً وأرفعـهـم قـدراً
وعنـدي مـا يُصبى الحليمـة ثيِّبـاً   ويُنسي الفتـاة الخَوْدَ عُـذرتها البكـرا

---

(١) الذخيرة : ١/ ٤٢ .

(٢) الذخيرة : ١/ ٤١ .

جـمـالٌ وآدابٌ وخـلقٌ مُـوَطَّـأٌ ولفظٌ إذا ما شئتِ أَسْمَعَكِ السحرا[1]

وروي أنـه لمح حبيبـة هذه فـأومأ بـالسلام فلم تـردُّه عليه خجـلاً فكتب إليها :

سـلام على من لم يَجُـدْ بكـلامـه ولـم يـرنـي أهـلاً لـردِّ سـلامـه
سـلام على الرامي الـذي كلما رمى أصـاب فؤادي عـامـداً بسهـامـه
بنفسي حـبيبٌ لم يَـجُـدْ لمُـحِبِّـهِ بـطيفِ خيـالٍ زائـرٍ فـي منـامـه
أَلَمْ تعلمي يـا عـذبـةَ الاسم إنني فتىً فيـك مخلوعٌ عِـذارُ لجـامـه[2]

وفي السادس عشر من شهر رمضان سنة ٤١٤ هـ إنهزم البرابر عن قرطبة وزالت دولة الحسنيين فاتفق أهـل قرطبـة على ردِّ الأمر إلى بني أميـة فاختـاروا منهم ثلاثة هم : عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر اخـو المهدي ، وسليمـان بن المرتضى ، ومحمـد بن عبد الـرحمن بن هشـام القـائم على المهدي بن سليمـان الناصـر ، ثم استقر الأمـر لعبـد الـرحمن بن هشام بن عبد الجبار فبويع بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت لرمضان سنـة أربع عشرة واربعمائة وله اثنان وعشرون سنة[3] وتلقب بالمستظهر[4]» .

وفي الذخيرة في محـاسن أهل الجـزيرة : قـال ابن حيان : وكنت فيمن حضر المقصورة يومئذٍ فكان أول من وافى منهم سليمان بن المرتضى جاء مـع عبد الله بن مُخامِس الوزير في أُبّهة وشارة دلَّت على المراد فيه فدخل من بـاب الوزراء الغربي والسرور بادٍ عليـه فاستقبله أصحـابه وقـدَّموه إلى بهـو السابـاط فأجلس هناك على مـرتبة لا تصلح لأحـد سواه وهـو بهج جـذلان لا يشك في تمام الأمر له وأصحابه يرتقبون مجيء إبني عمه المذكورين ـ وقـد أبطآ ـ كيمـا يُحصِّلوهما عنده فبينمـا نحن على ذلك والقلق على القـوم بادٍ إذ عشيتنـا ضجة

(١) الذخيرة : ١/ ٤٠ .
(٢) الذخيرة : ١/ ٤١ ، راجع الحلة السيراء : ٢/ ١٥ .
(٣) وفي الحلة السيراء : وله ثلاث وعشرين سنة : ٢/ ١٢ .
(٤) جذوة المقتبس /٢٤ ، بغية الملتمس /٣١

وزعقة هائلة إرتجَّ لها الجامع واضطرب لها مَنْ بالمقصورة فإذا عبد الرحمن بن هشام قد وافى شرقي الجامع في خلق عظيم من الجند والعامة وقد تكنَّفه أمير الدائرة محمود وعمير في رجالهما شاهرين سيفيهما أمامه لهجين باسمه فراع الوزراء ذلك وألقوا للوقت بأيديهم وخذلت حيلهم ودخل المقصورة عبد الرحمن فبويع لوقته واستدعىٰ سليمان بن المرتضى وجيء به مبهوتاً فقبَّل يده وهنأه فأجلسه إلى جنبه ثم وافىٰ محمد بن العراقي أيضاً فقبل يده وبايعه ثم عقدت له البيعة وذلك في اليوم الرابع من شهر رمضان سنة أربع عشرة واربعمائة ، وكان أحمد بن بُرْد قد تقدم في عقدها باسم سليمان بن المرتضى فبشَّره وحك اسمه وكتب اسم عبد الرحمن مكانه[1] .

ثم قام عليه أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة من العوام فقتل عبد الرحمن بن هشام وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة سنة أربع عشرة وثلاثمائة[2] ، وكانت سنة يوم قتل ثلاثاً وعشرين سنة[3] .

ونقل أنه راعه هجوم أعدائه عليه فخلع ثيابه واختفى في أتُّون[4] حمّام القصر وسبيت حرمه وبحث عنه فاستخرج بحالٍ قبيحة فبطش به أحد الرجَّالة القائمين على رأس ابن عمه المبايع[5] محمد بن عبد الرحمن المستكفي .

وفي البيان المغرب ـ في معرض الحديث عن قتله ـ: «وكان سبب ذلك أن حسَّن رأيه ـ أي المستظهر ـ في ابن عمران أحد الرهط الذين كان سجنهم فأخرجه فقال له بعض أصحابه : إن مشى ابن عمران في سجنك باعاً نثر من عمرك عاماً ، فعصاه المستظهر لغالب هواه فحاق به في المثالب رداءً وكان

---

(١) الذخيرة : ١/٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) جذوة المقتبس /٢٥ .

(٣) الحلة السيراء . ٢/١٥ .

(٤) أتون الحمام · مخزن الفحم والخشب .

(٥) تأريخ أسبانيا ص ١٣٥

ورد عليه قبل إطلاقه بيومين فوارس من البربر فكرّم جانبهم وأنزلهم معه في القصر فهاجت لذلك الدائرة وقالوا للعامة : نحن الذين قهرنا البرابرة وطردناهم عن قرطبة وهذا الرجل يسعىٰ في ردّهم إلينا وتمكينهم من نواصينا فهاجت العامة فوثبوا عليه بالقصر وقتل البرابرة حيث وجدوا ولم يشعر عبد الرحمن إلاّ والرجّالة قدْ إنتشروا على سقف القصر وسمع المسجونون عنده هتاف الناس فاستغاثوهم فدقوا الاغلاق دونهم واختلط بالحُرَمِ فعلم عبد الرحمن أنه مقتول وأُحيط به من كل جهة فجاء إلى باب الحمام يطمع في الخروج منه فقام في وجهه الدائرة السوء يسبونه فارتدَّ على عقبه وترجَّل عن فرسه وتجرد عن ثيابه حتى بقي في قميصه واستخفى في أتون الحمام ففقد شخصه واستخفى البرابرة في الحمام وفي أكناف القصر فبحث عنهم وقتلوا وفضح حُرَم عبد الرحمن وسبي أكثرهن وحملوهن إلى منازلهم علانية وجرى عليهن ما لم يجر على حرَم سلطان في مدة تلك الفتنة فلما فقد شخص عبد الرحمن ظهر ابن عمه محمد بن عبد الرحمن في المكان الذي كان مختفياً فيه فهتف بالدائرة باسمه وانتهوا به إلى دار الملك فإذا هي بلاقع فأجلسوه في مجلسها القبلي مبهوتاً وقام الدائران محمود وعنبر على رأسه بالسيوف مقامهما بالأمس على رأس عبد الرحمن ابن عمه وتكاثرت الدائرة والعامة عليه وافتقد عبد الرحمن المستظهر في أتون الحمام قد انطوى انطواء الحية في مكان حَجٍ في قميص مسوَّد بحال قبيحة وجيء به إلى محمد بن عبد الرحمن وقد بويع فطش به بعض الرجّالة القائمين على رأسه فقتلوه»[1] .

وكانت مدة خلافته أقصر خلافة لأمراء بني أمية إذ لم يتول الإمارة غير سبعة وأربعين يوماً[2] .

وله من الشعر يوم الوثوب عليه قوله :

يا أيها القمر المنير كن نحوْ شبهك لى سفيرْ

---

(١) البيان المغرب : ١٣٨/٣ ، وراجع الذخيرة : ٣٨/١ .

(٢) الحلة السيراء : ١٢/٢ .

بشحيةٍ أودعتُها شوقاً بنيَّات الصدورْ[1]

١٧٤

محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن الناصر المعروف بابن العراقي

قتل خنقاً في ولاية محمد بن عبد الرحمن المستِكفي[2] .

١٧٥

المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله

ويكنى أبا عبد الرحمن ، وأُمه أم ولد اسمها حوراء[3] .

وكان مولده سنة ست وستين وثلاثمائة[4] أو أربع وستين وثلاثمائة[5] على اختلاف الروايات في عمره فمنهم من يقول أنه قتل عن اثنتين وخمسين سنة وآخر أنه قتل عن ثمانٍ وأربعين سنة وأشهر .

وفي تاريخ اسبانيا : « .. ووافق لقبه لقب شبيهه من العباسية في كثير من الخلال منها توثُّبهما في الفتنة واستظهارهما بالفسقة واعتداء كل واحد منهما على ابن عمٍّ ، وتوسيط كل واحد منهما في شأنه امرأة خبيثة فلذلك

(١) المصدر نفسه :٢٠/١٧ .
(٢) الذخيرة : ١/٣٨٢ .
(٣) جذوة المقتبس /٢٥ .
(٤) بغية الملتمس /٣٣ ، جذوة المقتبس / ٢٥ .
(٥) تاريخ اسبانيا /١٣٦ .

حسناء الشيرازية ولهذا بنت المروزية﴾[1] .

وفي الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : بنت سكرى المروزية[2] .

أما سبب قتله فإنه في سنة ٤١٦ هـ إتصل بأهل قرطبة تَحَرُّك يحيىٰ بن علي بن حمود إليهم من مالقة[3] فدخل الوزراءُ والمشيخة على المستكفي فاغلظوا عليه في الكلام وقالوا : قد اضطررنا إلى مكافحة عدونا ! فأجمل الردَّ عليهم وخرج فارّاً بنفسه في هيئة النساء متنقباً بين امرأتين فذكر أن من خرج معه من رجاله إتهموه بمالٍ فاغتالوه وقتلوه بأُقليج[4] من الثغر وكان خروجه في يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين من ربيع الأول من السنة[5] .

وكانت مدة إمارته ستة عشر شهراً وأياماً[6] .

وهو والد ولّادة كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها وكان مجلسها في قرطبة منتدى للشعراء والأُدباء وقيل إنها كتبت على أحد عاتقي ثوبها :

أنا واللّه أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على الآخر :

وأمكِّنُ عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي مَنْ يشتهيها

وقد أحبَّها الشاعر ابن زيدون وقد وصف علاقته بها فقال : كنت في أيام الشباب وغمرة التصاب هائماً بغادة تدعىٰ ولّادة فلما قدر اللقاء وساعد القضاء كتبت إليَّ :

ترقَّب إذا جَنَّ الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكتم للسرِّ

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الذخيرة : ق ١ ج ١/ ٣٨٠ .

(٣) مالقة : مدينة بالأندلس على شاطيء البحر .

(٤) أُقليج أو أُقليش : مُدينة لها حصن في ثغر الأندلس

(٥) تأريخ اسبانيا /١٣٦ .

(٦) بغية الملتمس /٣٣ .

وبي منك ما لو كان بالبدو ما بدا   وبالليل ما أدجىٰ وبالنجم لم يَسرْ

فلما طوى النهار كافوره ونشر الليل عنبره أقبلت بقدٍّ كالقضيب وردفٍ كالكثيب وقد أطبقت نرجس المقل ورد الخجل فملنا إلى روض مدبجٍ وظل سجسج وقد قامت رايات أشجاره وفاضت سلاسل أنهاره ودُرُّ الطلِّ منثور وجيب الراح مزرور فلما شببنا بنارها وأدركت فينا ثارها باح كل منا بحبه وشكا أليم ما بقلبه وبتنا بليلةٍ نجني أقحوان الثغور ونقطّف رمان الصدور فلما انفصلتُ عنها صباحاً أنشدتها أرتياحاً :

ودِّع الصبَر محبٌ ودَّعك   ذائعٌ من سرِّه ما استودعك

ثم إنها غضبت منه ليلة لجاريتها عتبة فانصرفت عنه إلى الوزير أبي عامر بن عندوس وطال عمرها وعمر أبي عامر حتىٰ أربيا على الثمانين وهو لا يدع مواصلتها ولا يغفل مراسلتها . (راجع الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق ١ ج ١/٣٧٧) .

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

(ب)

(ث)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

فهرس الأماكن

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الشعر

(أ)

(ب)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر

الأخبار الطوال ـ لأحمد بن داود الدينوري ، تحقيق عبد المنعم عـامر ، ط الأولى ـ القاهرة ١٩٦٠ م .

الأخبار الموفقيات ـ للزبير بن بكّـار ، تحقيق د . سامي مكي العـاني ، ط بغداد ـ ١٩٧٢ م .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الأثير ، ط بدون تاريخ .

الإستيعاب في معرفـة الأصحاب ـ لابن عبـد البر ، تحقيق علي محمـد البجوي ، ط مطبعة نهضة مصر .

الإصابة في تمييز الصحابة ـ لابن حجر ، ط مصر ١٣٢٣ هـ .

أعتاب الكتاب ـ لابن الأبّار ، ط مجمع اللغة العربيـة بدمشق ١٩٦١ م ـ ١٣٨٠ هـ .

الأعلام ـ لخير الدين الزركلي ، ط الخامسة ـ ١٩٨٠ م .

أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ـ ط الأولى ـ ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م .

الأغاني ـ لأبي الفرج الاصفهاني ، ط القاهرة ـ ١٩٣٦ م .

الأمـالي ـ لمحمد بن العبـاس اليزيـدي ، ط الأولى ـ حيدر آباد الـدكن

١٣٦٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

الامامة والسياسة ـ لابن قتيبة ، ط الثالثة ـ بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م .

أنساب الأشراف ـ للبلاذري ، بدون تاريخ .

البدء والتأريخ ـ لمطهر بن طاهر المقدسي ، ط ١٩١٩ م .

البداية والنهاية ـ لأبي الفداء الحافظ بن كثير ، ط الأولى ـ ١٩٦٦ م .

بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس ـ لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبّي ، ط ١٩٦٧ م .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ لابن عذارى المركشي ـ تحقيق إ . ليفي برفسال ، ط دار الثقافة ـ بيروت .

تاريخ الأحمدي ـ لأحمد حسين بهادر خان الهندي ، تحقيق محمد سعيد الطريحي ، ط الأولى ـ بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

تاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

تاريخ الإسلام ـ للذهبي ، طبعت اجزاءه في السنوات ١٣٦٧ ـ ١٣٦٨ ـ ١٣٦٩ هـ .

تاريخ اسبانيا الإسلامية ـ لابن الخطيب السلماني ، تحقيق . إ . ليفي بروفسال ، ط الثانية ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م .

تاريخ الخلفاء ـ للسيوطي ، ط الأولى ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٩٨٨ م ـ ١٤٠٨ هـ .

تاريخ اليعقوبي ـ لابن واضح المعروف باليعقوبي ، ط ـ بيروت ١٩٦٠ ـ ١٣٧٩ هـ .

تاريخ خليفة ـ لخليفة العصفري ، تحقيق ـ د . سهيل زكار ،

ط دمشق ـ ١٩٦٨ م .

تاريخ الطبري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١٩٦٤ م .

تقويم البلدان ـ لاسماعيل بن عبد الملك ، ط ١٨٤٠ م .

تهذيبَ تاريخ ابن عساكر ـ لابن بدران ، ط ١٣٤٩ هـ .

تهذيب التهذيب ـ لابن حجر العسقلاني ، ط ـ حيدر آباد الدكن ، ط أولى ـ ١٣٢٥ هـ .

الجامع لأحكام القرآن ـ لمحمد القرطبي ، ط ـ القاهرة ١٩٤٤ م .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ، ط الثانية ـ مصر ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ـ لمحمد بن فتوح الحميدي ـ تحقيق محمد تاويت الطنجي ، ط ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م .

جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط مصر ـ ١٩٦٢ م .

جمهرة رسائل العرب ـ أحمد زكي صفوت ، ط الأولى ـ مصر ـ ١٩٣٧ م .

جمهرة النسب ـ لابن الكلبي ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، ط ـ الكويت ـ ١٩٨٣ م ـ ١٤٠٣ هـ .

حياة الإمام الباقر ـ باقر شريف القرشي ، ط ـ الثانية بيروت ـ ١٩٨٤ م .

حياة الإمام الحسين ـ باقر شريف القرشي ، ط ـ الثانية بيروت ـ ١٩٨٤ م .

حياة الحيوان الكبري ـ للدميري ، ط ـ مصر ـ ١٣٢١ هـ .

الحلة السيــراء ـ لابن الأبّـار ، تحقيق ـ د . حسين مؤنس ، ط الأولى ـ ١٩٦٣ .

حلية الأولياء ـ لأبي نعيم الأصفهاني ، ط الأولى ـ مصر ـ ١٩٣٥ م .

الدرر في اختـصار المغـازي والسير ـ لابن عبـد البر النمـري ـ تحقيق د . شوقي ضيف ، ط ـ القاهرة ١٩٦٦ م .

ديـوان حسـان بن ثـابت الأنصـاري ـ شـرح عبـد الـرحمن البـرقـوقي ، ط ـ مصر .

ديوان الشريف الرضي ـ المطبعة الأدبية ـ بيروت ـ ١٣٠٧ هـ .

ديـوان كثيّـر عـزة ـ جمـع وشـرح د . إحسـان عبـاس ، ط ـ بيـروت ١٩٧١ م .

الـذخيـرة في محـاسن أهـل الجـزيـرة ـ علي بن بسّـام الأنـدلسي ، ط ـ القاهرة ١٩٣٩ م .

روح المعاني في تفسير القـرآن العظيم والسبـع المثاني ـ السيـد محمود الألوسي البغدادي ، ط ـ بولاق ـ مصر ١٣٠١ هـ .

الـروض المعـطار ـ لمحمـد بن عبـد المنعم الحميـري ، تحقيق ـ د . إحسان عباس ، ط الثانية ـ ١٩٨٠ م .

زبـدة الحلب من تـاريـخ حلب ـ عمـر بن أحمـد ابن العـديم ـ تحقيق سامي الدهان ، ط دمشق ـ ١٩٥١ م .

سمط النجـوم العـوالي ـ عبـد الملك بن حسين العصـامي الملكي ، ط القاهرة ـ ١٣٨٠ هـ .

سيـرة أعلام النبـلاء ـ للذهبي ، تحقيق شعيب أرنؤوط ـ حسين الأسد ، ط الأولى ـ ١٩٨١ م .

سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لأبي عبد الله بن عبد الحكم ، ط بيروت ـ ١٩٨٧ م .

سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ط مصر ـ ١٣٣١ هـ .

السير والمغازي ـ لمحمد بن إسحاق المطلبي ، تحقيق ـ د . سهيل زكار ، ط دمشق ـ دار الفكر ـ ١٩٧٨ م .

السيرة النبوية ـ لابن هشام ، ط ١٩٣٦ م .

شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الأولى ـ ١٩٥٩ م وط ١٩٦٤ م .

صحيح البخاري ـ لمحمد بن إسماعيل البحاري ، تعليق د . مصطفى ديب البغا ، ط ـ مصر ١٩٨١ م .

صحيح مسلم ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ـ دار إحياء التراث العربي .

الصواعق المحرقة ـ لابن حجر الهيثمي ، المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٢ هـ .

طبقات ابن سعد ـ لمحمد بن سعد الواقدي ، ط ليدن ـ ١٣٢١ هـ .

العقد الفريد ـ لابن عبد ربه الأندلسي ، ط القاهرة ـ ١٩٤٤ م .

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ـ لابن عنبة ، ط النجف الأشرف ـ ١٩٦١ م .

عيون الأخبار ـ لابن قتيبة الدينوري ، ط مصر ـ ١٩٢٥ م .

الغارات ـ لأبي إسحاق إبراهيم الثقفي ، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ط الأولى ـ بيروت ١٩٨٧ م .

فتـوح البلدان ـ لأحمـد بن يحيى البـلاذري ، تحقيق ـ عبـد الله أنيس الطبّاع ، عمر أنيس الطبّاع ، ط ١٩٥٧ م .

الكامل في التأريخ ـ لابن الأثير ، ط بيروت ـ ١٩٦٥ م ـ و ط دار الكتب العلمية ط الأولى ـ تحقيق عبد الله القاضي ومحمد يوسف الدقاق .

لسان العرب ـ لابن منظور المصري ، ط دار صادر ـ بيروت .

مجمـع البحرين ـ لفخـر الـدين الـطريحي ، تحقيق أحمـد الحسيني ، ط الثانية ـ بيروت ١٩٨٣ م .

المختصر في أخبار البشر ـ لابن الوردي ، ط الأولى ـ مصر .

المحـاسن والمساويء ـ لإبـراهيم البيهقي ، تحقيق محمد أبـو الفضـل [illegible]هيم ، مطبعة النهضة ـ القاهرة .

مختـار الأغـاني في الأخبـار والتهـاني ـ لمحمـد بن مكـرم بن منـظور ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، ط القاهرة ـ ١٩٦٦ م .

مـروج الـذهب ـ لابن المسعـودي ، تحقيق محمـد محيي الـدين عبد الحميد ، ط ١٩٨٢ م .

مسند أحمد بن حنبل ـ ط مصر ـ ١٩٤٩ م .

معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ، ط ـ ١٩٥٧ م .

المعارف ـ لابن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط ـ ١٩٦٠ م .

المغـازي ـ لمحمد بن عمر بن واقد ، تحقيق د . مـارسـدن جـونس ، [illegible]طبعة أكسفورد ١٩٦٦ م

مقاتل الطالبين [illegible]
[illegible] ـ ١٩[illegible]

[illegible]

النجوم الزاهرة ـ ليوسف الأتابكي ، ط ١٩٦٣ م .

الوافي بالوفيات ـ لصلاح الدين الصفدي ، ط المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ـ بيروت .

الوزراء والكتاب ـ لمحمد بن عبدوس الجهشياري ، تحقيق ـ مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، ط القاهرة ـ ١٩٣٨ م .

وقعة صفين ـ لنصر بن مزاحم المنقري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ـ ١٣٦٥ هـ .

ولاة مصر ـ لمحمد بن يوسف الكندي ، تحقيق ـ د . حسين نصار ، بيروت ـ ١٩٥٩ م .

فهرس التراجم